كتابي
أقنعة الحب السبعة!
لأندريه موروا
وكتب أخرى
حلمي مراد
١٠ قروش

٢٦ سبتمبر ١٩٥٦

البوهيمية

لوحة للرسام « فرانز هالز » ، (١٥٨٠ - ١٦٦٦) ، بمتحف اللوفر

((اغفاءة انتيوب))

لوحة من اشهر معروضات متحف اللوفر ، تمثل الضحية التى اغواها ((جوبيتر)) اثناء نومها ، كما تقول الاسطورة !

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر اول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الرابع والثلاثون (السنة الثالثة) : يناير ١٩٥٥
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة :اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٣ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

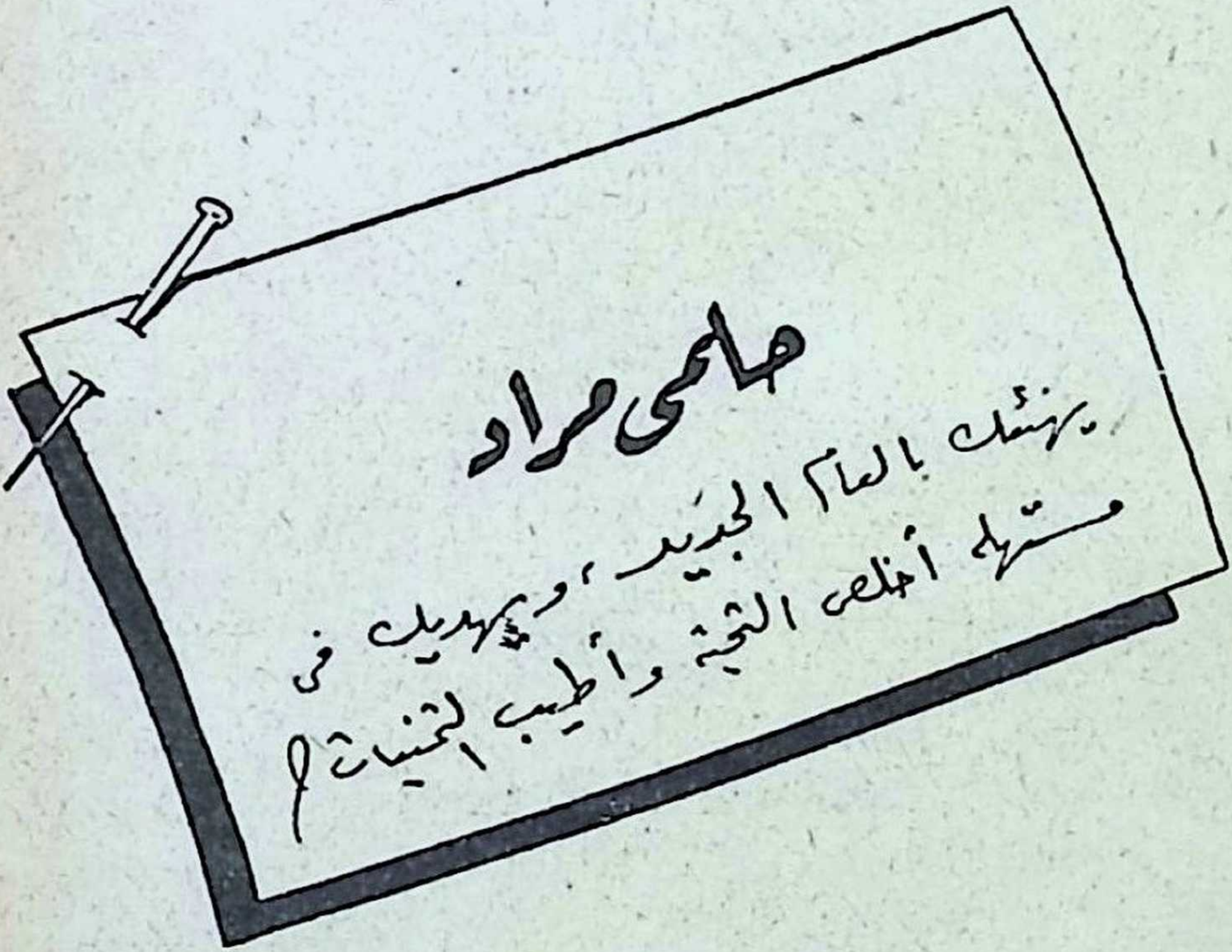
حلمي مراد
يهنئك بالعام الجديد، ويهديك في
مستهله أخلص التحية وأطيب التمنيات!

هـــل تصـــارح زوجهـــا ؟

اســتفتاء هــام للقراء والقــارئات

عزيزى القــارىء ..

◆ فى صفحة (١١١) من هذا العدد ، قدمت لك كتاب ((اندريه موروا)) الممتع الذى اطلق عليه ((اقنعة الحب السبعة)) ، وقد لخص فيه قصة كلاسيكية من اجمل قصص الادب الفرنسى فى القرن السابع عشر ، هى قصة ((الأميرة دى كليف)) التى كتبتها الاديبة الفرنسية ((مدام دى لافاييت))

ولكى لا افسد عليك متعة القصة ، باطلاعك هنا على شىء من احداثهـا ، افضل أن تدع الآن حديثى اليك ، ريثما تطالع القصة المذكورة ، ثم تعـال نتناقش فى مغزاها وما يتفرع عنها من خواطر :

فلقد رأيت فيها كيف تورطت مدام دى كليف فى حبها العفيف لصديقها مسيو دى نيمور .. فلما أحست بالخطر ، حاولت الفرار من المحنة بالابتعاد عن محيط ذلك المحبوب !.. لـكن زوجها وقف فى طريق محاولتها ، وهـو يجهل الدافع عليها ! .. وهنا ابى عليها اخلاصها له الا أن تصارحه بخبيئة قلبها .. فكان أن ترتبت على هذه المصارحة كل الكوارث التى انتهت اليهـا مأساة أبطال القصة الثلاثة !

والقصة ، بهذا الوضع ، تثير مشكلة من اخطر المشكلات الخلقية والعاطفية ، هى مشكلة المصارحة بالاثم ! فلقد كان فى وسع مدام دى كليف ان تلـوذ بالصمت وتخفى حبها الجديد ، فتظل بمنجاة من اى لوم .. لكنها اعترفت لزوجها بحبها لمسيو دى نيمور ، وكان هذا الاعتراف سبب الكارثة ! .. كما كان موضوعه - منذ اصدرت مدام دى لافاييت قصتها هذه ، فى اواخر القرن السابع عشر - مبعث مناقشات حامية لا تنتهى .. وانقسم الناس بصدده الى فريقين ، حتى لقد جعلت منه صحيفة ((ميركور)) يومئـذ موضوع استفتاء عام لقرائها : فكان رأى اغلبية الرجال أن الزوجة ينبغى أن تعترف .. اما النساء فانحزن الى الرأى العكسى القائل بوجوب الصمت ! .. على ان هناك فئة ، على رأسها مدام دى جرامون ، نادت بوجوب ان تختبر الزوجة طباع زوجها ودرجة سعة صدره وســعة افقه .. فان الازواج ليسوا جميعا سواء !

ومن رأى ((اندريه موروا)) ، اننا قبل ان نصارح احباءنا بما يفجعهم فى عواطفنا على هذا النحو ، يجب ان نستوثق من ثلاثة أمور :

(١) أولها ان عواطفنا قد طرأ عليها هذا التحول بالفعل، وليس بمجردالوهم !
(٢) وثانيها ان الأمر لا علاج له ، والشر لا بد منه ..
(٣) واخيرا يجب ان نستوثق من ان خلق عزيزنا الذى نصارحه ، يحتمل صراحتنا الكاملة !

فاذا توفرت هذه الشروط الثلاثة ، كان لنا ان نزيح عن كاهل ضمائرنا السر الذى يثقل عليها .. سواء فى الحب ، او الصداقة !

والا ، فلتكن لنا الشجاعة على ان نلوذ بالصمت !

فما رأيك أنت ايها القارىء أو القارئة ؟

اكتب رأيك الشخصى فى هذا الاستفتاء ، سـواء كان مستمدا من مبادئك النظرية أم من تجارب واقعيـة ، على أن تراعى فى كتابته ألا يزيد عن ثلاث صفحات من « كتابى » .. **وارسله الينا فى موعد لا يتجاوز أول فبراير القادم . وسوف ينشر الرد الفائز فى عدد مارس من « كتابى » ويمنح صاحبه جائزة مالية قدرها خمسة جنيهـات .**

- ٢ -

.. حول اللوحات الفنية أيضـا

◆ ولنعد الى الموضوع الذى طرحته عليك فى العدد الماضى ، بشأن اعتراض بعض القراء على ما أسموه صورا « مكشوفة » ، قاصدين بهـا اللوحات الفنية التى يقدم اليك « كتابى » ثمانيا منها فى كل عدد على ورق مصقول ، نقلا عن أعظم متاحف العالم .

واعترف اننى عندما تشككت فى حسن تقبلك لهذا اللون من الثقافة الفنية - نتيجة بعض الرسائل التى تلقيتها بهذا المعنى من أفراد لهم رأيهم الخاص - لم اكن اطمع فى ان يبلغ تحمس الاكثرية العظمى لهـذه اللوحات ، عشر معشار ما لمسته فى أكداس الرسائل التى وصلتنى هذا الشهر - ردا على استفتائى - من مغالاة فى تحبيذ نشر هذه الصور ، و .. احتجاج عـلى - ولا اريد ان أقول « تسفيه » - لرأى المعترضين عليها !

وليتنى أستطيع ان انشر على أولئك المعترضين بعض الآراء والردود التى ساقها المحبذون فى خطاباتهم الى ، ردا على تلك الاعتراضات .. ولكن حسبى ان أقتطف هنا فقرة من خطاب واحد من الخطابات التى وصلتنى فى هـذا الشأن ، لجمال « الاخلاص » الذى تنطق به سطورها :

نقد جاء فى خطاب السيد ((**محمد عبد الكريم القاضى**)) المهندس بشركة مصر بكفر الدوار ، هذه العبارات : **((انى ياسيدى اضم صوتى مع أصوات والدى المسن الذى عارض منع هذه الصور بكل الطرق ، وصوت والدتى التى عارضت هذه الفكرة ، مع أصوات شقيقاتى واشقائى ٠٠ عشرة أصوات يا سيدى من عائلة واحدة تهاجم هذه الفكرة ، فباسم الانسانية الحرة ، وباسم النفوس الأبية ، وباسم كل مقدس لديك اطالبك بالا تمنع نشر هذه اللوحات ٠٠ ففيها هداية وأمل لعشاق الفن ، وفيها الأمل المنشود للباحثين عن الحقيقة ٠٠))**

ولعل فى هذا الخطاب وحده ، ما يغنى عن كل تعليق ٠٠

اطمئن ياسيدى - ويا اعزائى اصحاب جميع الخطابات الاخرى - فلن أخذلكم !

والله المستعان ٠٠

حلمى مراد

« كتابى » يشترى الاعداد الستة الاولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الأولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد ان يكون لدى البعض اكثر من نسخة من الاعداد المذكورة ٠٠ **فقد رأت ادارة ((كتابى)) أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الأولى، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة ٠ فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا او بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الأعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة ٠ وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والأردن الخ ٠٠) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة)

كتابى

اعداد نفدت

كتابى الاول : ((خطايا الحب)) وكتب أخرى ، وكتابى الثانى : ((قلب عذراء)) وكتابى الثالث : ((الهاربة من الجنة)) وكتابى الرابع : ((حواء الجديدة)) وكتابى الخامس : ((احدب نوتردام)) وكتابى السادس : « جريمة حب » .

اعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع ((عشيقة نابليون)) ، والثامن ((مذكرات كيوبيد)) ، والتاسع ((صنم تحطم)) ، والعاشر ((حديقة الله)) ، والحادى عشر ((عندما تحقد المرأة)) ، والثانى عشر ((لعبة الحب والموت)) ، والثالث عشر ((توبة خاطئة)) ، والرابع عشر ((ايها الربيع ترفق)) ، والخامس عشر ((الشيطان على الأرض)) ، والسادس عشر ((ليدى هاملتون)) والسابع عشر ((الارملة المرحة)) والثامن عشر ((حياة جورج صاند)) ، والتاسع عشر ((حياة سارة برنار)) ، والعشرون ((رباعيات عمر الخيام)) ، والحادى والعشرون ((حياة بيتهوفن)) ، والثانى والعشرون ((حياة موسولينى)) ، والثالث والعشرون ((كوخ العم توم)) والرابع والعشرون ((الزوج والعشيق)) والخامس والعشرون ((البوهيمية)) ، والسادس والعشرون ((فتاة لها ماض)) والسابع والعشرون ((ترويض النمرة !)) والثامن والعشرون ((فن الحب)) ، والتاسع والعشرون ((الجريمة والعقاب)) والثلاثون ((المنافق)) (طرطوف) ، والحادى والثلاثون ((أميرة مصر)) والثانى والثلاثون ((الأمطار)) ، والثالث والثلاثون ((أفروديت))

◆ وتطلب من ادارة كتابى: ١٤ شارع ٢٣ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر والعدد العشرون وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER أو بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو اذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين

٢ ـ ذات الثوب الابيض

٣ ـ الغـالدون

٤ ـ الخاطئة

وثمن كل من الاول والرابع عشرون قرشا خالص اجر البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش

نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

تعال معى الى بلاد الفن والجمال ..

◆ فى العددين الماضيين صحبتنى من الاسكندرية الى اثينا ثم جنوا ، ومنها الى روما ، المدينة الخالدة ، حيث مضينا نطوف بمعالمها التاريخية والاثرية المشهورة .. فزرنا ملعب الكوليسيوم ، ومعبد عذارى « فستا » ، وقصر الكابيتول ، وقصر سان انجلو ، والبانثيون (مقبرة العظماء)، وقصر الكيرينال ، والنصب التذكارى للملك فيكتور عمانويل ، و«الفورم» الايطالى ، وقصر العدالة ، وفيللا بورجيزى ، ومتحفها المشهور ، وحدائق بنشيو ..

واليوم نواصل طوافنا بروما .. حتى اذا انتهينا منها ، مضينا معا الى نابولى ، وكابرى ، وفلورنسا .. الخ

أوبرا حمامات « كاراكالا » !

◆ ولعلك تعجب للجمع بين «أوبرا» و «حمامات» فى مكان واحد من معالم مدينة !.. لكن هذا هو الواقع ، فلقد اختيرت تلك الحمامات القديمة مكانا لاكبر أوبرا « صيفية » فى العالم !.. ويرجع تاريخ انشاء هذه الحمامات الى سنة ٢١٦ م ، فى عهد الامبراطور الرومانى «كاراكالا» ، وهى تعتبر - من بين الحمامات العامة الاثنتى عشرة التى أنشئت فى روما الامبراطورية - أكبرها وأكثرها احتفاظا بمعالمها ، فقد كانت تتسع لألف وستمائة مستحم فى وقت واحد ، عدا الألوف العديدة التى كانت تحضر المباريات الرياضية الاخرى وتشترك فى شتى أوجه النشاط والتسلية المنوعة .. ذلك ان الحمامات العامة عند الرومان لم تكن لمجرد الاستحمام فقط ، بل كانت اشبه بنواد ضخمة لجميع ضروب الرياضة البدنية والثقافة الذهنية فى وقت واحد : فكانت تضم ملاعب للملاكمة ، والمصارعة ، والقفز، وتخطى الحواجز ، والالعاب «السويدية» - كما يطلق عليها اليوم - وغيرها.. كما كانت تحوى مكتبات يونانية ولاتينية ، ومعارض للفنون الجميلة ، وقاعات للمحاضرة والمناظرة يتبارى فيها الخطباء والشعراء والفلاسفة ..الخ

وقد وجدت بين أطلال حمامات الامبراطور « كاراكالا » التى نحن بصددها ، كثير من التماثيل الفنية التى تعرض الآن بمتاحف روما ونابولى، منها تمثال « هرقل » وتمثال «فلورا » وغيرهما .. وتحيط بأبنية الحمامات الحدائق الفناء ، والممرات المحفوفة بالاشجار ونافورات المياه التى تساعد على

تلطيف الجو فى أيام الحر ٠٠ وقد كان الداخل الى الحمامات يمر من هذه الحدائق الى المدخل الرئيسى للأبنية ، ثم يصعد بضعة سلالم تؤدى الى منصة فسيحة ، ومنها ينفذ الى قاعة الـ «فريجيديريام» التى يتوسطها حوض السباحة البارد الكبير • وقد كانت هذه القاعة آية فى فخامة البناء وروعة النقوش التى تزينها ، كما كان سقفها معجزة فى فن المعمار ، اذ كان يعتبر أكبر سقف مسطح يعرفه العالم فى تلك العصور ، وكان هيكله عبارة عن شبكة من قضبان حديدية « مجدولة » كأشرطة صنادل القدمين ، ومخبأة كلها فى سمك البناء الذى يغطيها ٠٠ والى يسارها كانت قاعة « الأبوديتريام » ، أى قاعة خلع الثياب وارتدائها ، وكانت الثياب تترك فى حراسة عبيد مخصصين لهذا الغرض ٠٠ هذا عدا قاعات أخرى عديدة ، منها ما كان مخصصا لتطرية أجسام الرياضيين وتدليكها بالزيت و « الشامبو » بعد الحمام ، ومنها قاعات الحمامات الدافئة « تيبيداريام » ، التى كانت تتحكم فى حرارتها اجهزة خاصة للتسخين ، ثم قاعة الـ «كاليداريام» الفسيحة المستديرة ذات القبة الهائلة ، التى تحيط بها افران تنتج الحرارة اللازمة لتدفئة مختلف القاعات والابنية بواسطة مواسير تنقل الهواء الساخن اليها • هذا فضلا عن طابق كامل «تحت الارض » ، يتألف من عشرات الحجرات التى كانت تستعمل لحفظ المناشف ، وغسلها ، وتخزين أخشاب التدفئة ٠٠ وتتخللها ممرات خصصت لتنقل مئات العبيد خفية من اقصى الحمامات الى أقصاها ، دون أن يزعجوا روادها بالمرور بينهم فوق سطح الارض ! وكان يكفى أن يحتاج المرء اليهم كى يظهروا له فجأة من البدروم ، كأن الارض قد انبثقت عنهم !

« الحب المقدس ٠٠ والحب الدنيوى » ـ لوحة للرسام « تيسيان » (١٤٧٧ ـ ١٥٧٦) بمتحف « بورجيزى » بروما

((ملاك الموت)) ، تمثـــال للفنان ((كانوفا)) بقبر البابا كليمنت الثـالث عشر

تلك هى ((حمامات كاراكالا)) الهائلة التى لم يبق منها اليوم غير أطـلال دارسة ، يراها رواد الاوبرا الصيفية حولهم فى ضوء القمر وكأنها أشـباح الماضى التليد والمجد الغابر !.. أما ((خشبة المسرح)) فى هــذه الاوبرا العجيبة فهى أطلال قاعة ((الكاليديريام)) المستديرة التى لم يبق منها غير شبه قوس مهدم يستخدم كظهر للخشبـة تتواتر عليه المناظر الخلفية للاوبرات المختلفة .. وفى مواجهة هذا ((المسرح)) الأثرى العريق أقيم مدرج خشبى هائل يتسع لجلوس عشرين ألف متفرج، ويرتكز على عشرات الالوف من ((الاسياخ)) الحديدية العمودية العجيبة المنظر ، التى تراها أمامك وأنت تهم بالصعود الى مقعدك ((المحجوز)) ، عن طريق أى سلم من عشرات السلالم الخشبية الشاهقة التى يؤدى كل منها الى طابق خاص من طوابق المدرج المكشوف الرائع الذى لا يحد البصر نهايته !

.. فاذا حان موعد رفع الستار وأطفئت مئات المصابيح الشاهقـة الصاعدة الى عنان السماء كالمشاعل فوق رؤوس المتفرجين ، تسللت أنغـام الموسيقى الى سمعك رقيقة هادئة ،كنسمات الصيف الناعمة التى ترف على وجهك من حين الى آخر .. وارتفع الستار عن المنظر الاول من مناظر الاوبرا التى تمثل وتغنى فى هذا الاطار الساحر من أمجاد الماضى .. وأمجاد الحاضر !

ولعلك تعجب من جبروت حناجر المغنين والمغنيات من الايطاليين ، حين تسمع غناءهم يجلجـل فى أسـماع العشرين ألف متفرج، فى الهواء الطلق، بغير ميكروفون !

والادعى من ذلك الى العجب ، بل الاعجاب ، ان الدولة هناك تتيـح للمتفرج كل هذا السحر الحلال، والفن الرفيع ، مقابل مبلغ زهيد لا يتجاوز الستمائة ((ليرة)) - أى الخمسة والثلاثين قرشا مصريا - فقط لا غير !

لكن اعجابك بالدولة ، وبالقوم ، قد ((يتخـاذل)) وينكمش حين تتبين

ان الفندق الذى ائتمنته على مهمة شراء التذكرة لك - توفيرا للوقت - قد «الطش» منك مقابل هذه المهمة اليسيرة ربحا حراماً يساوى ثمن التذكرة بالضبط ، أى ستمائة ليرة أخرى بالتمام والكمال !

« الملاك الحارس » ، تمثال للفنان « كانوفا » بكنيسة القديس بطرس بروما

✽

لكنك قد تنسى هذا « المقلب » حين تضاء الانوار فى فترة الاستراحة ، فتتذوق القهوة الساخنة - الكافيه كالدو - التى تمر بها عليك ، وأنت فى مقعدك ، بائعات يرتدين زيا نظيفا مكويا سماوى اللون ، وهن ينادين بأصوات عذبة النغم - لعل ادارة الاوبرا أجرت عليهن بشأنها اختبارا ! - ينادين فى طول المدرج وعرضه : « كافيه كالدو .. كافيه كالدو ! »

واذا كنت سائحا - قضيت النهار كله جائلا بين معالم روما ومتاحفها - فانت تجد نفسك مدفوعا الى مغالبة التعب والنعاس بتناول زجاجة من هذه « الكافيه كالدو » .. نعم ، «زجاجة» ! .. وهى وان كانت دقيقة الحجم ، لا تزيد محتوياتها على قدح القهوة العادى ، الا انها عبئت على هذه الصورة امعانا فى النظافة ، تعبئة «أوتوماتيكية» معقمة ، وغلفت فتحتها «بغشاء» محكم من الالومنيوم الرقيق يماثل تماما أغلفة قوارير «البنيسلين» الطبية ! ..

ولن تجد صعوبة فى ازالة هذا الغشاء الرقيق ، فاذا رفعت القارورة الانيقة الى فمك لترشف منها الجرعة الاولى ، صدمك لاول وهلة طعمها الحاد ونكهتها الغريبة .. ثم لا تلبث ان تستنتج من رائحتها أنها .. قهوة مزجت بشىء من الكونياك ! .. فقد تكون شعرت بنسمة من البرد ، اذا استهنت بليل الصيف فحضرت فى سترة بيضاء مثلا .. أما اذا كنت ، على العكس ، قد أثقلت فى الثياب ، ففى وسعك أن تستوقف بائعة من «السرب» الآخر الذى تنادى حمائمه ، بنفس التغريد العذب : «جيلاتى .. جيلاتى !»

(ولا تعجب اذا علمت ان من بين أولئك البائعات ، طالبات فى «الجامعات» .. يعملن فى المساء ، كى ينفقن على دراستهن فى الصباح !)

ونسيت أن أقول لك ان تلك القهوة العجيبة تباع لك ساخنة ، حتى لتكاد القارورة أن تلسع يدك ، فقد وضعت فى اناء به ماء ساخن فترة من الوقت قبل أن تقدم اليك !

أكبر خشبة مسرح فى العالم !

◆ فاذا حلت فترة الاستراحة الثانية ، فقد يروق لك أن تتصفح البرنامج الذى فى يدك .. لتقف منه على بعض الاحصاءات الطريفة : **فقد افتتح هذا « المسرح » عام ١٩٣٨ ، بعد تجارب استمرت عاما ، وأقيمت فيه منذ ذلك التاريخ حتى آخر موسم سنة ١٩٥٤ — فيما عدا سنوات الحرب الاخيرة الخمس — ٣٩٨ حفلة ، مثلت فيها ٩٧ أوبرا مختلفة ، وخمس حفلات باليه .. وتشغل مساحة خشبة المسرح الهائلة الفا وخمسمائة متر مربع ، وطولها ٣٢ مترا ، وارتفاع الستارة ١٢ مترا .. بينما تبلغ مساحة المدرج كله عشرة آلاف من الامتار المربعة !**

« هرقل » ، تمثال للفنان « كانوفا » ، بالمتحف الاهلى للفن القديم ، بروما

✻

.. ثم يسدل الستار الاخير على التمثيلية الغنائية التى تعرض عليك ، فيهبط العشرون ألف متفرج من المدرج الهائل فى دقائق معدودة ، عن طريق السلالم الكثيرة التى فى كل طابق .. ويمضون أفواجا — من كل فج من بلاد الارض — خلال ممرات الحديقة الغناء ، (التى كانت يوما مدخل «الحمامات»)! .. فاذا بلغوا الطريق خيل اليك انك سوف تقف «ساعات» قبل أن تجد لنفسك مكانا فى مركبة ترام أو أوتوبيس أو سيارة تاكسى ، وسط هذا الخضم الهائل من البشر ! .. **لكنك لا تكاد تصدق عينيك حين تتلفت بعد دقائق — لا تتجاوز العشر باى حال — فاذا الطريق صفصفا الا منك ! .. وهذه ، فيما أعتقد ، هى « معجزة » حركة**

المواصلات والمرور فى روما .. العاصمة التى عرفت بضيق شوارعها وميادينها بالقياس الى كثير من العواصم الكبرى، ومنها القاهرة مثلا !

مسلة وأربعة أسود .. مصرية !

((العذراء والمسيح)) ، لوحة للفنان ((باتونى)) بمتحف ((بورجيزى)) بروما

◆ وعلى ذكر ميادين روما .. تعال معى الآن نقوم بجولة بين أهم هذه الميادين فى المدينة الخالدة - وهى لاتقع تحت حصر - ولنبدأ جولتنا من :

ميدان الشعب : (بيازا دل بوبولو) : وهو أهم مداخل روما وأجملها ، صممه المهندس المعمارى البارع ((فالاديه)) بتكليف من البابا بيوس السابع كى يلقى فى روع القادمين الى روما احساسا بالجلال والجمال - فقبل انشاء السكك الحديدية كان هذا الميدان هو المدخل الرئيسى للمدينة للوافدين من الشمال - وتتوسط الميدان نافورة تتألف من اربعة أسود مصرية تنصب من أفواهها المياه فى اربعة أحواض جميلة من المرمر ، وفى وسط النافورة تقوم مسلة مصرية من اكبر المسلات فى العالم ، (اذ يبلغ ارتفاعها ١١٨ قدما) ويرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد حين صنعت واقيمت امام معبد الشمس فى هليوبوليس (عين شمس) بمصر .. حتى سطا عليها امبراطور الرومان ((اغسطس)) ، سنة ٢٣ قبل الميلاد ، كى يزين بها ((سيرك)) مكسيم فى روما .. وهناك عثر عليها البابا ((سيكستاس الخامس)) ، بعد قرون ، مكسورة ومطمورة تحت الانقاض .. فامر المهندس ((فونتانا)) باصلاحها واقامتها حيث هى الآن ، وتم ذلك عام ١٥٨٩

وقد زين نفس الميدان فى طرفين منه بنافورتين اخريين تمثل احداهما ((نبتيون)) اله البحر ، بين تمثالين لابنه ((تريتون)) ، وتمثل الاخرى مدينة روما راقدة بين نهرى ((تيبر)) و ((أنيو)) ..

وقد راجت في العصور الوسطى أسطورة تقول ان جثة ((نيرون)) قد

دفنت فى هذا الميدان ، وان الشياطين قد اتخذت لها مقرا فى شجرة عتيقة تنمو فوق قبره !.. وشاع أن تلك الارواح الشريرة اعتادت ازعاج المارة فى الميدان بالظهور لهم ليلا .. فاضطر البابا « باسكال الثانى » الى اصدار أمره بأن تجتث الشجرة وتبنى مكانها كنيسة ، وبالفعل شيدت فى الميدان كنيسة « سانتا ماريا دل بوبولو » سنة ١٤٧٥ ، وقد جعلت على الطراز القوطى وحليت بعدد من التماثيل واللوحات الفنية للفنانين « رفاييل » و «برنينى» وغيرهما

ميدان اسبانيا : وقد كان القلب النابض لروما البابوية القديمة ـ قبل انشاء مدينة الفاتيكان ـ وهو يستمد اسمه من قصر السفير الاسبانى القائم فى الناحية الغربية منه . وتتوسطه نافورة مشهورة من صنع المثال المشهور « برنينى » أنشئت تذكارا لفيضان سنة ١٥٩٨ المروع ، فى نفس البقعة التى تركت فيها مياه الفيضان ، عند تراجعها وانحسارها ، قاربا من قوارب النهر !

وفى مواجهة النافورة مرتفع بطىء الانحدار على شكل سلم هائل أشبه بشارع مدرج يبلغ عرضه عشرات الامتار (ترى صورته فى صفحة ٢٠ من العدد الماضى) أنشأه على نفقته سفير فرنسى عشق روما وعاش حتى مات فيها سنة ١٦٦٠ . والى ما قبل سنوات قليلة كانت النسوة اللواتى يعملن كنماذج للرسامين يتخذن من هذا السلم « موقفهن » المختار ، فيربضن فيه فى أزهى أزيائهن القومية ، فى انتظار رسام يحضر ليستأجر واحدة منهن .. واليوم صار هذا السلم أشبه بسوق « عكاظ » ، يجتمع فيه الشباب من الجنسين فى ساعات الضحى المشمسة ليتناقشوا فى الأدب والفن ويداعبوا بائعات الزهور ، اللواتى يتخذن من جزء منه سوقا جميلة لبضاعتهن !

(الى اليمين) تمثال النبى داود للفنان « برنينى » .. (والى اليسار) : تمثال « حسناء (أنزيو) » بالمتحف الاهلى الرومانى

« المسيح » ، تمثال للفنان الخالد « ميكيل انجلو » .

والى يمين السلم يقع البيت التذكارى للشاعرين « شيلى » و « كيتس » ، وقد عاش فيه الاخير أثناء مقامه فى روما حتى مات فيه فى ٢٤ فبراير سنة ١٨٢١ : والبيت يحوى الآن مكتبة ومتحفا يضم تذكارات هذين الشاعرين الانجليزيين العظيمين ..

ميدان العامود (كولونا) : وقد سمى باسم العامود الهائل الذى يتوسطه والذى أقيم فى سنة ١٧٤ بناء على طلب الشعب ومجلس الشيوخ ، تخليدا لذكرى الامبراطور « مرقس أوريليوس » لمناسبة الانتصارات الحربية التى أحرزها على الالمان . وقد نقشت على العامود رسوم بارزة تمثل تاريخ تلك الحروب وأزياء ثياب الجنود الرومان والالمان فى ذلك العصر .

وخلف أحد أركان الميدان تقع أطلال معبد «نبتيون» اله البحر ، الذى أقامه الامبراطور « أجريبا » سنة ٢٦ قبل الميلاد احتفالا بانتصارات الاميرال « كاسيوس » البحرية على أسطول « مارك أنطونى » !

ويتفرع من هذا الميدان شارع يؤدى الى نافورة « دى تريفى » أكبر نافورات روما وأشهرها ، وهى تحفة فنية منقطعة النظير ، أنشاها البابا « كليمنت الثانى عشر » عام ١٧٣٥ . وتتألف من صرح ضخم من التماثيل على شكل « منظر » كامل منحوت يمثل اله البحر راكبا عربة على شكل صدفة يجرها اثنان من جياد البحر ، ويظهر فى المنظر الامبراطور اجريبا ، وفتاة تشير لجنوده الى النبع كى يرتووا .. وفى القمة تماثيل الفصول الاربعة . ومن ثنايا المنظر وقاعدته وكل جوانبه تتناثر المياه الى حوض كبير ، جرت العادة على أن يلقى فيه زوار روما قطعة من النقود ، كى تتاح لهم العودة اليها مرة أخرى !

ومما هو جدير بالذكر أن مجرى الماء الذى يغذى النافورة هو نفس المجرى الذى بناه أجريبا منذ ألفى عام ، والماء الذى ملئت به أحضره هو الى روما سنة ١٩ قبل الميلاد !

ميدان سان جيوفانى : وتتوسطه مسلة مصرية أخرى كانت مقامة فى « طيبة » منذ عهد رمسيس - سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد - حتى نقلها ابن الامبراطور قسطنطين سنة ٣٥٧ كى يزين بها سيرك « ماكسيمس » .. ثم

طمرتها الايام حتى وجدها البابا « سيكستاس » الخامس مكسورة الى ثلاث قطع فأمر بترميمها واقامتها فى مكانها الحالى سنة ١٥٨٨

ويضيق المقام عن تعداد بقية ميادين روما الكبرى ، ومنها : **ميدان «باربيرينى»** ، ويتوسطه نافورة أخرى رائعة صممها الفنان «برنينى» سنة ١٦٤٠ .. و **ميدان الكابيتول** (دل كامبيدوليو) **وميدان فينيسيا وميدان الكيرينال** ، وقد حدثتك عنها فى العدد الماضى .. **وميدان «نافونا»** الذى كان مقاما فيه « سيرك دوميسيان » أيام الرومان ، وبه ثلاث نافورات تمثل احداها أنهار العالم الاربعة الكبرى ومنها نهرا النيل والدانوب .. **وميدان سانتا ماريا ماجيورى »** - باسم الكنيسة المشهورة التى تطل عليه - ويتوسطه تمثال ضخم من البرونز للعذراء وطفلها المسيح .

وكنيسة « القديسة مريم الكبرى » - كما هى ترجمة الاسم المذكور - هى أقدم كنائس روما وأكثرها احتفاظا بسلامتها ورونقها ، **وهى تحفة منقطعة النظير تذهل العين بروعة النقوش الذهبية واللوحات الزيتية التى تزين سقوفها وجدرانها ، حتى ليصعب على المرء أن يتصور ضخامة المجهود الذى بذل فى نقشها ، والسنوات التى استغرقها ذلك ، والاموال التى انفقت عليها !.. وقد شيد بناؤها من عام ٤٣٢ الى ٤٤٠ ، ثم اضيف اليها برج الجرس - وهو أعلى أبراج روما واحدثها - سنة ١٣٧٧ .. اما السقف فقد نحت ونقش فى عصر النهضة ، ثم موه بالذهب من أول رسالة من هذا المعدن احضرها كريستوف كولمبس من امريكا الى اسبانيا واهداها ملكا اسبانيا « فردينناند » و « ايزابيللا » الى البابا اسكندر السادس .**

« سايك » محبوبة كيوبيد اله الحب ، يحملها الها الريح : تمثال للفنان « جبسون » بالمتحف الاهلى للفن القديم ، بروما .

بقى من ميادين روما ميدان القديس بطرس ، (وسيجىء ذكره عند الكلام عن مدينة الفاتيكان) ، ثم ميدان « ايزيدرا » الذى يتوسط حى المحلات التجارية والملاهى ، وبه مقهى فاخر يحتل جانبا كبيرا منه وتعزف فيه فرقة موسيقية كل مساء .. كما تتوسطه نافورة جميلة ، حديثة نسبيا ، اذ انشئت سنة ١٨٨٥ ، وهى تضاء ليلا فتكسب الميدان منظرا خلابا . والشارع الرئيسى الذى يتفرع منه يقابل شارع ٢٣ يوليو فى القاهرة (فؤاد الاول سابقا) من حيث ازدحامه بالمارة والحوانيت والمطاعم الانيقة ..

« سقوط الانسان » ، أو خطيئة آدم وحواء : قطاع من لوحة ميكيل أنجلو « يوم الحساب » التى رسمها على جدار كنيسة « سيكستين » بالفاتيكان

الفاتيكـــان

الدولة .. والقصر .. والمتحف !

◆ فى قلب روما ، تقع مدينة الفاتيكان ، عاصمة دولة الفاتيكان الحرة المستقلة ، اصغر دول العالم رقعة وسكانا - اذ لا تزيد مساحتها عن ثلاثة ارباع كيلو متر مربع (أو ٤٤٠ الف متر مربع على وجه التحديد) ، ولا

يزيد عدد رعاياها عن ٩٥٠ شخصا ! – ومع ذلك فان عدد رعاياها ((الروحيين)) يبلغ مئات الملايين فى كافة انحاء العالم ، هم جميع المسيحيين من اتباع المذهب الكاثوليكى فى شتى بقاع الأرض .. ونفوذها على جميع الدول ، الكبرى والصغرى ، لا يقدر مداه .. بل ان كلمة يصدرها ((البابا)) ، رئيس هذه الدولة ، قد تفوق فى تاثيرها واخضاع الشعوب لها ، اقوى جيوش العالم مجتمعة !

والبابا هو اقوى حاكم مطلق فى العالم ، فهو يجمع فى يده السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ! .. وباسمه تسك العملة ، وتصدر طوابع البريد ، ولدولته محطة اذاعة خاصة ، ويمثل مختلف دول العالم لديها ممثلون دبلوماسيون .. وهى الدولة الوحيدة التى تحدها من جميع الجهات جدران واسوار عالية ، لا ينفذ المرء منها الى داخل الدولة الا من احد ابواب ثلاثة ، وبتصريح خاص . (ولا يباح الدخول بلا قيود الا الى كنيسة الدولة ومتحفها – كنيسة ومتحف ((الفاتيكان)) – دون سائر معالمها الاخرى !) ..

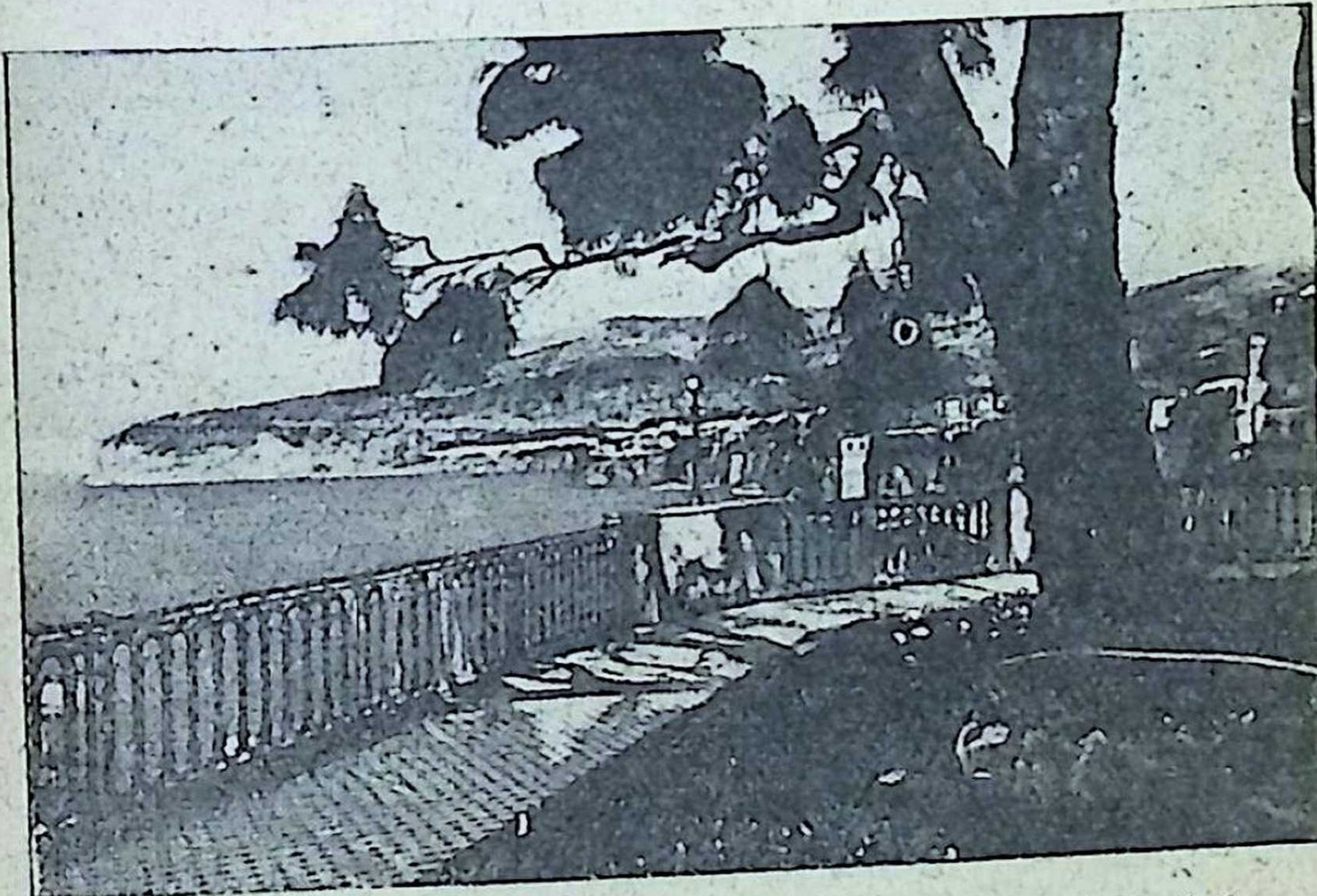

ساحل بلدة (سورنتو) المشرف على جزيرة (كابرى) ، كما يبدو من حديقة فندق ((تيرازا)) المطل على البحر

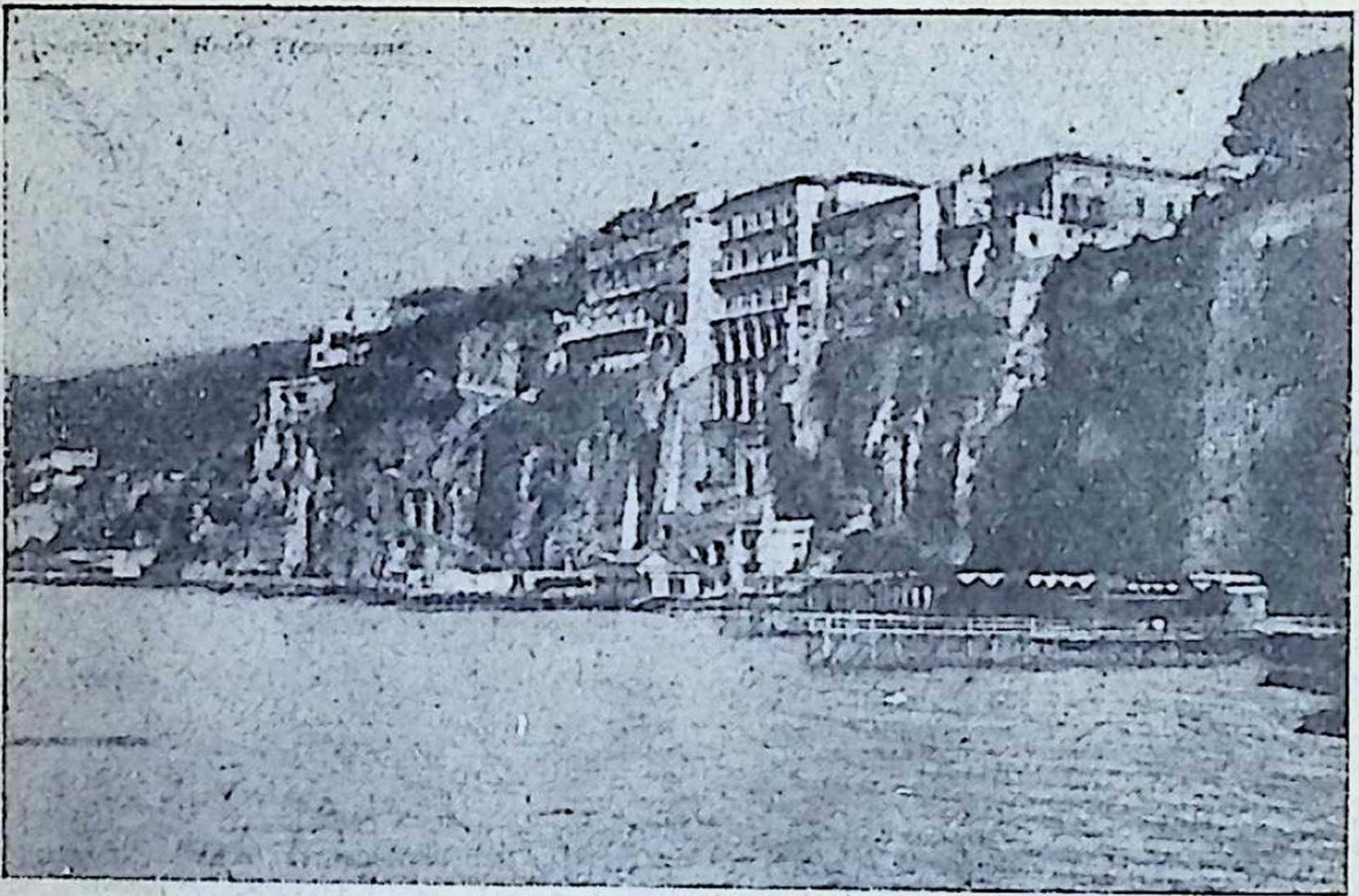

على صخرة شاهقة من ساحل (سورنتو) ، شيد هذا الفندق الفاخر المطل على البحر فى مواجهة جزيرة كابرى

وانت تستطيع ان تقطع الدولة من اقصاها الى اقصاها سيرا على قدميك ، فى اقل من ساعة !

❖

◆ وتاريخ «دولة » الفاتيكان يختلف عن تاريخ قصر الفاتيكان اختلافا زمنيا سحيقا : فالدولة ككيان دولى وسياسى عمرها ٢٥ عاما فقط ، بينما قصر الفاتيكان كمقر دينى للبابا يزيد عمره على الستة قرون !

ففى ١١ فبراير سنة ١٩٢٩ خلقت دولة الفاتيكان ، بمقتضى معاهدة « لاتران » التى عقدت بين البابا وبين الحكومة الايطالية ، والتى اعترفت فيها ايطاليا بانشاء «دولة» الفاتيكان واستقلالها عنها استقلالا تاما ، مقابل اعتراف البابا بمدينة روما كعاصمة لايطاليا ، كدولة موحدة . (وكان البابا يعارض فى هذا الاعتراف منذ توحدت ايطاليا عام ١٨٧٠ واستولت حكومتها على مدينة روما ، التى كانت قبل ذلك ولاية مستقلة عن بقية « الولايات » الايطالية المتفرقة !) وبذلك وضع حد لنزاع بين السلطتين دام ستين عاما ..

اما قصر الفاتيكان كمقر للبابا فيرجع الى عام ١٣٧٧ ، حين نقل الكرسى البابوى اليه لأول مرة ، بعد أن كان مقره فى « أفينيون » منذ سنة ١٣٠٩ ، وفى « لاتران » قبل ذلك التاريخ ..

وأما كنيسة الفاتيكان - أو « كنيسة القديس بطرس » بتعبير أدق - فقد تم تشييدها وافتتحت حوالى عام ١٥١٠ ، بعد ١٧٦ عاما من الشروع فى بنائها : ولتشييد هذه الكنيسة قصة ترجع الى تاريخ استشهاد القديس بطرس - أحد تلاميذ المسيح وحوارييه الذين عاصروه - فقد صلب بطرس بأمر من الطاغيــة نيرون فى ملعب ((نيرونيانوس)) لمصارعة الوحوش . فلما جاء الامبراطور المسيحى قسطنطين ، أمر بان تشيد فوق قبر بطرس كنيسة فاخرة ، اعتبرت وقتئذ (سنة ٣١٩) احدى معجزات الهندسة والنقش .. لكن هذه الكنيسة اهملت خلال القرن الرابع عشر - اثناء اقامة البابا فى ((أفينيون)) - اهمالا تاما ، صار من المستحيل معه اصلاحها .. فأمر البابا ((نيكولا)) الخامس بهدمها واعادة بنائها من جديد ، فلما مات البابا المذكور اوقف العمل فيها الى حين ، ثم استؤنف بعد سنوات .. واخيرا افتتحت الكنيسة حوالى سنة ١٥١٠

وقد تعاقب على تزيين الكنيسة بنقوشه الخالدة كل من الفنانين « رفاييل » ، و « ميكيل انجلو » ، كل فى عهده . وكان الاخير هو الذى وضع تصميم قبة الكنيسة (الدوم) ذات الشهرة العالمية ، ويصعد اليها الزوار بمصعد يوصلهم الى طرفها الاسفل ، ثم يكملون الصعود بالسلم نحو مائة درجة اخرى حتى يصلوا الى شرفتها المطلة على أجمل منظر لروما بأسرها !

وتعتبر كنيسة «سان بييترو» كما يطلق عليها بالايطالية (أو «سان بيير» بالفرنسية ، أو « سانت بيترز » بالانجليزية) أفخم وأوسع كنائس العالم قاطبة ، وهى من الداخل تسطع بالاضواء الخلابة المنبعثة من جدرانهــا الرخامية التى تلمع كالمرايا ، وسقفها واعمدتها الموشاة بالذهب ، فى سخاء لا يكاد يتصوره العقل ، مما يجعلها كنزا لا يقدر بملايين الجنيهات ! .. وارض الكنيسة ، وكلها من الرخام ، لا تقل لمعانا وبريقا عن جدرانها وسقفها. والعرش البابوى الذى يتوسطها يفوق فى البذخ عروش اعظم ملوك العالم فى أزهى عصورهم !.. وتحوى الكيسة كنوزا من اللوحات والتماثيل الفنية ، ومن أهمها الصرح الخالد لميكيل انجلو الذى أطلق عليه (PIETA) أى « الشفقة » وقد نشرت لك صورته وصورة قطاع منه فى صفحتى ٣١ ، ٣٦

من العدد الماضى ـ وهو يمثل العذراء « مريم » تحمل جثمان المسيح .. ومنها أيضا قبر البابا « كليمنت الثالث عشر » للمثال كانوفا ـ (وترى صورة لأحد تماثيل القبر المذكور فى صفحة ١٤ من هذا العدد) ـ وقبر أسرة « ستيوارت » لنفس الفنان ، (وترى صورة جزء ضئيل من هذا الصرح الرائع ، فى صفحة ١٥) .. الخ ـ كما ترى صورتين للكنيسة من الداخل والخارج فى صفحة ٣٣ من العدد الماضى .

وتبلغ مساحة هذه الكاتدرائية العالمية ١٦٠ر١٥ مترا مربعا ، وطولها ١٨٧ مترا ، وعرضها ١٣٧ ، وارتفاع قبتها المشهورة ١٣٢ ، وقطرها ٤٢ ـ وقد روعى أن تشيد فوق نفس الموقع الذى دفن فيه القديس بطرس ! ـ وهى ترتكز على أربعة أعمدة رئيسية ضخمة نحتت فيها تجاويف على شكل محاريب تحف بها أبدع التماثيل لأعظم فنانى ذلك العصر وفى مقدمتهم « برنينى »

ميدان القديس بطرس : وهو من أجمل وأكبر ميادين العالم ، وقد وضع تصميمه ونفذه الفنان برنينى ، واستغرق ذلك منه أحد عشر عاما (١٦٥٦ ـ

زوارق السائحين تتزاحم حول مدخل « المغارة الزرقاء » فى أسفل جانب من صخور جزيرة كابرى

١٦٦٧) .. وهو محاط بقوسين كبيرين ، (على شكل نصفى دائرة) ، مؤلفين من ٣٧٢ عامودا ضخما ، فى ٤ صفوف متوازية ، يرتكز فوقها سقف دائرى يغطى ما يسمى « بالبواكى » ، وفوق السقف ينهض ١٤٠ تمثالا هائلا من أبدع آيات فن النحت ، تمثل مختلف القديسين والشهداء .. وطول الميدان ٣٤٠ مترا ، وعرضه ٢٤٠ ، وتتوسطه المسلة المصرية التى نقلها الامبراطور ((كاليجولا)) من هليوبوليس الى أحد ملاعب روما لمصارعة الوحوش ، حيث لم تلبث أن شهدت مصرع القديس بطرس مصلوبا وراسه الى أسفل .. وفى سنة ١٥٨٦ نقلت الى مكانها الحالى أمام مدخل الكنيسة التى تحمل اسم القديس الشهيد ، واستغرق الاستعداد لنقلها ستة اشهر ، واشترك فى هذه العملية يوم اتمامها تسعمائة رجل ، بحضور حشد كبير من النظارة !.. واذا وقفت اليوم أمام مدخل الكاتدرائية ونظرت فى اتجاه المسلة ، يخيل اليك كأن جناحى الاعمدة التى عن يمينك ويسارك ، أشبه بذراعين هائلتين للمعبد ممدودتين تستقبلان الوافدين اليه ، وفى ترحيب ومودة .. ورأيت أمامك ، عن يمين المسلة ويسارها ، نافورتين جميلتين تنبثق منهما ينابيع المياه فى قوة وغزارة ، وتضفيان على الميدان ــ ولا سيما فى الليل ــ رونقا فوق رونقه ! (وترى صورتين للميدان فى صفحتى ٣٢ ، ٣٣ من العدد الماضى)

متحف الفاتيكان ومكتبته : وهما جزء من أبنية « قصر الفاتيكان » ، الذى يتألف من عدة أجنحة ومبان منفصلة شيدت فى عصور مختلفة ، وتبلغ مساحتها جميعا ٥٥ ألف متر مربع ، وعدد قاعاتها نحو ألف وأربعمائة !.. ولا تشغل مساكن البابا وحاشيته من رجال البلاط سوى جزء ضئيل من القصر ، بينما خصص الباقى للمتاحف ــ فهى أكثر من متحف واحد ! ــ والمكتبة الهائلة التى تضم الآن نحو نصف مليون مجلد ، وستين ألف مخطوط ، وسبعة آلاف مجلد عتيق من أوائل عهد اختراع الطباعة . وبناء هذه المكتبة يعتبر من أفخم أبنية العالم وأكثرها بذخا واسرافا (كما ترى فى صورتها المنشورة فى صفحة ٣٤ من العدد الماضى) وقد أمر ببنائها البابا ((سيكسكان)) فى عام ١٥٨٨ .. ومن أشهر محتوياتها المعروضة فى واجهات زجاجية نسخ خطية أصلية من كتابات ((بترارك)) و ((بوكاشيو)) و ((شيشرون)) .. الخ.

ومن العبث أن أحاول فى هذه الصفحات ، أو فى كتاب بأكمله ، أن أصف لك كنوز الفن التى تحتويها متاحف الفاتيكان ومكتبته .. فهى تجل عن الوصف .. ومجرد تعداد اللوحات والتماثيل الفنية التى تحتويها يستغرق وحده مئات الصفحات !.. واذن فحسبك منها ما أنقله اليك على الصفحات الثمانى المصقولة فى كل عدد .. وحسبى أن أشير اشارة موجزة الى أسماء

صورة لزورقين داخل ((المغارة الزرقاء)) ، وترى فى أقصاها الفتحة الضيقة التى تنفذ منها الزوارق اليها .

((قاعات)) متاحف الفاتيكان الرئيسية ذات القيمة الفنية ، وأهم ما اشتهرت به كل منها ٠٠ وفى مقدمة هذه القاعات القاعة المعروفة باسم :

قاعة سيكستين : نسبة الى البابا ((سيكست)) الرابع ، وقد أنشئت خلال المدة بين عامى ١٤٧٣ – ١٤٨١ ، على طراز الزوايا القائمة ٠ ورسمت جميع جدرانها باللوحات الجبارة التى ساهم فيها كثيرون من الرسامين الخالدين وفى مقدمتهم ((بوتيتشيالى)) ، ومنها ما يمثل تاريخ موسى ومقامه فى مصر ، وقتاله مع ((المصرى)) ، وعبوره البحر الاحمر ، وصعوده الى جبل سينا ، والحزن على وفاته .. الخ . أما سقف القاعة ، الذى لا يدرك البصر مداه ، فشىء خارق لكل تصور ! .. يكفى أن تعلم انه مرسوم كله – والرسم على البناء نفسه لا على لوحات منفصلة – بريشة ((ميكيل انجلو)) ، الذى بدأ العمل فيه فى ١٠ مايو سنة ١٥٠٨ وأتمه بعد اربع سنوات كاملة ، قضاها نائما على ظهره من صباح كل يوم الى مسائه على ((سقالة)) معلقة ، يرسم بريشته والوانه ((قصة الخليقة)) بجميع اطوارها :

خلق الشمس ، والقمر ، وفصل البحر عن البر ، وخلق الانسان ، وخلق حواء ، والخطيئة الاولى ، وطرد آدم وحواء من الجنة ، وقصة نوح ، والطوفان .. الخ . وبعد عشرين سنة ، اكب « انجلو » سبع سنوات أخرى على جدار عريض من جدران القاعة يرسم عليه لوحة « يوم الحساب » .. وقد حدث عقب فراغه منها أن ثار البابا «بيوس الرابع» بسبب عرى الكثيرات من النساء فى اللوحة ، فكلف رساما يدعى « دانييل دا فولتيرا » بأن « يلبس » أولئك النساء ثيابا تغطى مفاتنهن !.. ويقال انه فعل ذلك انتقاما من انجلو الذى رسم وجه أحد قاطنى الجحيم فى اللوحة بحيث يشبه ملامح البابا المذكور !

ومن الاجنحة الاخرى الرئيسية فى متاحف الفاتيكان : جناح « رفاييل » ، جناح بورجيا ، جناح كيارامونتى ، جناح التماثيل (الرومانية واليونانية) ، جناح سجاجيد الحائط واللوحات المنسوجة ، جناح الخرائط الجغرافية ، جناح الشمعدانات .. ثم جناح :

المتحف المصرى : ويتألف وحده من عشرات القاعات ، التى خصصت كل منها لفرع من فروع الفن أو عصر من عصور التاريخ المصرى . ومن أهم معروضات هذا المتحف : رأس الملك امنحتب (من الاسرة الحادية عشرة) ، وتمثال والدة رمسيس الثانى (حوالى عام ١٣٣٠ قبل الميلاد) ، و٢٣ قطعة من تمثال رمسيس .. عدا عشرات المومياءات المحنطة والكثير من مخلفات المصريين القدماء !

« تيفولى »
الفردوس الأرضى !

◆ **والآن** ، تعال معى نزور أشهر ضواحى روما وأجملها : «تيفولى»! .. ان زيارتها لمن أهم وامتع النزهات التى تيسرها روما لنزلائها أو قاطنيها فانت تستطيع أن تركب البهيـــ

شرفة محطة « المصعد الطائر » الذى ينقل زوار (كابرى) بين الميناء واعلى الجزيرة

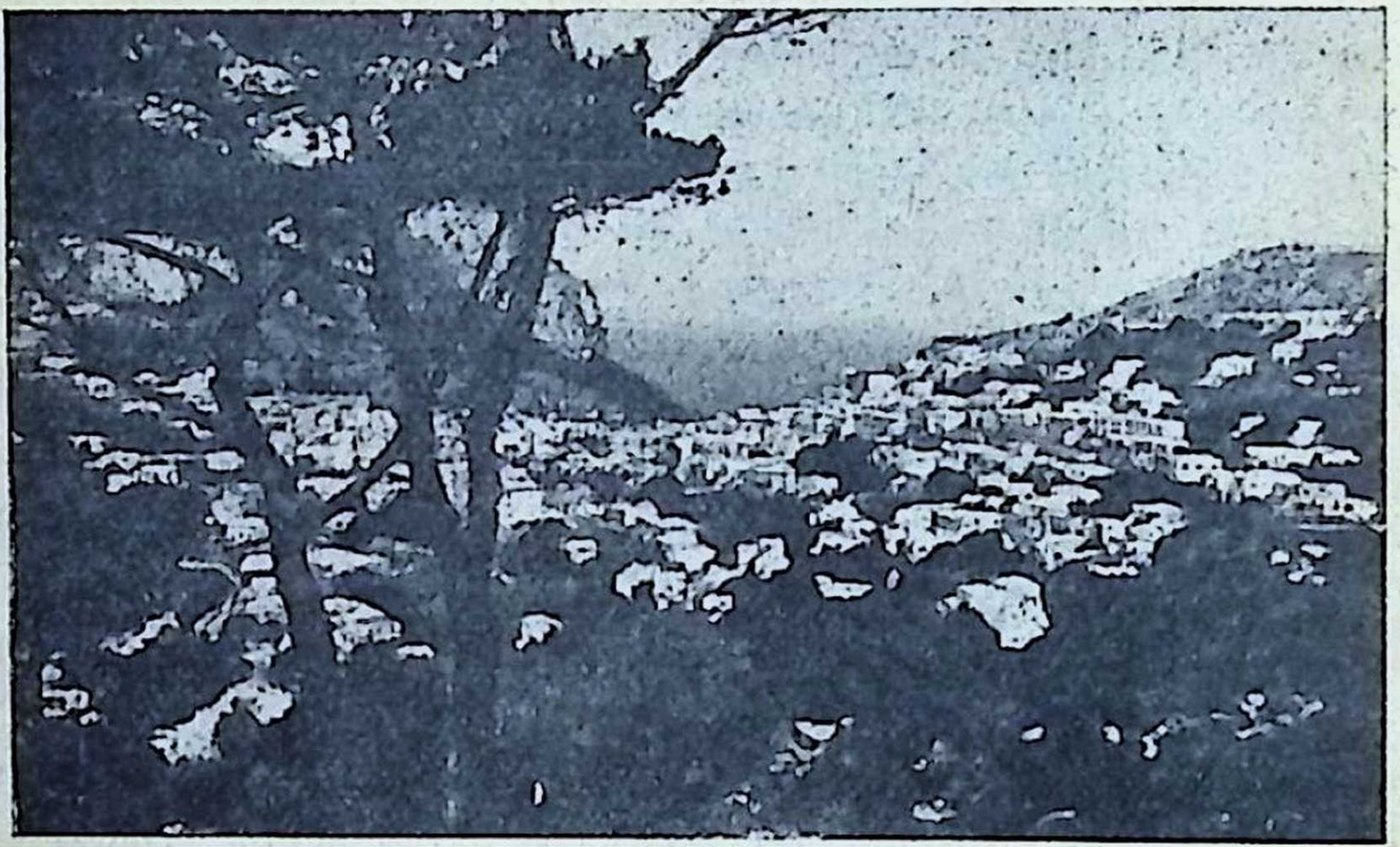

منظر عام لجزيرة كابرى كما ترى من احد مرتفعاتها ، وبين هذه المباني المتناثرة وسط الحدائق الفناء شيد أكثر أثرياء العالم قصورا فاخرة لهم يقضون فيها أياما حالمة

الاوتوبيس ، الذى يقطع المسافة - وهى ٣١ كيلو مترا - فى خمسين دقيقة ، أو تستقل القطار الذى يقطعها فى نصف هذه المدة ، ويمر بك خلال الطريق فى أربعة انفاق !

لكن الذهاب بالاوتوبيس أفضل ، لانه يتيح لك أن تتخلف أثناء الطريق عند « فيللا أدريانا » - التى لا تقل استحقاقا للزيارة عن تيفولى - ثم تواصل نزهتك بعد ساعات الى الضاحية

و « **فيللا ادريانا** » هى أوسع وافخم القصور الامبراطورية التى عرفها عصر الرومان . وقد كانت المقر المفضل للامبراطور « أدريان » ، الذى يقترن اسمه بالعصر الذهبى للامبراطورية الرومانية ، فقد بلغت فى عهده أوج مجدها واتساع رقعتها وعظمة نفوذها - اذ وصلت حدودها يومئذ الى ألمانيا واسكتلنده شمالا ، وشمال افريقيا جنوبا - **لكن ادريان كان انسانا واسع الافق رفيع المزاج ، فلم يلبث ان استدعى جيوشه من أقصى أطراف امبراطوريته ، مستعيضا عن تشتتها - لحراسة تلك الأطراف النائية - بانشاء أسوار على حدود ألمانيا واسكتلنده تذود غزو البرابرة . ولم يكد**

يطمئن الى تامين سلامة الامبراطورية على هذا النحو حتى بدأ رحلته المشهورة الى كافة اقطار العالم - التى كانت معروفة حتى ذلك العصر - مستصحبا معه أفواجا من المهندسين والفنانين والنجارين ٠٠ وبدأ ينفذ أثناء رحلته سلسلة من المشروعات العمرانية ، فراح يبنى - أينما حل - الطرق ، والكبارى ، والمعابد ، والمسارح ، والنافورات ٠٠ بحيث لا يزال كثير من بقاع أوربا وأفريقيا التى كانت يومئذ تحت الحكم الرومانى ، يحمل آثار همة هذا الحاكم المعمر

وبعد ترحال استمر ثمانية أعوام ، عاد الامبراطور الى روما وشرع فى تشييد هذه الفيللا - بل هذه المستعمرة الضخمة - التى اقتبس تصميمها من مشاهداته فى رحلته الطويلة ، واعتزم أن يزينها بنماذج « مقلدة » لجميع التحف الممتازة التى رآها فى كافة البلاد ، كيما يعطى رعاياه فرصة رؤية أهم الآثار الهامة فى العالم الرومانى دون أن يتكبدوا مشقة السفر ونفقاته الطائلة التى لم تكن فى متناول غير الاثرياء منهم !

٠٠ وقد استغرق بناء الفيللا وتزيينها أحد عشر عاما (١٢٥ - ١٣٦) ، واشتركت فى هذه المهمة أنبغ العناصر والكفاءات فى الامبراطورية ٠٠ فلا عجب ان جاءت الفيللا ، أو القصر ، آية فى فن المعمار - بل فى جميع الفنون التى عرفها الانسان ! ٠٠ لكن « أدريان » لم يهنأ بالسكنى فيها طويلا ، اذ لم يلبث أن أصيب بعد عامين بمرض خطير قضى على حياته فى جهة « بايا » بجوار نابولى ٠ وعلى اثر وفاته هجرت الفيللا وبدأت تمدو عليها يد السلب والنهب ، وكان « كاراكالا » أول امبراطور بدأ عمليات العدوان ، فنقل منها أروع آيات الفنين الرومانى واليونانى القديمين ، كى يزين بها «حماماته» العامة التى حدثتك عنها !

وخلال العصور الوسطى ظلت الفيللا ، قرونا طويلة ، الملاذ أو المأوى المختار الذى تتحصن فيه قبائل الهون وسواها من قبائل ألمانيا وأوربا الشمالية ، مصحوبة بملوكها وزعمائها وقوادها ، تمهيدا لشن هجماتهم منها على روما وتيفولى ٠٠ وهكذا أمست الفيللا مصدر خطر دائم يتهدد سكانهما ، فاعتزموا ان يدمروا الجزء الذى بقى سليما منها كى يمنعوا الغزاة من التحصن فيه !.. ثم جاء عصر النهضة ، فنقل البابوات الكثير من تحف القصر الباقية كى يزينوا بها قصورهم والكنائس التى شيدوها ٠ وفى العصور التالية بيعت مئات اخرى من مخلفات القصر وتحفه الفنية ، التى تزين الآن الكثير من متاحف اوربا وروما ..

ورغم ذلك كله ، رغم العدوان والسرقات التى استمرت قرونا طويلة ، فان الفيللا ماتزال تعتبر ، الى اليوم ، الأثر الوحيد الباقى فى العالم ، الذى يعطى «فكرة» عن مدى قوة وثراء روما القديمة .. فانت تسير فى أرجائها أميالا وأميالا فوق أرض من الموزايكو ، تحيط بك من كل جانب أطلال رائعة لجوانب الفيللا ، وشرفاتها ، ومعابدها ، وحماماتها.. الخ .. ذلك انها ليست «فيللا» بمعنى الكلمة وانما هى مجموعة من أربعة مبان مستقلة : القصر الامبراطورى ، والاكاديمية ، والمسرح الاغريقى ، ومعبد «السرابيوم» - والاخير مبنى على نسق معبد « سيرابيس » القريب من الاسكندرية ، وقد استوحاه أدريان من زيارته لمصر وزينه بأكثر التحف المصرية التى ترى الآن فى متحفى الفاتيكان والكابيتول . ويقودك الى هذه الأبنية المتفرقة ممشى طويل تحف به أشجار السرو من الجانبين على نسق رائع .. وقد أقيم فى مدخل الفيللا مطعم أنيق ، جلبا للسياح وتوفيرا لراحتهم .. ولن أستطرد فى وصف كل بناء من أبنية فيللا أدريان ، فهذا شيء .. يطول شرحه !

منظر لجانب من ساحل (كابرى) ، وترى الى اليمين الشرفة الساحرة لمتنزه « أوجستو » المطل على البحر ، وقد انتثرت فيه المقاعد العامة

ابن « لوكريشيا بورجيا » !

◆ ولنمض الآن لنواصل رحلتنا بالاوتوبيس الى ضاحية « تيفولى » نفسها الواقعة على ضفة نهر « انيو » ؛ وهى ترتفع عن مستوى البحر ٢٢٥ مترا ، ويقطنها حوالى عشرون الف نسمة ، وقد شيدت قبل تشييد روما بنحو ٤٦٠ عاما (أى حوالى عام ١٢١٣ قبل الميلاد) ، وخلال الفترة الاخيرة من عهد الجمهورية والفترة الاولى من عهد الامبراطورية صارت المقر المفضل لرجال السياسة، والشعراء ، والخطباء، والقادة، وافراد الطبقة الرفيعة من أهل روما . وباتت «الموضة» أن يبنى فيها كل ثرى مقتدر قصرا فاخرا له يزهو به على قصر سواه . وهكذا بنى يوليوس قيصر وقاتلاه « بروتوس » و « كاسيوس » والشاعر كاتالاس ، والثرى «بروبرتيوس» وخليلته الحسناء سينزيا ، وغيرهم ، قصورا فاخرة لهم على سفوح تلالها ، ما تزال بقاياها ترى اليوم ..

صخرتا « فراجليونى » كما تشاهدان من احدى شرفات حدائق كابرى الساحلية

لكن أروع ما بقى من تلك القصور حتى الآن ، فيللا « ديستى » ، التى هى المقصد الرئيسى لزوار تيفولى كل يوم .. وهى اجمل قصر من مخلفات عصر النهضة فى أوربا باسرها . وقد شيدها (حوالى عام ١٥٧١) الكردينال ديستى ، احد الابناء الاربعة الذين انجبتهم السفاحة الرهيبة «لوكريشيا بورجيا» من زوجها الدوق دى فيرارا . وتعتبر الفيللا تحفة من تحف فن المعمار ، ولا سيما حديقتها المدرجة الى أسفل ، ذات الطوابق العديدة ، والمنعطفات ، والكهوف ، والاشجار العتيقة والمماشى الرائعة ، والبحيرات .. بل ذات الشلالات والنافورات الخلابة التى تنبثق منها المياه فى كل ركن من أركان الحديقة على نسق لا يظن ان فى الدنيا مثيلا له ! (وترى صورة لركن من الحديقة فى صفحة ٢٦ من العدد الماضى)..

وتدر رسوم دخول الفيللا ، التى تحصل من مئات الزائرين كل يوم ، دخلا طيبا لمصلحة السياحة الايطالية !

فاذا أشبعت عينك من مناظر الحديقة الخلابة - وهيهات ان تشبع - فتعال معى نصعد عشرات الدرجات والسلالم المختلفة التى هبطناها .. ولنمض فى شوارع الضاحية متجهين نحو « شلالات تيفولى » الجميلة المشهورة التى تمتد مسافة طويلة ، وهى شلالات طبيعية من صنع نهر (أنيو) .. وعلى بعد ميل منها ، مبنى «الاستراحة» الفاخرة التى بناها البابا جريجورى السادس عشر لمناسبة افتتاح هذه الشلالات عام ١٨٣٤ .

والآن ، هيا بنا نعود الى روما لنبدأ منها فى الغد رحلة أخرى الى نابولى .. وكابرى

كورنيش موسولينى

◆ والرحلة الى المدينة المرحة ، ومنها الى الجزيرة القابعة فى البحر بالقرب من خليجها الساحر ، تنظمها شركات السياحة يوميا بالأوتوكار الفاخر ، فتبدأ فى الساعة الثامنة صباحا .. وتنتهى فى منتصف الليل . وتتفنن تلك الشركات فى اجتذاب السائحين وارضائهم واراحتهم ، فتزود كل أوتوكار بجهاز راديو ، ودليل مثقف أمامه ميكروفون يكفل لجميع الركاب سماع صوته الهادىء بوضوح وهو يشرح معالم الطريق بتفصيل شائق ، يربط فيه بين الماضى والحاضر

.. وكم يشرح الصدر ان ترى السائق أنيقا نظيفا ، فى قميصه المكوى وذقنه الحليقة وشعره المصفف ، وأمامه آنية للزهر معلقة بجدار السيارة ، يفوح منها أريج يملأ اعطاف الركاب انتعاشا !

.. والشعب الايطالى على العموم يقدس الازهار ، ويضعها فى كل مكان يتردد

مدخل الفيللا الانيقة التى شيدها الاديب السويدى الدكتور « أكسيل مونته » - عاشق كابرى - وقضى فيها سنواته الأخيرة ..

عليه ، حتى فى المقابر وكهوف (الكاتاكومب) ــ التى كان يلجأ اليها المسيحيون أيام اضطهاد نيرون لهم فى فجر المسيحية ــ بل انك تدهش حين يمر بك الأوتوكار على قرية (جنسانو) ، فيحدثك الدليل عن التقليد الذى درج عليه أهل القرية ، وهو تغطية الطريق فى يوم الأحد الثالث من شهر يونيو ، كل عام ، ببساط من الزهر مرسوم على شكل « لوحات » فنية دينية ، رائعة الدقة !

والطريق من روما الى نابولى ــ ويدعى طريق « أبيا » ــ كورنيش رائع ، جبلى فى أكثر مراحله ، يبلغ طوله ٢٤٠ كيلو مترا . وقد شقه ورصفه موسولينى على أحدث طراز ، بمحاذاة الطريق العتيق المهجور الذى كان قد شقه الامبراطور « أبيوس كلوديوس » عام ٣١٢ قبل الميلاد .. وهو يمر

سكك حديد جمهورية مصر

تعلن المصلحة بانها قد هيات لاهالى وتجار حى السيدة زينب وشبرا فرصة للتخليص على البضائع المطلوب نقلها الى مختلف الجهات وذلك بافتتاحها مكتبين احدهما بشارع الخليج المصرى رقم ٢١٥ والآخر بشارع شبرا رقم ١٠٥ مقابل عشرين مليما عن الطرد الأول وعشرة مليمات عن كل طرد من باقى طرود الرسالة نظير التوصيل من المكتبين الى محطة القاهرة ومنها الى جهة الوصول .

ولزيادة الايضاح المرجو الاستعلام من جميع المحطات ومن ادارة الحركة والبضائع « قلم التعاريف » تليفون ٧٧٣٦٤

سلاح الاسلحة والمهمات ـ اعلان

تقبل العطاءات بادارة العقود المشتريات بسلاح الاسلحة المهمات بالمعادى لغاية الساعة لثانية عشر من ظهر يوم ١٩٥٥/١/١٠ عن توريد صوف

فانلة كاكى للقمصان ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ٤٥٠ مليما يضاف اليه مبلغ ٥٠ مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما

٩٧٢٨

بالكثير من معالم الرومان الاثرية ، فهذه أطلال ميدان سباق (كابانيللى) الذى شيده نيرون ٠٠ وهذه آثار من عهد كاليجولا ٠٠ وهذا معبد «جوبيتر» الذى يرجع تاريخه الى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ٠٠ وهنا تستريح ربع ساعة فى قرية (تيراتشينا) ، حيث تجد مقهى مزودا بالحلوى والمشروبات والقهوة الـ ((اسبريسو)) التى تعد بأحدث الاجهزة ، وكأنك فى ((بوفيه)) فاخر بأكبر شوارع العاصمة ! - وهذه الظاهرة ملحوظة فى جميع ((القرى)) الايطالية التى يمر بها السياح ، وليتنا نفعل عشر هذا فى ((مدننا)) السياحية العالمية مثل الاقصر وأسوان ! - بل انك تجد أيضا بجوار المقهى صيدلية كبرى مستوفاة المستحضرات ، ومتجرا للفاكهة فى نظافة ندى الصباح ، يستطيع المسافرون أن يتزودوا منه لبقية الرحلة بما يلذ لهم من الخوخ الفاخر أو سواه ٠٠٠

والى العدد القادم ، حيث نواصل رحلتنا الى نابولى وكابرى

اعلان مسابقة

لتأليف كتاب الحضارة المصرية والحضارات الشرقية فى العصر القديم فى مادة التاريخ للسنة الثانية الثانوية اضافى

تعلن وزارة التربية والتعليم عن حاجتها الى كتاب الحضارة المصرية والحضارات الشرقية فى العصر القديم فى مادة التاريخ للسنة الثانية الثانوية اضافى فى العام الدراسى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ، والكتاب الذى تسفر المسابقة عن صلاحيته تشترى الوزارة حق تأليفه بصفة مطلقة ومكافأته ٤٠٠ جنيه ((أربعمائة جنيه)) ٠

وتقدم أصول الكتاب الى مراقبة التوريدات بوزارة التربية والتعليم شارع صفية زغلول بالقاهرة فى ميعاد غايته نهاية مايو سنة ١٩٥٥٠

وقد وضعت الوزارة لهذه المسابقة شروطا وتوجيهات يمكن للمتسابقين الحصول عليها من مراقبة التوريدات مجانا ٠

٦٧٠٧

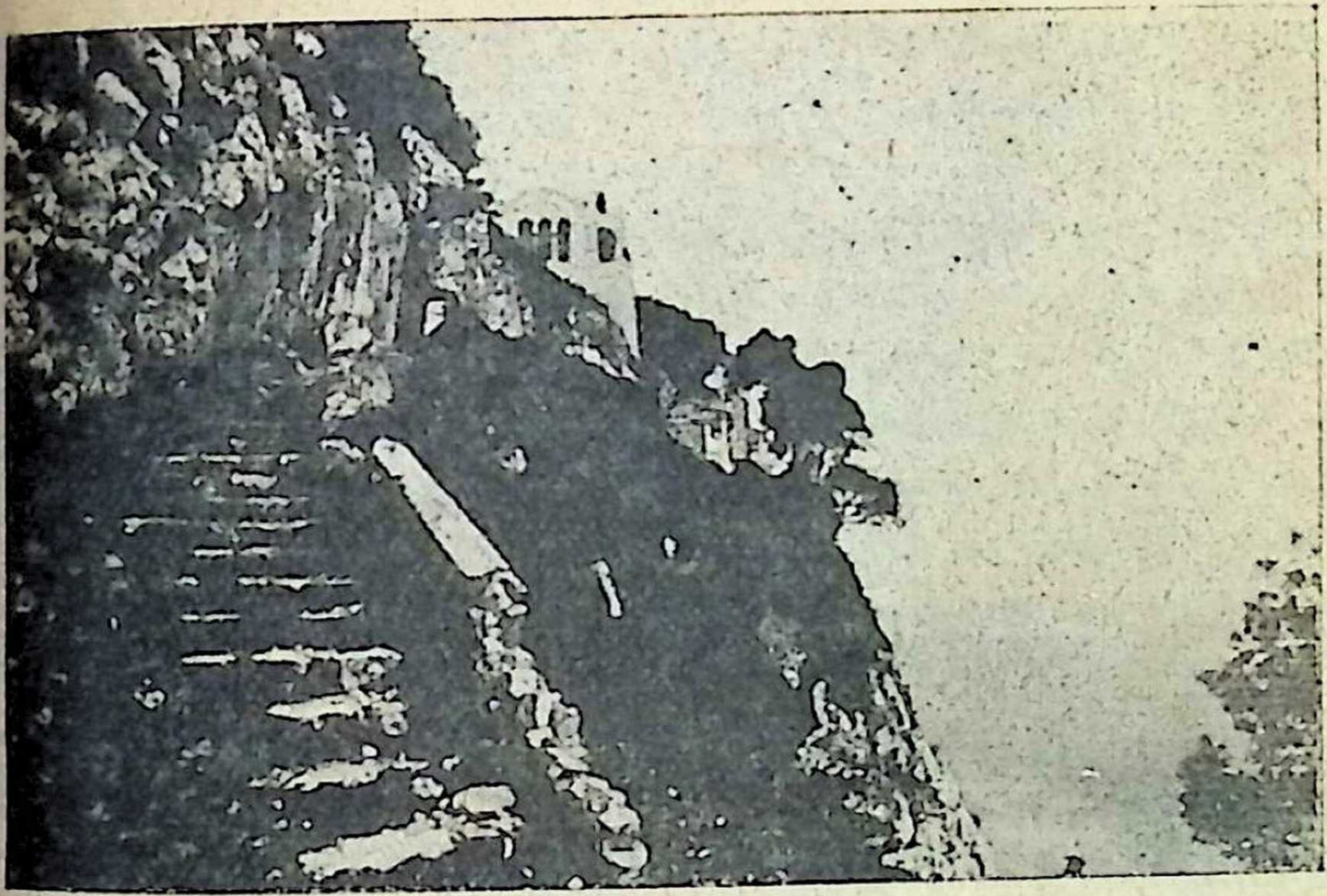

فى أعلى قمة من جزيرة كابرى ، شيد الدكتور ((أكسيل مونته)) مثواه الحالم الذى يرى ناتئا من الصخور .. وفى مقدمة الصورة السلم الصخرى الذى يؤدى اليه

مديرية الفيوم - اعلان

تعلن مديرية الفيوم عن عرض بيع ٢١ قيراط بحوض ابو جحشه الوسطانى رقم ٢٢ قطعة رقم ضمن ٥٠ من تكليف عبد العال عبد القادر محجوز عليها عقاريا نظير المتأخر من اثمان اطيان الحكومة المبيعة بالتقسيط على البيعة رقم ٣١٢٤ بناحية الربع مركز ابشواى ومحدد لجلسة البيع يوم ١٩٥٥/١/١٨ بثمن اساسى قدره ١٢٠ جنيها للقدر المحجوز بناقص الخمس الاول وضع يد على عبد القادر عبد المولى بسلسلة رقم ٦٢

والبيانات التفصيلية موجودة بقلم حجوز المديرية وموضحة بعدد الوقائع المصرية الصادر فى ١٩٥٤/٩/٢ /٧٠ لمن اراد الاطلاع عليها

٩٧٣٤

« حورية فوجئت فى الحمام ! »

هكذا اطلقوا على هذا التمثال اليونانى المعروض
بالمتحف الاهلى الرومانى ، بروما

الحب يكسر قوسـه !

تمثال يونانى لاله الحب ((ايروس)) - (كيوبيد عند الرومان) - بمتحف الكابيتول بروما

ظمأ قلب
قصة مصرية بقلم الأستاذ
محمد بدر الدين خليل

سـامى !

.. لا أدرى فى الواقــع بماذا أدعوك ... كنت أشتهى أن يكون ندائى اليك : « يا حبيبى » ، فشاءت الظروف أن تحرمنى مما اشتهيت .. وانقلب الوضع فأصبح من حقك على أن أدعوك « يا ولدى » !

لا شك أنك فى عجب من تصرفاتى فى الاسبوعين اللذين أعقبا زواجك ، وفى دهشة من رفضى أن أصحبك و « ديدى » الى البلد الذى انتقلت اليه بحكم عملك ، رغم ما تعلمه من أننى لم يسبق لى أن فارقت « ديدى » من قبل ، بل كنت دائما أعيش بقربها والى جوارها !

بنفسى رغبة طاغية فى أن أصارحك بقصتى .. وثق أنك الوحيد الذى أفتح له مغاليق قلبى ليقرأ سره .. فأرجو أن تظل الوحيد الذى يشاطرنى كتمان السر :

تبدأ هذه القصة التعسة منذ عشرين عاما .. عشرون عاما مرت متباطئة متكاسلة ، كأنها سلحفاة أثقل ظهرها العمـر الطويل . كنت اذ ذاك زهرة يانعة ، تتفتح عنها أكمامها فى رفق ، لتشرئب بعنقها متطلعة نحو النور .. نور الشـباب الزاخر بالامل والاحلام .. بيد اننى لم أكد ألمح أولى خيوط ذلك النور ، حتى تلقيت أولى الصدمات التى أدخرها لى القدر: اذ احتجزنى أهلى فى البيت !.. على أن تلك الصدمة لم تكن قاصمة ، اذ ساعدنى على التخفف منها أن القصص التى قرأتها أثناء دراستى فى « نوتردام دو ديو » كانت قد أرهفت حسى وشحذت خيالى ، وجعلتنى أعيش فى عوالم غير عالم الناس .. عوالم عجيبة ، غريبة ، كانت تثير فى نفسى حنينا طاغيـا شغلت به عن ضيق سجن البيت ومضايقاته .. فى حين كان هذا الحنين يذكى فى أعماقى ـ دون وعى منى ـ جذوة العاطفة

التى كانت قد بدأت تتقد بين جوانحى ٠٠ حتى اذا بلغ الاوار أشده ، فوجئت بالقدر يحاصر ألسنة اللهب ويحاول أن يخمدها !

وكان ذلك بعد أن بلغت الثامنة عشرة بأسابيع قلائل ، اذ تقدم لخطبتى مأمور بندر « كفر الشيخ » ، وكان له مما ورثه عن أبيه ما يقفز به مراحل فوق ما كان منصبه يتيحه له من مكانة ، فأعشى ذلك أبصار أهلى ، وأعماهم عن الفارق الذى كان يفصل بينى وبينه : فارق السن، اذكان فى التاسعة والاربعين، وكنت فى الثامنة عشرة !

وبدأت حياة تعسة ، كان القدر خلالها يحكم حصاره حول عواطفى المشبوبة ليكبت أجيجها ٠٠ لست أغمط زوجى حقه من الانصاف ، فلست أجرؤ أن أفترى على ميت !٠٠ لقد حاول جاهدا أن يسعدنى ، وظن أن السعادة تتمثل فيما كان يغمرنى به من هدايا ثمينة ، وفيما كان يرهقنى به من تدليل مسرف ٠٠ ولكننى كنت أرقب جهوده رائية له ، حزينة من أجل نفسى ٠٠ كنت زهرة لم تكد تتفتح للهواء والنور حتى اقتطفها شيخ متصاب ليزين بها عروة سترته ٠٠ أفتراه مهما أسرف فى الترفق بها يعوضها عن جزعها ؟!

وكأنما رق قلب القدر لى بعد اعنات ، فرزقنى فى نهاية العام الاول لزواجى بابنتى لتكون لى خير سلوى وتسرية ٠٠ فأوليتها كل اهتمامى ، وجهدى ، وتفكيرى ، وأخذت أصم أذنى قلبى المحروم عن نداءات الاحاسيس المكبوتة ، لأسمعه همسات « الامومة » ٠٠ وعودت أذنى أن تغفلا عن صرخات الانوثة الجائعة فى أحضان زوج فى خريف حياته ، لتسمعا صرخات طفلتى الحبيبة ٠٠ بل اننى تجاهلت المرأة الكامنة فى أعماقى والتى كانت تصبو الى فارس أحلام قوى الساعدين ، ريان القلب ، وحاولت ألا أشعر الا بوجود الام الشغوفة بصغيرتها ٠٠ وخيل الى اننى نجحت ٠٠ وأخذت رابطتى بابنتى

تزداد توثقا كلما خطت فى مدارج العمر خطوة · وغدت كل منا ترى فى الاخرى الجزء المكمل لها ، فلا سعادة لها الا فى وجودها الى جوارى ··

ثم مات زوجى ·· ولن أكون جاحدة اذا قلت ان صدمتى فيه لم تكن أشد صدمات الدهر ·· صحيح اننى حزنت عليه ، ولكن ·· حزن الجار لفراق الجار ·· والعشير لفراق عشيره ·· أما فيما عدا ذلك فلم تكن وفاة زوجى لتؤثر فى مجرى حياتنا بشىء ، اذ خلف لنا ثروة ومعاشا ضممناهما الى ما ورثته عن أهلى ، فاستطعت أن أحيا وصغيرتى فى نعيم مترف ·

وكأنما خفف موت زوجي من وطأة الضغط على أحاسيس الانوثة المكبوتة فى أعماقى ، فسرت نسمة الى الجذوة التى كانت تقبع تحت تراب أحداث القدر ، فأذكت ضرامها ·· وهنا لم يعد للقدر ذنب ، بل صرت أنا المستبدة الجبارة التى تدوس أنوثتها ، وتحاول اطفاء نار عواطف الشباب ، وتسد المسالك على المرأة الكامنة فى أعماقي تتحرق شوقا الى رى أحاسيسها ·· وهكذا تجاهلت شبابى وأنا فى الثامنة والعشرين ، فى أنضر سنى الحياة وأحفلها بالاحلام والاماني ، وأكثرها ظمأ الى المتع واللذائذ ·· وكرست حياتي لابنتى أعنى بتربيتها وتنشئتها ، وأوفر لها من السعادة ما فاتنى ·· ما حرمت منه نتيجة ظلم أهلي وتزمت القدر

لن تستطيع أن تقدر شقوتى وعذابى · كان قلبى يتمزق كلما صددت واحدا من أولئك الذين تهافتوا يطلبون يدي ،

ويزينون لى استغلال الفرصة لاعوض نفسى ما حرمته من متع الشباب . كنت أبكى فى كل مرة .. أبكى الشباب المكبل بالاصفاد .. والعواطف التى أرهقها الانكار والاهمـــال .. والقلب الذى كان الحرمان يذبله .. ثم تتنـــاهى الى ضحكة ابنتى هانئة مرحة ، فترقأ دمعى ، وتبدد مرارة الحسرة !

.. الى أن التقيت بك ، فاذا بشىء فيك ـ شىء خفى غامض لم أدركه حتى الآن ـ يوقظ عواطفى ، ويبعث فى قلبى المسكين رعشة الامل ، فاذا هو ينفض عنه استكانته ، ويتحفز للتمرد .. وتعدد لقاؤنا ، فكنت أشعر عقب كل لقاء أن القدر يجدل حبلا جديدا! يربطنى به اليك !.. الى أن جاءت تلك الليلة التى تمردت على فيها نفسى ، وقلبى ، وعواطفى ، وشبابى ، و .. وكل شىء فى !

أتذكر تلك الليلة ؟!.. كنا جالسين فى الخميلة القائمة فى الطرف الاقصى من حديقة دارى ، وقد امتدت أمامنا صحراء مصر الجديدة الى آخر حدود البصر ، وبسط ضوء القمر عليها ستارا من فضة وذهب .. وخيل الى اننى بدوية من الرعـــاة تجلس الى جوار الفارس الذى اختطفها من مضارب قبيلتها ، وسباها برجولته ، فبدلا من أن تناصبه العداء ، ألفت نفسها صريعة هواه !

وجاشت العواطف المكبوتة فى أعماقى ، جيشان الحمم فى قلب بركان .. وصرخ قلبى بين جوانحى ، فاذا بى أميل نحوك متعمدة أن يحتك شعر رأسى بوجهك فينفذ شذاه الى صدرك .. وثبت بصرى فى بصرك أحاول أن أصل الى أعماقك .. وأخذت المناظر التى كانت تحيط بنا تتلاشى لتحل محلها رؤى من عالم آخر لا يضم سوانا ، أنا وأنت !.. وعصفت الرغبـــة الجامحة بارادتى فوجدتنى أهم بأن أطوق عنقك بذراعى ، وأن أجذب وجهك نحوى لتلتقى شفاهنا في قبلة تروي الفـــؤاد الذي فراه الظمأ .. ولكن ..

ولكننى رددت الى العالم البغيض فجأة ، اذ ترامت الى أذنى ضحكة مرحة ، ووقع قدمى « ديدى » التى عادت الى البيت على غير توقع ـ اذ كانت فى الريف مع بنات ابن عم لابيها ، وكان المرتقب أن ألحق بها بعد أن أفرغ من الاجراءات المالية التى تشغلنى فى أوائل كل شهر ـ وشهقت « ديدى » اذ رأتك ، وهمت بأن تعود ، لولا أن ناديتها ٠٠ وكنت قد تمالكت نفسى، فلم تلاحظ شيئا ٠٠ وقلت لها :

ـ تعالى يا ديدى ٠٠ ده الاستاذ سامى ابن جيراننا ٠٠ وكيل نيابة فى الصعيد ومنتدب فى مصر لمدة شهرين ٠٠

ولن أنسى البريق الذى لمع فى عينيك وأنت تصافحها ٠٠ كان كوميض نصل حاد سدد الى قلبى !

ورحت أرقب تطور العلاقات بينك وبين ديدى فى قلق ٠٠ كان من الغباء أن لا أفطن الى حكم السن والشباب ، وان كنت لم أتجاوز الثامنة والثلاثين بكثير ٠٠ ووجدتنى نهبا بين الامومة والغيرة ٠٠ كم أرقنى أن أراها تستلبك من يدى بعد أن كدت أضم قبضة هذه اليد عليك !

ولاول مرة ، رأيت فى ابنتى غريمة لى ، يحفزنى القلب المحروم الممرور على أن أنازلها ٠٠ وأهزمها ٠٠ وأستردك منها لتكون لى ٠٠ لى وحدى !٠٠ الى أن ترامى الى صوتاكما ذات ليلة ، ينبعثان من الخميلة ذاتها ٠٠ كنت تقول لها : « الواقع يا ديدى ان سميرة هانم سحرتنى من أول نظرة ٠٠ ماكنتش أظن أن لها ابنة فى عمرك ، لان جمالها وشبابها وروحها فى عز النضوج ٠٠ لكن جمالك بهرنى ، وحجب صورتها ! »

وأحسست بقلبى ينتفض كالمذبوح ٠٠ وخيل الى انني سمعت حشرجة تنبعث منه ٠٠ واستبحت لنفسى أن أنصت الى حديثكما وأنا أتعذب ، والحسرة تفرى مهجتى ٠٠ كان غرامكما حارا ، دافقا ، بل طاغيا ٠٠ وعندما سمعتكما تتبادلان القبل

المكتومة ، خيل الى أن السماء تمطر قنابل فوق رأسى !٠٠ ومادت بى الارض وأنا أنصت الى تدابيركما بشأن الخطبة والزواج ٠٠ وانسحبت الى البيت فى سكون ووجوم، كأننى أشيع جنازة قلبى الشقى !

وفى تلك الليلة بكيت كما لم أبك من قبل فى حياتى ٠٠ ولكن دموعى لم تكن سوى قطرة من ذلك السيل الذى انهمر من عينى فى ليلة زفافكما ٠٠ كانت أصابع الحسرة تضغط على عنقى بقسوة وتكاد تخنقنى ، وكانت الغيرة تنهش فؤادى كلما تصورت ابنتى تنعم بالغدق الذى كان قلبى يتعطش اليه !

وهكذا ، تماديت فى التضحية من أجل ابنتى الى أبعد حدود طاقة النفس البشرية ٠٠ أو بعد ذلك تريدنى على أن أصحبكما الى مقر عملك وأقيم معكما ؟٠٠ لا ٠٠ لن أستطيع مضيا ٠٠ لن أقوى على أن أرى ابنتى تروى شبابها من النبع الذى كنت أرجوه لشبابى الذى يذوى لفرط الجفاف !

لقد تمردت عواطفى ، وثار قلبى ، وأفلت القياد من قبضة العقل فلم تعد له حيلة ٠٠ فانطلقا فى سبيلكما الى السعادة، واحرص على ديدى فهى درة ثمينة لا تعوض ٠٠ أما أنا ، فاتركانى أسير فى الطريق التى يدفعنى اليها القلب الثائر ، والاحاسيس المتمردة ٠٠ فاما الى انتقام للحرمان الطويل المضنى ٠٠ واما ٠٠ الى ذبول وفناء !

سميرة

الخالدون

عظماء .. في غير السياسة ..

عزيزي القارىء ...

في الاعداد السابقة قدمت لك في هذا الباب على التوالي قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و ((غاريبالدي)) .. و ((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)) .. و((ماركوني)) .. و((تشايكوفسكي)) .. ((لمصطفى كمال)) .. ثم ((شوبان)) .. و((جي دي موباسان)) و((مختار)) و ((تشارلس ديكنز)) و ((بيتهوفن)) و « موسوليني » و « شيللي » و«بلزاك» و ((بودلير)) و((دستويفسكي)) و((موليير)) وأخيرا ((كونفوشيوس)) ..وهم اولئك العظماء في السياسة، والطب، والادب، والاختراع ، والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم أقدم لك فيما يلي حياة أديب المانيا الكبير ((جيته)) .

وفي الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براونتج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو .. بوذا .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، اديسون ، فورد .. والتر سكوت ، ديماس .. كولمبوس ، الاسكندر المقدوني ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، روفاييل ، ليوناردو دي فنشي ، وغيرهم

چوهان وولفجانج فون

جيتة

أعظم أدباء العالم بعد "شكسبير"

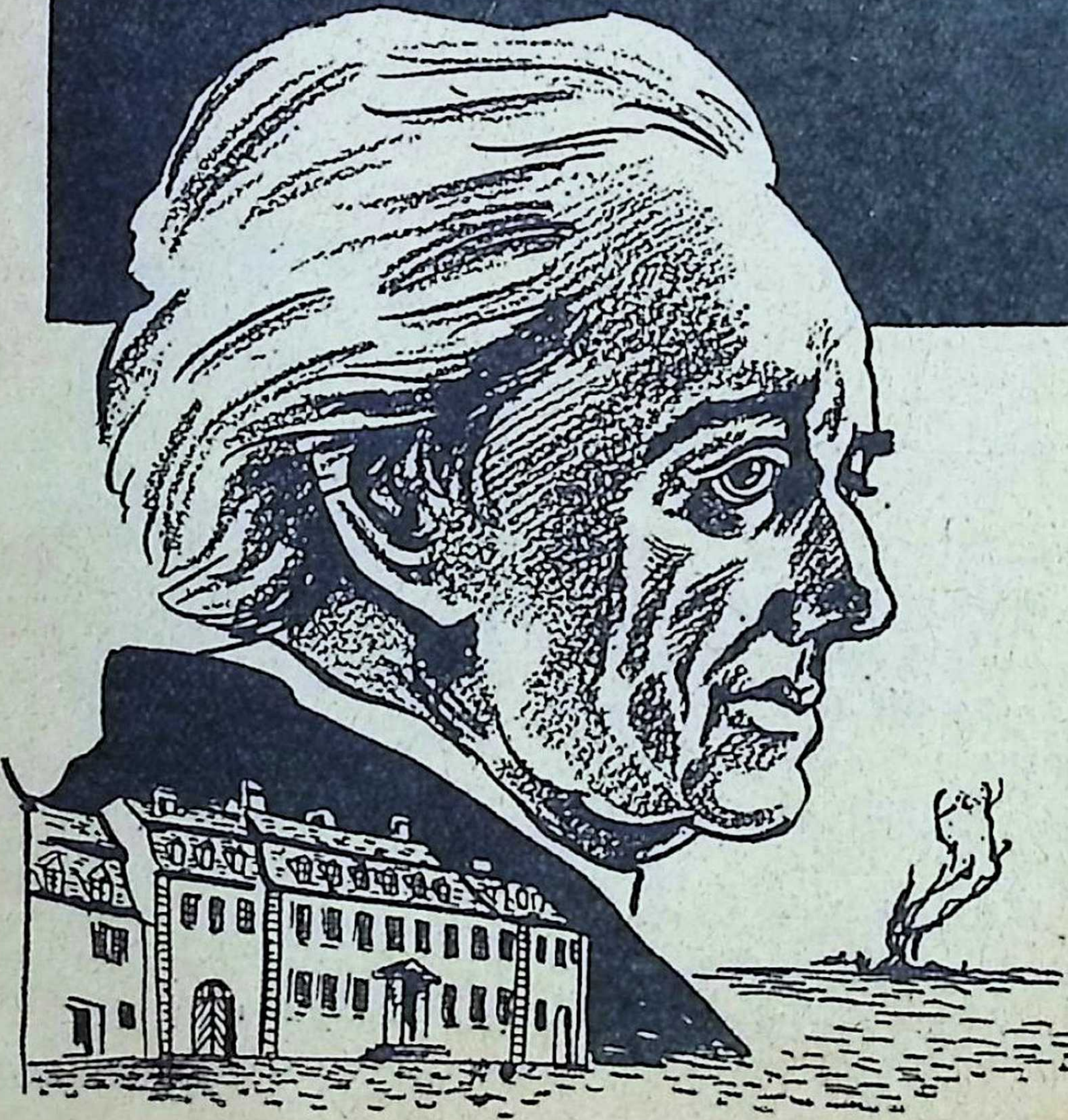

ثائر بالقلم والفكر ٠٠ لا بالسيف !

◆ **كان** شباب القرن الثامن عشر – رجالاً ونساء – كشباب هذا القرن ، ميالين الى التجديد ، نزاعين الى التطور ، غير راضين عن الدنيا التى وجدوا أنفسهم فيها ٠٠ فحاولوا أن يقيموا بدلا منها دنيا أخرى أقرب الى ما كانت قلوبهم تشتهى ٠٠ فاذا الثورات تشب فى كل مكان، وتأخذ فى فرنسا وأمريكا صبغة واتجاها سياسيين ، فى حين أخذت الثورات فى بلدان أخرى – لا سيما فى ألمانيا – قالبا فكريا محضا ٠٠ فعمل « جنود » الثورة الالمانية على مكافحة الآراء والمذاهب العتيقة فى بلادهم ، ولكنهم تركوا نظام الحكم العتيق قائما ٠٠ كانت ثورتهم ثورة قلم ، لا ثورة سيف ٠٠ ولقد حرروا عقول مواطنيهم ، ولكنهم لم يحفلوا بأجسادهم ، اذ كانوا يؤمنون بحرية الفكر ، بيد أنهم لم يجنحوا الى حرية العمل٠٠ كانوا دعاة تجديد ، ولكنهم امتازوا بين المجددين فى القرن الثامن عشر بأنهم « مجددون محافظون ! »

والدة جيته – «كاتارين اليزابيث» – وكانت امراة ذكية موهوبة، تزوجت فى سن السابعة عشرة ، من زوج يكبرها بواحد وعشرين عاما !

وكان زعيم هؤلاء الثوار الفكريين هو : «جوهان ولفجانج فون جيته » ٠٠ فلقد ولد متمردا بفطرته : ثار ضد الله وهو فى السادسة من عمره !٠٠ وجاهر بشكه فى عدالة البشر وهو فى السابعة ٠٠ وعندما بلغ الثامنة نظم قصيدة قارن فيها بين حكمة الوثنيين ومذاهب المسيحيين ٠٠ وما أن بلغ

الحادية عشرة حتى وضع رواية عالمية فى سبع لغات !٠٠ وفى الثانية عشرة كان طرفا فى احدى المبارزات ٠٠

وفى الرابعة عشرة من عمره ، وقع فى الحب للمرة الاولى بعنف وحرارة ٠٠ وفى الرابعة والسبعين وقع فى الحب للمرة الاخيرة فى عنف وحرارة أيضا !

وفى الثانية والثمانين أتم درة انتاجه الشعرى : الجزء الثانى من « فاوست »

يولد نصف ميت !

◆ **كانت** أم « جيته » فى الثامنة عشرة حين وضعته ، وكانت عملية الوضع عسيرة أرهقتها وهى فى تلك السن الباكرة ٠٠ ومع دقات الساعة الاثنتى عشرة المؤذنة بانتصاف اليوم ، هبط الوليد الى الدنيا ، أزرق الجسم ، مختنق الانفاس ، حتى ظن أنه ميت !٠٠ ومرت دقائق عديدة قبل أن تهتف الجدة الجاثية الى جوار ابنتها التى كانت تئن متوجعة من آلام الوضع : «انه حى يا اليزابيث!»

كانت صيحة امرأة لأخرى٠٠ فيها شىء من لهفة الغريزة الحيوانية ـ غريزة حفظ النوع ـ وشىء من الفرح الفطرى ٠٠ فرحة الامومة !٠٠ ولا شىء أكثر !

والد جيته ، «يوهان كاسبار جيته» ..درس القانون لكنه لم يمارسه.. وكان نفورا ، مشاكسا ، انجب ستة أطفال لم يعش منهم غير جيته!

ومن العجيب أن هذا الطفل الذى كاد يموت ولما تتفتح

عيناه على الحياة فى ذلك اليوم ـ ٢٨ أغسطس سنة ١٧٤٩ ـ كان الرسول الذى اختارته الاقدار ليملأ فى الحياة فراغا هائلا ، وليكسب مجدا يحنى الملوك والشعوب رؤوسهم أمامه تقديرا ٠٠ وكانت أعوام حياته ـ الثلاثة والثمانون ـ حافلة بالاحداث ٠٠ مرت به فصول ضخمة من التاريخ ، عملت على صقل روحه ٠٠ فصول سجلت حرب السنوات السبع ، وجهاد أمريكا فى سبيل الاستقلال ، وثورة فرنسا ، وقيام نابليون ثم سقوطه ، وتفكك الامبراطورية الرومانية المقدسة وانهيارها ، وفجر عصر « البورجوازية » ٠٠ عصر نهوض الطبقات الدنيا لتحتل مكانها الى جوار الطبقات الرفيعة ٠٠ الخ

عدو العنف !

◆ وشهد النابغة الذى عاش ثمانية عقود من الزمن وبعض العقد التاسع ، كل هذه الاحداث ٠٠ وكتب فى أواخر عمره لصديقه الحميم « فلهيلم فون همبولدت » يقول : « خير عبقرية هى تلك التى تمتص كل شئ وتستوعبه دون أن تقوم بأتفه عنف يمس قدرها ومصيرها الاصلى ٠٠ فبالتدريب ، والتعلم ، والتأمل ، والنجاح ، والفشل ، ثم بتدبر كل هذا وتأمله ثانية ، تعمل أجهزة جسم الانسان ـ فى نشاطها الغريزى الطلق ـ على توحيد المعلومات المكتسبة بالمعرفة الكامنة فى النفس ، وتوجد منها وحدة منسجمة متناسقة تدهش العالم ! »

وكان جد « جيته » لأبيه حائك ثياب انحدر من أب حداد ٠٠ ولكن الحائك كان رجلا طموحا ، فعنى بتربية ابنه « جوهان كسبار » حتى استطاع هذا أن يغدو مستشارا امبراطوريا لمدينة فرانكفورت ، وبلغ من رفعة الشأن ما أنساه أصله المتواضع ، وجعل ابنه « جيته » يغفل هذا الاصل بعده ، فما عرف عن « جيته » انه ذكر الحداد والحائك بين أجداده !

واذا كان « جيته » قد شابه « فولتير » فى مولده ، اذ هبط كل منهما الى العالم شبه ميت ، الا أنه كان على العكس منه فى الشطر الاكبر من عمره ، اذ عاش موفور الصحة ، وكان من العظماء القلائل الذين جمعوا بين سلامة العقل وسلامة البدن ٠٠ ولقد كتب مرة يقول : « اذا طال وجود الاسرات ، قدر لها أحيانا - قبل أن تنقرض - أن تنجب فردا يجمع ويمثل تمام التمثيل ما لكل أسلافه من خصال ، بالاضافة الى ما لهم من ميول كامنة أو غير مستهلكة » ٠٠ وقد كانت أم « جيته » تنحدر من سلالة « لندهايمر » التى امتزجت فى عروقها دماء سلالات البحر الابيض المتوسط بدماء البربر ، فكان هذا الفرع مبعث الصحة القوية ، والفطرة الحازمة الحاسمة ، فى شخصية الشاعر الكبير ٠٠ كما كان أبوه ينحدر من سلالة « التكستور » وهى من عناصر الشمال القوية ، الذكية ٠٠

أمه تؤلف له القصص !

◆ ولم يلتحق « جيته » بمدرسة فى صغره ، بل تلقى أصول العلم فى داره ٠٠ اذ كان أبوه متفقها فى الآداب - الى حد ما - وكان معلما شديد الحزم ، ومن ثم رسم له منهجا دراسيا يثقف عقله أكثر مما يشحذ خياله ٠٠ غير أن أمه تعهدت هذا الخيال بما كانت ترويه له من قصص من نسجها، وبما كانت تبذله من تشجيع على أن يساهم معها فى خلق

جيته فى التاسعة عشرة

العقد والشخصيات فى قصصها ٠٠ لا سيما وان « جيته » كان ابنها الأوحد الذى كتبت له الحياة ٠٠ فمن بين الاطفال الستة الذين أنجبتهم ، مات أربعة بعد أيام من مولدهم ٠٠ ولم يعش غير شاعرنا وأخت له كانت معلوله ، سقيمة ، قاومت الموت حتى تزوجت ، ثم استسلمت له وهى تضع طفلها الاول ٠٠

ولقد كان لهذه التربية من والدى « جيته » أثرها فى تكوين شخصيته ، فكان يقول : « اننى مدين لابى بنظرتى الجدية للحياة ٠٠ ولأمى الصغيرة بحبى لرواية القصص » ٠٠ وكان أبوه يريده على أن يدرس القانون ليصبح أستاذا جامعيا ٠٠ بيد أن « جيته » لم يكن يميل الى القانون ، ولا الى التدريس ٠٠ ومع ذلك فقد التحق بجامعة « ليبزيج » فى سنة ١٧٦٥ ارضاء لأبيه ، وان عمل فى الوقت ذاته على دراسة الحياة بعيدا عن الكتب ارضاء لميوله ٠٠ وبفضل المال الوافر الذى كان أبوه يمده به ، مضى يخترق جدران التقاليد التى أحاطت ببيئته العائلية ، ليخوض تجارب الحياة فى استهتار ٠٠ فما كان يولى أساتذته أقل احترام ، بل كان يقول : « كنت أشعر بأننى أعرف عن الله وعن الحياة ما يعرفه الاساتذة أنفسهم ! ٠٠ وخيل اليه انه يستطيع أن يزداد معرفة بالحياة اذا هو أهمل الدروس وقاعات الدراسة ، وانطلق يجوس خلال الناس ، قائلا : « ان الوقت يمضى مسرعا فى المجتمع ، وقاعات الموسيقى والمسرح ، والمآدب ، والنزهات ٠٠ وما أبهج ما ينقضى !٠٠ ولكن ما أبهظ الثمن الذى يقتضيه لينقضى على هذا النمط ! ٠٠ ان الشيطان وحده يعلم وطأة ذلك على كيس نقودى ! »

ولقد كتب أحد زملائه عن المسلك الارعن الجامح الذى انتهجه اذ ذاك ، فقال : « انه لأسهل على المرء أن يؤثر فى الشجر والصخر ، من أن يرد « جيته » الى رشده ! »

زملاء فى الخطيئة !

◆ غير أنه ثاب الى رشده من تلقاء نفسه ، بعد أن خبر فى حياته الخمر والنساء ثم سكب خبرته فى الشعر ! ·· واذ اكتفى بما عرف عن مجتمع « ليبزيج » غادر المدينة الى الريف الهادىء ، حيث عاش فى عزلة ·· وحيث قام بجولات طويلة ، وعكف على قراءة أشعار شكسبير وهوميروس ··

« فردريكه » ، ابنة القسيس التى احبها جيته اثناء طلبه العلم فى « ستراسبورج » ·· ثم نسيها !

وكان كثيرا ما يخلو الى أحلامه الشعرية ، فقد عاش لينظم الشعر أغانى ، مذ كان طفلا ·· على أنه حين بلغ السابعة عشرة من عمره أقدم على كتابة أولى مسرحياته ، واختار لها دون الموضوعات كلها موضوع خيانات المتزوجين ومباذلهم !

تلك كانت مسرحية « زملاء فى الخطيئة » ، التى كتبها فى سفسطة لا يكاد أحد يتصور صدورها عن فتى فى السابعة عشرة من عمره ·· وهى ـ ككل التمثيليات التى يجود بها خيال المراهقين ـ قصة ذات مغزى ، ولكن المغزى فيها تركزت فيه كل حكمة الشيوخ الذين قارفوا الخطيئة ، وتعذبوا فى سبيل التكفير عنها ! ·· اذ ختم فيلسوف «ليبزيج» الشاب مسرحيته الاولى بقوله : « ما دام أغلبنا مذنبين ، فان أحكم ما ينبغى علينا جميعا أن نفعل ، هو أن ·· نغفر وننسى » !

حياته الماجنة فى « ليبزيج »

◆ ولكن حياة الاسراف فى الملذات التى عاشها « جيته » فى (ليبزيج) كادت تقضى على حياته .. ويقول « توماس مان » – الاديب الكبير المعاصر الذى فاز بجائزة نوبل ، ثم فاز فى سنة ١٩٤٩ بجائزة « جيته » – فى كتاب وضعه عن الشاعر العظيم ، ان السل كان كامنا مستترا فى جسده ، وظل كذلك طيلة حياته ، رغم صحته ومتانة بنيته ..

فلقد أصيب «جيته» فى صيف سنة ١٧٦٨ بنزيف رئوى عنيف ، حتى أوشك اليأس من شفائه أن يغلب .. وعندما استطاع فى النهاية أن يغادر فراشه ، عاد الى دار أسرته .. الى الأم المشغوفة به ، والأب الذى شعر بخيبة الرجاء فيه ، اذ كان عند عودته محطم الشباب ، فاشلا فى دراسته.. وزاد من استياء أبيه انه أراده على أن يكون محاميا ، فاذا به قد تحـول الى شاعر !

على أن «المستشار الامبراطورى» لم يستسلم لليأس ، فما ان شفى ابنه من مرضه حتى عاد يحاول أن يرده الى الطريق السوى .. فأرسله فى هذه المرة الى (ستراسبورج) ليتم دراسته « دون ما مزيد من الطيش» ، وليظفر بالشهادة العليا فى القانون ..

لكنه فعل فى (ستراسبورج) ما فعل فى (ليبزيج) ، فانصرف عن دراسة القانون الى دراسة الحياة .. وانغمس فى الفن ، وتعلم العزف على القيثار، وهوى الطب ، وتفلسف ، وغازل ، وتزعم الشباب اللاهى فى المدينة .. وكان قد استرد صحته تماما ، وراح يسير فى طرقات المدينة بجماله وشبابه، كانه اله من آلهة الاساطير الاغريقية ! .. ويكفى لتصوير روعة فتنته ان نذكر انه دخل مطعما فى المدينة ذات يوم ، فاذا رواد المطعم يسهون عـن السكاكين والاشواك التى كانت فى ايديهم ، ويروحون يحملقون فى الشاب مبهورين !

كان – كما اعتاد أن يصف نفسه – «نشوان بخمر الشباب» .. وكان كل من يتصلون به يصابون بشىء من العدوى .. عـدوى روحه المنتشية بالشباب ! .. كان أمهر من حمل السيف ، وأبرع من امتطى الخيل ، وأشجى من تغنى بالعبارات الساحرة .. حتى لكأن المانيا لم تنجب له شبيها .. فاذا به يسبى عقول غانيات «ستراسبورج» وحسانها .. واذا به هو الاخر مفتون بهن لا يكاد يفيق !

يحب بسهولة .. وينسى بسهولة !

◆ **ولكنه** كان قادرا على النسيان بنفس السهولة التى كان يقع بها فى الهوى .. وسواء كان صادقا فى حبه أو متلاعبا بعواطف الحسان، فانه كان يترجم كل مغامرة الى قصيدة من الشعر ، يتحول بعدها عن المغامرة الى أخرى ..

واتصل - فى تلهفه على دراسة الحياة من كل زاوية ممكنة - بشتى أصناف الناس : بأصحاب الفنادق ، وبنات أصحاب الفنادق ، وبرجال الوعظ والتبشير ، وبمعلمى الرقص ، والتجار ، والصناع ، والعمال ، وكهنة اليهود ، وقساوسة المسيحيين .. وكان يجد فى كل امرىء يقابله شيئا من القداسة ، ونفحة ربانية تدعو الى حبه ..

وكان يؤثر المسرح بهوى خاص من نفسه .. كان شديد الاعجاب بشكسبير، وقد حاول أن يلقح المسرح الالمانى الاعجف - اذ ذاك - بدماء من الادب المسرحى الانجليزى الذى كان قويا مزدهرا فى عهد الملكة اليزابيث الاولى .. فاقبل فى تحمس الشباب وتفاؤله يحاول أن يحدث ثورة فى فكر امته ، لا فى فنها وحده .. وراح ينبش فى التاريخ الالمانى عن مادة لمسرحيات ينفث فيها عبقريته الطامحة المتوثبة .. حتى وجد بغيته فى «جوتز فون برليخنجن» ، الفارس الذى كان يشبه « روبن هود » فى التاريخ الانجليزى .. وألهبت مغامرات هذا الفارس مع الأساقفة والنبلاء ، من أجل الفلاحين ، خيال « جيته » .. فاذا به ينتج مسرحية من أغرب وأروع المسرحيات الالمانية .. حتى أنها غدت انجيلا للجيل الشاب فى المانيا ، وغدا « جيته » نبيا يدعو الى رسالة جديدة : رسالة التحرر من الكبت والقمع !

ومع ذلك فقد استطاع أن يجد فى غمرة « جهوده غير المشروعة » وقتا لارضاء أبيه، اذ لم يلبث أن ظفر بدكتوراه فى القانون ! .. فأوفده أبوه الى محكمة « وتزلار » العليا ليصيب مزيدا من المران .. لكن « جيته » لاحظ لدى وصوله أن ثمة اثنتين وعشرين الف قضية فى انتظار ان يفصل فيها القضاة الامبراطوريون ويصدروا أحكامهم .. فامسك ورقة وقلما ، وبحسبة بسيطة قدر أن القضاة لن يفرغوا من هذه القضايا - لو انهم تفرغوا لها - قبل ثلاثمائة وثلاث وثلاثين سنة على الاقل ! .. وكان فى هذا فصل الخطاب بالنسبة له ، فاذا به يفقد كل احترام للقانون ، ويتحول نهائيا الى الأدب .فيكرس له حياته !

الغرام الذى أوحى اليه بقصة « فرتر »

◆ وهكذا أخذ ينقل قلبـه بين ألوان الهوى ، يستمرىء العذاب ، وينتشى بالاحلام ، ويهيم على غير هدى، ولا تزداد روحه الا ذكاء .. وكان أينما حل يشع من لهيب شبابه سحرا وفتنة ، ويعكس من لمعان مواهبه بريقا، ويفيض من جمال فتوته ، وروعة بهائه وتكوينه البدنى .. وكان هو نفسه يعجب من افتتان الناس به ، فكان لا يفتأ يقول : « لست أدرى أية جاذبية تجتذب الناس الى ، حتى ان كثيرين منهم يحبوننى ! »

« ليلى شونمان » ، الحسناء التى أحبها جيته عام ١٧٧٥ ونظم فيها الشعر ، وخطبها .. ثم فر منها !

وتدله فى هذه المرة فى هوى ميئوس منه.. اذ أحب حسناء كانت مخطوبة، فظلت فكرة الانتحار تراوده فترة من الزمن ، انتهت به الى العكوف على وضع قصة عن غرامه الخائب يقتل فى سياقها بطلها بدلا من أن يقتل نفسه !

وهكذا أخرج الى الوجود « أحزان فرتر » ، قصة الجمال السامى الطاهر، والخيال الشاعرى المحموم .. قصة فنان مرهف الحس والاعصاب ، لا يرتاح الى عشرة الاقران والانداد ، ولا يهنأ الا بالعزلة الهادئة فى حقول الريف .. ومن أساه أفاض جيته على القصة فاذا بها مرثاة للحياة وحسرات ، واذا بها « غزل » فى بهجة الموت !

ولقيت «أحزان فرتر» رواجا منقطع النظير ، واثرت فى الرأى العام الالمانى بدرجة غريبة ، حتى ان الشبان راحوا يقلدون « فرتر » ، واتخذوا من لباسه ـ السترة الزرقاء والصدارة الصفراء ـ زيا .. «مودة» ! .. كما أخذت الفتيات عن بطلة القصة ثوبها الابيض المزركش بـ «كرانيش» وردية اللون .. الخ

وبلغ من رواج الكتاب أنه كان يباع فى ألمانيا فى عرض الطريق كالصحف.. وترامى أثره الى البلاد الاخرى ، حتى لقد أنتجت الصين تماثيل من الخزف تمثل ((فرتر)) و ((اوتشن)) .. وأقبل العاطفيون فى بلاد أخرى على انشاء ((جمعيات فرتر للتخلص من الحياة)) ! .. واجتاحت أوربا باسرها موجة من الانتحار ، استجابة لايحاء ((جيته)) .. فى حين ان ((جيته)) نفسه لم يلبث أن عزف عن التخلص من الحياة بمجرد ان انتهى من الرواية ، فتحول عن حبه وكتابه والمعجبين به ، لينتقل الى ميادين جديدة .. ومغامرات أخرى !

يفر من خطيبته !

◆ وكان ممن أعجبوا بالشاعر ، الامير «كارل أوجست» أمير (فيمار) ـ احدى ولايات ألمانيا الصغيرة ـ وكان « جيته » قبل أن يتعرف بالامير قد خطب يد حسناء غنية تدعى « ليلى شونمان » .. وسواء قامت هذه الخطوبة على حب صادق ، أو على وهم عاطفى ، فان الشاب لم يلبث أن اشفق على حياته الادبية من الزواج ، أو أشفق على فتاته من حياته الادبية ـ سيما وقد كان منهمكا فى تاليف اروع تحفه ((فاوست)) ـ فأخذ ضميره يهيب به أن يفر من هذه الورطة .. فسافر قاصدا سويسرا فى صحبة اثنين من النبلاء ، ولسان حال قلبه يهتف به : ((أريد ان أخرج وأنطلق فى الدنيا)) ـ وقد سجل قلمه هذا الهتاف على لسان « فاوست » فى ملحمته المذكورة ـ وفى تلك الاثناء تلقى دعوة من أمير فيمار كى ينزل فى ضيافته ، فوجد فى هذه الدعوة مخرجا جعله يلبيها مرحبا على الفور ، وما درى أن قد قدر له

جيته ((وزير الدولة)) الواسع النفوذ فى حكومة (فيمار) .. ولم يكن قد بلغ الثلاثين !

أن يعيش العمر هناك ! .. والواقع أن «جيته» كان يوقن فى أعماقه بجدوى صحبة ذوى السلطان .. وقد كتب مرة لصديق له يقول : « لست ألومك على انطلاقك فى الدنيا وسعيك لكسب معارف من ذوى النفوذ والسلطان ، فان الاتصال بالعظماء جليل النفع دائما لذاك الذى يعرف كيف يستغله حق الاستغلال .. »

وكان فى السادسة والعشرين من عمره حين وصل الى « فيمار » فى سنة ١٧٧٥ ، فأنزله الامير فى قصر صغير تحف به الحدائق ، على مقربة من قصره .. وراح يقربه اليه ، ويبالغ فى اكرامه ، ويسرف فى خلع ثقته عليه، وفى ايثاره بالمراتب والنفوذ ، غير عابىء بتذمر وزرائه ومستشاريه الذين لم يروا فى « جيته » سوى شاب غير مجرب ولا خبير ، تحول عن المحاماة والقانون الى الشعر !

بيد ان ثقة كارل أوجست فى « جيته » لم تهن ، أو تتأثر بذلك النقد ، بل انه كتب لرئيس وزرائه يرد على اعتراضاته قائلا : « ان رجلا كهذا لا يمكن أن يحتمل العمل الحكومى بآليته وجموده ، اذا هو بدأ من أسفل السلم .. ان الاخفاق فى الافادة من نابغة فى المنصب الذى يستطيع ان يمارس فيه مواهبه الفذة لضرب من ضروب سوء التصرف والتدبير ! »

« كونفوشيوس » ألمانيا !

◆ والواقع ان « جيته » كان عند ثقة الامير به ، اذ قسم وقته قسمة عادلة بين الشعر والسياسة ، وكما كان من السدنة المخلصين لاله الشعر « ابولو » ، غدا عونا وفيا للامير أوجست .. بل انه غدا « كونفوشيوس » المانيا ، أو الفيلسوف الذى يبصر الامير بأساليب الحكم ! .. ولم يفطن الى انه بتفانيه فى الاخلاص للأمير قد قضى على إستقلاله بيديه ، وانه اذ قصر روحه الوثابة على كتابته الادبية ، هبط بنفسه فى حياته الخاصة الى مرتبة رجل الحاشية الخاضع المطيع ! .. وحدث مرة أن كان يسير مع «بيتهوفن» يتنزهان ، فمر بهما موكب الأمير ، واذا بالموسيقى الذى لم يكن يجل شيئا فى الوجود سوى فنه ، ينفخ أوداجه ، ويبرز صدره ، ويشق طريقه فى خيلاء واعتداد .. فى حين كان « جيتـه » يقدس السلطان أكثر مما يقدس فنه ، فتنحى عن طريق الموكب ورفع قبعته وهو ينحنى فى اجلال بالغ ! .. لقد

لوحة زيتية رسمها الفنان ((تشباين)) لجيته اثناء مقامه فى ايطاليا سنة ١٧٨٦

كان ألمانيا حقا ، بكل ما فى العنصر الالمانى من صفات . كان فخورا بما أصاب فى الشعر من مكانة رفيعة ، لكنه كان أكثر فخرا وازدهاء بمنصبه كسكرتير خاص لأمير ولاية من أصغر الامارات شانا .. فقد كانت ألمانيا فى القرن الثامن عشر تعبد المظاهر الرسمية ، ولم يشذ ((جيته)) - رغم عبقريته الرفيعة - عن بنى جلدته فى هذا !

بيد ان المنصب الرسمى لم يلبث أن استأثر بكل جهوده - أو بالشطر الأكبر منها - اذ يقول ((توماس مان)) انه حاول أن يكبت مواهبه فى التاليف ، لينصرف الى تنظيم الضرائب ، ووضع اللوائح لصناعة القطن ، ووضع النظم للتجنيد العسكرى ، وبناء الطرق والملاجىء ، وشق القنوات ، واستغلال المناجم والمحاجر ، والاهتمام بالشئون المالية وما اليها .. وكان يوجه نفسه فى هذه الاتجاهات بـ ((صبر حديدى ، ودأب صخرى !))

على حد تعبيره .. وقد وفق فعلا ، وفى نواح كثيرة ، الى توطيد النظام وتعزيز الاقتصاد فى الولاية الصغيرة ..

على أن الحياة فى بلاط أمير « فيمار » كانت مشوبة بالمرح .. واستطاع « جيته » أن يصيب من اللهو قسطا كبيرا ، وان ينشر رياضتى الصيد والتزحلق على الجليد ، وان يجعل من الغزل « مودة » العصر وملهاته الحبيبة الى النفوس ! .. وكان يتعزى عن استقلاله الذى ضحى به لكارل أوجست، بقوله ان الامير جازاه عن ذلك « بما ندر أن يجود به عظيم : من عطف ، وكرم ، وثقة ، فضلا عن .. حديقة وبيت »

وهكذا كان حبه للراحة والرفاهية لا يقل عن حبه لفنه .. فما كان « جيته » بنبى لا يحجم عن أن يرتاد الموت من أجل الحقيقة ، وانما كان شاعرا ، يحرص على الحياة حبا فى الجمال !

يفر من السياسة .. الى الفن !

« اطلال روما .. فى ضوء القمر » .. رسم من مئات الرسوم التى انتجتها ريشة جيته اثناء مقامه فى ايطاليا

◆ **واخيرا** ، حان الوقت الذى قال فيه « جيته » : « لكم يجمل بى أن أنسى المعارك السياسية وأن أكرس كل قواى للعلوم والفنون التى خلقت لها ! فان الذى يكرس نفسه للحكم دون أن يكون أميرا ، لا يعدو أن يكون عبد مال ؟ أو وغدا ، أو مأفونا .. »

وتـــولاه الأسى ، واستولت عليـــه العلل ، فضـمر جسمه ، واضطـر اخيرا الى أن يهرب من الحيـــاة التى استمرأها زمنا .. وساعد على دفعـه للفـــرار ، مغامرة غرامية مع غانيـــة من غوانى الحاشية، سيطرت عليـــه سيطـرة تامة حتى كادت أن تورده موارد التلف !

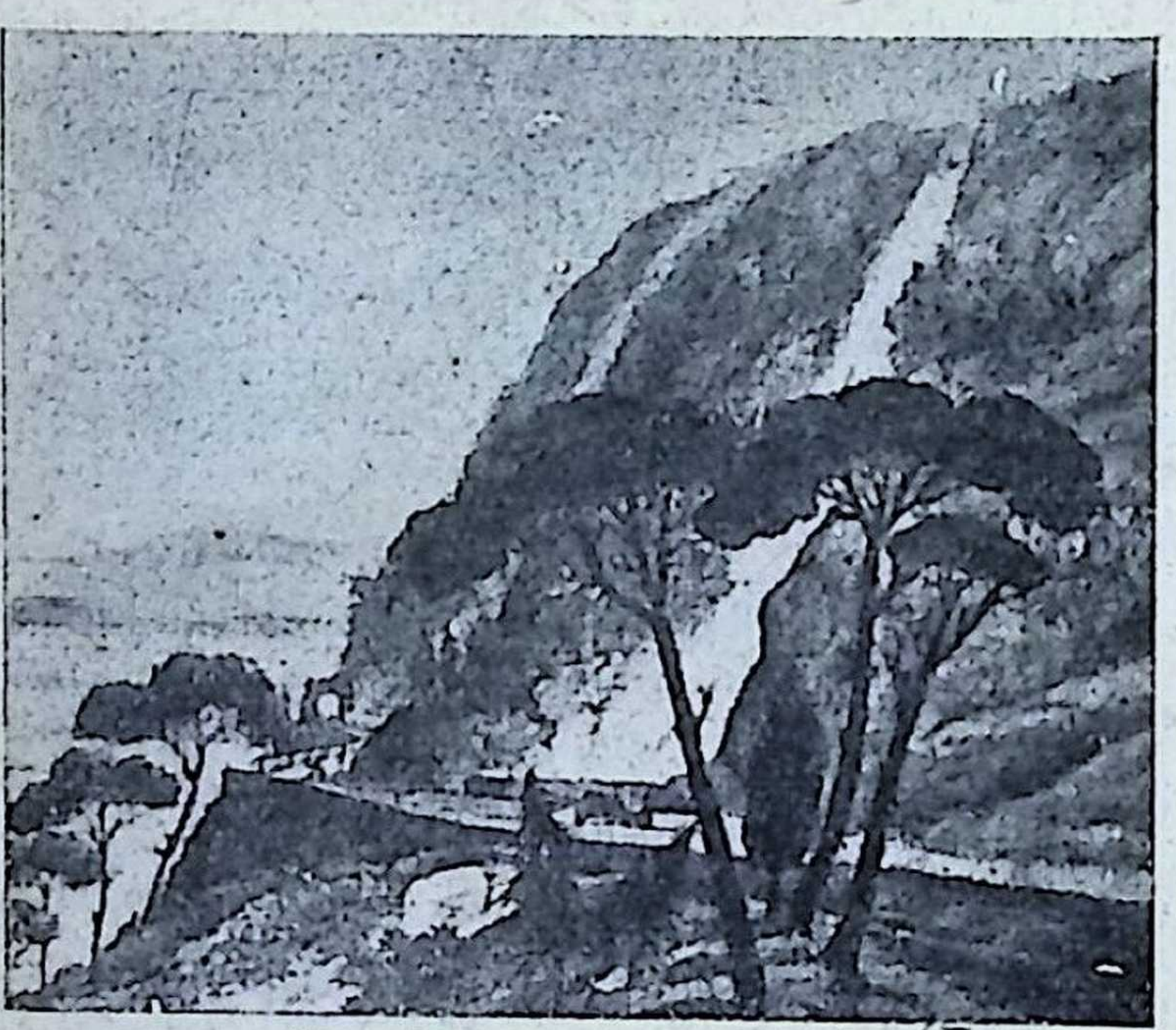

((الطريق الجبلى المؤدى من روما الى تيرنى)) : رسم آخر بريشة جيته، سجل به ذكريات سعادته فى ايطاليا

واستقر به المقام فى ايطاليا عامين ، عاش خلالهما بين موارد الفـــن القديم ، ومواطن الثقافة ، ومراتع الحب العفيف المحوط بالخيال .. كانت فترة تحول واصلاح ، شعر فيها بالسعادة ، والتحرر ، والانتعاش .. فترة وصفها بقوله : ((لقد ولدت مرة ثانية .. نعمت ببعث جديد حقا يوم دخلت روما ! .. حظيت بشباب جديد - شباب ثان - وحياة جديدة .. فصرت رجلا جديدا ، أشعر بأن كل شىء فى كيانى - حتى نخـــاع عظامى - قد تغير !))

وأطلق لميوله العنان .. كان يسعى الى الكمال .. الى ان يكون ملمـــا بكل شىء ، محيطا بكل الوان المعرفة .. وكان يقول : ((ان التـــاريخ الطبيعى، والفن ، وآداب السلوك وما اليها ، تمتزج معا فى نفسى !)) .. وغرق فى دراسة الآثار ، لا كتحف تعبر عن الجمال ، وانما كمعالم رائعة للنمو الطبيعى..

ولكن امير « فيمار » لم يطق عنه بعدا ، فمـــا زال به حتى رضى بالعودة ، على ان يحظى بالتكريم دون ان يثقل بالمسئوليات .. وهكذا عاد ، وهو فى التاسعة والثلاثين ، ليتولى الاشراف العام على المسارح والمعاهد
ولكنه كان حين عاد قد أصلح نفسه وارتقى بها نحو الكمال الذى ينشده ، فرأى الناس على ما كانوا عليه من تظاهر ، ونفاق ، وملـق ، وخبث .. وكان من الطبيعى ان يشعر بعناء فى الاختلاط بهم ومعاملتهم ، وأن يعجز عن مقاومة الفتور الذى كان يحس بدبيبه يتسرب الى علاقاته بمن كان يصطفيهم قبلا من اصدقاء .. وقد وصفه « شيلر » فى الشتاء الاول لعـودته الى فيمار بقوله : « كانت له موهبة الاستيلاء على ألباب الناس .. ولكنه كان دائما يحرص على ان يعتزلهم ! .. وهو يجعل من وجوده بهجـة لدى الآخرين ، ولكن ، كاله .. دون أن ينزل عن شىء من نفسه ! » .. وهكذا كان « الها » يسعد الناس بوجوده ، دون أن يضحى بشىء من نفسه ..

يجعل من « فيمار » مركزا عالميا للأدب !

◆ على أن «جيته» استطاع خلال « العمر » الذى استوطن أثناءه « فيمار » ـ وهو عمر فعلا ، اذ بلغ فى مجموعه خمسين عاما ـ ان يجعل من الامارة الصغيرة مركزا عالميا للأدب !.. فقد جمع حوله فريقا من ذوى الذكاء والقريحة ـ من رجال ونساء ـ كان يعقد معهم المناقشـات فى الفلسفة ، ويكرسهم تحت زعامته للشعر والحب .. كما نظم مسرحا صغيرا تولى بنفسه ادارته وكتب له عددا من أعظم مسرحيات القـرن الثـامن عشر .. وكان طيلة شبابه جريئا فى كتابته واسلوبه وافكاره ، الى حد انه ركب فى بعض الاحيان مراكب الشطط !

ففى مسرحية « ستيلا » ـ مثلا ـ صور رجـلا يعيش بين زوجتـه وعشيقته فى وقت واحد ، وبيت واحد ، وثلاثتهم راضون قانعون بهـذه الحياة ! .. لكن الرأى العام ثار على هذه الدعوة الصريحة ، مما اضطـر « جيته » الى ان يعدل خاتمة المسرحية ، على حساب البطل .. فجعله حين عجز عن ان يتخلى عن زوجته أو يهجر عشيقته ، يعمد الى .. الانتحار !

على ان هذا الجموح منه أخذ فى التضاؤل تدريجا الى ان تلاشى حين خبت فى نفسه جذوة الشباب المتقد .. فما ان ودع الشباب حتى انقلب من متمرد يريد ان يدمر الدنيا ، الى فيلسوف حكيم يحاول ان يفهمها .. وغدا ينشد مزيدا من النور ـ نور المعرفة ـ ومزيدا من الجمال ! .. كان

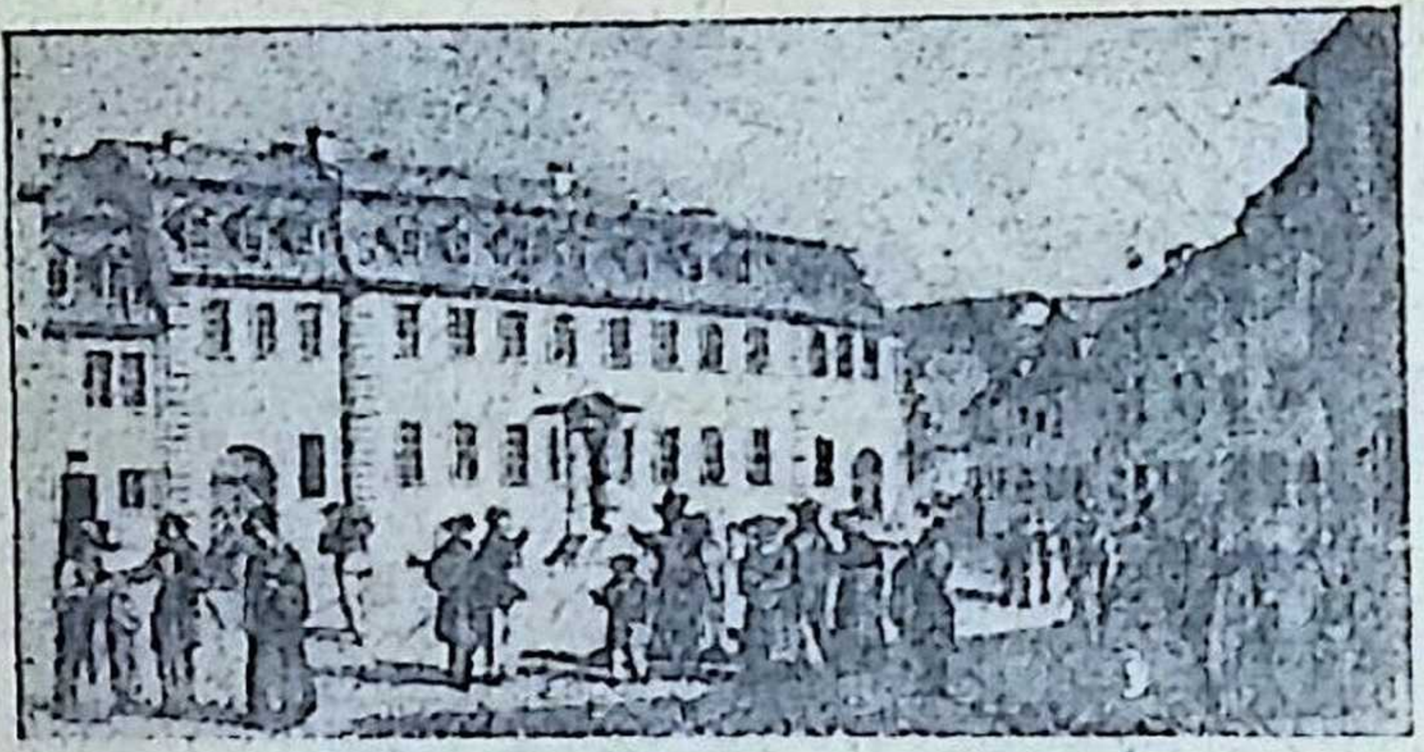

المنزل الذى عاش فيه جيتـه فى (فيمار) منذ سنة ١٧٨٢

يبحث عن الجمال حتى فى القبح والدمامة .. وعن العزة والكبرياء ، حتى فى غمرة الهوان.. وكان جد مشغوف بالادميين ، مهما ضؤل شأنهم فى الحياة .. واذا كـان قد راض نفسه عـلى أن ينحنى للأمراء ، فانه قـط لم يعرض عن اوساط الفقراء .. بل انه عاش طيلة حياته على ألفة ومودة مع ((القصابين والخبازين وصانعى الشموع)) ومن اليهم ! .. وقد كتب مرة بعد ان زار فريقا من عمال المناجم : ((ان الحب الذى ابديته لهذه الطبقات الوضيعة قد رد الى اقوى مما كان .. ان هذه الطبقـات التى تلقب بالوضيعة هى الأسمى لدى الله ، ما فى ذلك شك !))

ولم يكن عطفه على المعوزين مجرد كلام ، بل انه كان يعول غريبين سألاه العون ، رغم ان مرتبه لم يكن يتجاوز ثلاثمائة جنيه فى العام ! .. ومع انه لم يعان الفاقة والعذاب فى حياته ، الا انه كان لا يتمالك نفسه من أن يعطف على المعوزين ويأسو للمعذبين ، اذ أوتى من بعد البصيرة ما كان يمكنه من أن ينفذ الى آفاق الحياة الممتدة وراء نطاق حياته ..

شاعر ، ورسام ، وموسيقى .. وعالم فى النبات والحيوان !

◆ **ولعل** ذهن جيته كان أشمل الاذهان فى القرن الثامن عشر .. فلم يكن مجرد شاعر ورسام وموسيقى ، وانما كان ايضا عالما .. وكان فى فكره كشاعر قد ادرك وحدة الأشياء التى تبدو متفرقة ، متباينة ، متنوعة .. ومن ثم سعى – كعالم – الى ان يبين هذه الوحدة ، فقام بدراسات واسعة فى علمى الحيوان والنبات ، وبحث بامعان نظرية الالوان .. **بل انه وضع**

كتابا فى تطورات تكوين النبات ، اثبت فيه ان الازهار ليست سوى أوراق سمت عن اصلها وارتقت .. اوراق استحالت الى قصائد من الشعر الجميل ! .. وفى التشريح استطاع ان يكتشف فى جمجمة الانسان عظمة من عظام الفكين وفرت الدليل على العلاقة القائمة بين الانسان والحيوانات الادنى منه !

بل ان « جيته » كان يعنى بكل ما يتعلق بالجنس الانسانى .. بكل شىء اللهم الا الحرب ، فقد كان بفطرته يحب السلام ويدعو اليه .. ولم يدخل نفسه شىء من شهوة الالمان الى القتال والغزو .. حتى لقد دعاه كارل اوجست مرة الى ان يزور معسكره ليشهد مناورات الجنود فى حرب ضد فرنسا ، فلما لبى الدعوة لم يحفل بالمناورات ، وانما تحول يدرس الاحجار والأزهار فى المنطقة المحيطة بالمعسكر !

والحق ان حبه للسلام لم ينل من حبه لوطنه فى شىء .. ولقد اتهم يوما بأنه من المتخاذلين المتقاعسين لأنه لم يكن ينظم قصائد حماسية مثيرة ، فكان رده : « ما نطقت يوما بشىء لم أحس به وأجربه .. فما نظمت قصائد الحب الا حين أحببت .. فكيف أضع قصائد فى البغضاء وانا لم ابغض ؟ »

رسم بريشة « جيته » نفسه لصديقته النابهة « لويز فون جوخهويزن » ، الوصيفة بالبلاط

يعاشر بائعة زهور .. ثم يتزوجها !

◆ وقد حظى « جيته » فى وسطى مراحل عمره بنعم ثلاث هى أعظم النعم التى ينالها بشر : زوجة محبة ، وولد ، وصديق وفى !

ففى سنة ١٧٨٨ ، التقى بمن تدعى « كريستيان فولبيس » ، وكان فى

التاسعة والثلاثين من عمره .. وسرعان ما علق كل منهما بالآخر، وتعاشرا دون ما زواج .. ولكنهما بعد سنين رأيا أن « الزواج أكثر حرية » من العلاقة الطليقة !

ويقول ((توماس مان)) فى كتابه عن ((جيته)) أن الشاعر الفيلسوف أذهل ذوى المكانة ، وأثار رعاة الاخلاق ، حين عاشر ((بائعة زهور رائعة الجمال ، وغير متعلمة على الاطلاق)) — يعنى كريستيان — ((وكانت علاقته بها مبنية على فجور وتهتك مثير ، فلم يضف عليها الصبغة الشرعية الا بعد سنوات عديدة .. ولكن المجتمع لم يغفر قط له ، ولا لها ، هذه العلاقة!))

جيته — الى اليسار — مع راعيه دوق (فيمار) ، الذى عاش فى بلاطه نحو نصف قرن !

وفى سنة ١٧٨٩ ، حظى « جيته » بالنعمة الثانية ، اذ انجب من كريستيان ولدا .. ومرة اخرى يقول « توماس مان » : « ولقد انجبت كريستيان عدة اولاد ، لم يعش منهم حتى اوسط العمر سوى « اوجست » .. وكان عبئا ثقيلا على نفسه ، وعلى نفس ابيه .. كان سكيرا ، فاسقا ، سيىء الطباع ، شرسا ، ضعيفا ، خبيث الروح منذ البداية .. »

ومع ذلك فقد كان عند مولده .. نعمة !

وكانت النعمة الثالثة هى الصديق الوفى ، الذى تمثل فى الشاعر « شيلر » .. فقد ربط الود بينهما في سنة ١٧٩٤ ، وكان « جيته » في

الخامسة والاربعين من عمره ، و « شيلر » فى الخامسة والثلاثين .. وكانت صداقتهما اروع واعذب من ابدع قصيدة نظمها اى منهما :

كانت صداقة بين انسان سما الى مراتب الالوهية ـ فى نظر قومه ـ وبين انسان ينحدر الى اعتاب القبر ، فقد كان « شيلر » يعيش برئة واحدة فى صدره بعد ان تلفت الرئة الآخرى ..

وكان « جيته » كافرا لا يعبد الا الجمال ، فى حين كان « شيلر » مسيحيا ، يميل الى التقوى والعدالة ..

ولقد بدأ كل منهما حياته متمردا ثائرا ، وانتهى كلاهما الى الاعتدال ، وان اختلفت الوسيلة .. فقد حد « الحظ الحسن » من تمرد « جيته » وجموحه ، فى حين اخمد الفقر ثورة « شيلر » ..

ومع ذلك فقد ظل الاثنان يؤمنان بالثورة فى الفن . وكان الشعر لديهما هو الوسيلة القدسية التى ترقى بالانسان الى درجة الكمال والمثالية .. وهكذا راحا يعملان معا : كل منهما يكمل عبقرية الآخر ويذكى نبوغه ..

ولكن صداقتهما لم تدم اكثر من احد عشر عاما ، ثم مات « شيلر » ، فحبس « جيته » نفسه فى غرفته وراح يبكى كطفل صغير ! .. ثم كتب لأحد معارفه يقول : « لقد فقدت نصف كيانى .. ان يومياتى خالية من كل حديث فى هذه الفترة .. وما اشبه الصفحات الخالية بذلك الفراغ الذى اعتور حياتى .. »

سلسلة من الفواجع !

◆ ولقد عاش « جيته » طويلا ، ولكنه اضطر الى ان يدفع مقابل العمر الطويل ثمنا غاليا من الضنى والوحدة .. فقد أخذ يفقد أعزاءه واحدا اثر الآخر : فقد صديقه الوفى ، ثم اخته الوحيدة ، واعقبتها زوجته الحبيبة ، ثم ولده فى النهاية ..

بيد انه مضى فى الحياة بشجاعة ، يسكب احزانه ـ كما كان يسكب افراحه ـ فى اشعار خالدة .. فقد كان لا يكتب غير ما يعرف بالتجربة والخبرة .. ومن فيض هذه الخبرة وتلك التجارب ، الروحية منها والفكرية ، ملأ ستين مجلدا من الاغانى العاطفية ، والقصائد الحزينة ، ومن الهجو والمديح ، ومن قصص البطولة والمسرحيات ، ومن المقـالات والروايات ، والحكايات الخرافية ، والقصص الفلسفية .. الخ

وأخيرا ، حشد جماع عبقريته ونبوغه فى تحفة ادبية واحدة ، فأخرج للناس « فاوست » ، الملحمة التى استغرق تاليف القسم الاول منها ثلاثين عاما ، واقتضي اتمام القسم الثاني منها خمسا وعشرين عاما !

فاوست

◆ وقد كان الغرض الذى سعى اليه « جيته » من وراء مسرحية « فاوست » هو فهم « الانسانية » وادراكها ٠٠ أى سبر غورها ، وقياس قواها ، وتحديد مهامها ٠٠ وقد ظهر المحور الرئيسى للقصة فى مقدمتها ، اذ ورد فيها أن رهانا عقد بين الله والشيطان على روح الانسان ٠٠ والشيطان لا يحفل بالأخلاق ، وهو دائما كافر ، منكر ، لا يرى أى معنى لاستمرار « مسرحية القدر التى لا تنتهى » والتى تتألف من دائرة مفرغة لا نهاية لها : خلق البشر ثم القضاء عليهم !٠٠ بل يرى أنه كان من الافضل أن تدوم حالة « الفراغ » الابدية التى سبقت بداية الكون وانطلاقه فى هذه « الرحلة التى لا داعى لها » خلال الزمن ٠٠ ومن ثم فان الشيطان يعمل على عرقلة خلق الله ، وعلى الزيغ بالمخلوقات ، وعلى انكار الخير فى نفوس الناس ، الى حد أنه يقول : « حتى الدكتور فاوست العجوز ، أعلم الناس وأكثرهم استقامة ، يمكن أن يقع بسهولة فريسة فى أحابيلى ووسواسى ، لو أننى تجشمت عناء المحاولة ! »

ولكن الله أعلم بخلقه من الشيطان وأدرى ٠٠ وهو يعرف أن بصيرة الانسان غير مكتملة ومن ثم فهو يجاهد ويكافح خلال الظلمات : « انه يكافح ويأثم فى حياته ٠٠ انه يجاهد بالغريزة ساعيا نحو النور » ٠٠ ومن هنا تم الاتفاق على أن يحاول الشيطان أن يضل « فاوست » وأن يسعى الى هدم الجزء الخالد من روحه ٠٠ فاذا انتهى الأمر بفاوست الى أن يرى أن الفترة العابرة ـ التى تدومها الحياة الدنيوية ـ جميلة وحلوة ، حتى انه يكره الانتقال منها الى الحياة الاخرى ٠٠ كسب الشيطان الرهان !

ويروى « جيته » فى القسم الأول من هذه الملحمة الشعرية ـ التى سبق أن قدمها « كتابى » للقراء ـ كيف أن الشيطان أعاد « فاوست » الى شبابه ، وأضله بكثير من المتع الذاتية فى الحياة : الجمال ، الثروة ، الحس المرهف ، التهور ، الملاذ الخالية من تبعات الحب ٠٠ واذا بـ « فاوست » يعمد ـ بارشاد من الشيطان ـ الى اغواء « مرجريت » ٠٠ ثم يهجرها فى عارها وأحزانها وينطلق ، وقد استولى عليه شغف بارتكاب الخطأ والخطيئة !٠٠ ولكنه لا يشعر طيلة الوقت بلحظة واحدة من الهناء ، ولا يصادف حدثا واحدا يحمله على أن يقول : « مهلا أيتها الحياة ، فأنت حلوة ! »

ويحاول الشيطان بعد موت «مرجريت» أن يكسب «فاوست» بمغريات من نوع جديد ٠٠ ويتلهف « فاوست » ـ الذى يرمز للانسان عموما ـ على أن يخوض كل تجربة فى الحياة ، وعلى أن يتعرف على كل فرح وحزن يخالج النفس الآدمية ، وعلى أن يعيش ويعمل مع البشر ، وأن يشاطرهم المصير الذى ينتهى اليه الجنس البشرى ـ غرق سفينة البشرية ! ـ ومن أجل هذا يساعد الشيطان ربيبه « فاوست » على أن يصبح مستشارا فى بلاط ملكى ـ مثل « جيته » ! ـ ويستطيع « فاوست » بجهوده ومواهبه فى هذا المنصب أن يفوز بالتمجيد والمراتب والتكريم ، ولكنه لا يفوز بالسعادة !٠٠ واذ يشقى بهذه الحياة ، يلجأ الى بعث الحياة التى كانت قائمة فى الماضى : **فيخرج من ادراج القدم روح « هيلين » حسناء « طروادة » ، ويردها الى الحياة ، ويسعى الى الزواج منها ـ تماما كما كان « جيته » يحاول أن يقرن فكره بفكر شعراء الاغريق الاقدامى ! ـ ولكن « فاوست » لا يكاد يحتوى « هيلين » بين أحضانه حتى يتبين أنها تلاشت ، غير مخلفة ســوى وشاحها !٠٠** وهكذا يتبين فاوست أن من العبث بعث الماضى ـ كما أدرك « جيته » أن لا جدوى من محاولة ادراك عظمة الفكر الاغريقى القديم ! ـ فبالرغم من كل الجهود

لا يستطيع « فاوست » ، و « جيته » ، أن يصلا الى روح الماضى العريق وأن يحتفظا بها ٠٠ اذ أنها سرعان ما تفر منهما ، غير مخلفة سوى الغلالة الخارجية التى كانت تكسوها !

وهكذا ينتقل « فاوست » من تجربة الى أخرى ، دون أن يجد فى أى منها الارضاء الذى ينشده ٠٠ بل ان حياته تصبح سلسلة من التعثرات ، فكل ما يضطلع بعمله ـ خيرا كان أو شرا ـ ينتهى الى اخفاق ، أو الى فوز أجوف هو شر من الاخفاق ٠٠ حتى انه ليتبين ـ بمجرد أن فاز بمعركة هامة لامبراطوره ـ أن انتصاره فى الحرب لم يكن له من معنى سوى ايقاع الموت والخراب بالفريقين المتحاربين !

ويمنيه الشيطان بالمدن ، والممالك ، والقلاع ، والكواعب الحسان ، والاعمال المجيدة ، والشهرة الخالدة ٠٠ ولكن « فاوست » يسأم كل هذا وقد خطا الى المرحلة الاخيرة من عمره ، وأدرك أن ملاذ الشباب ومتعه ، وجلائل الاعمال التى حققها فى أوسط عمره ، لم تعد عليه بشىء اللهم الا ٠٠ تبدد الوهم الكاذب !٠٠ واذا لهب الشباب وشهواته قد غدت رمادا ٠٠ واذا نور بصره قد خبا ٠٠ وآن له أن ييأس من تحقيق البغية التى ظل ينشدها طوال حياته : السعادة !

ولكن من الغريب أنه يلقى السعادة فى اللحظة التى تملكه فيها اليأس ، فيشرع فى استصلاح مساحات شاسعة من الاراضى الحمأة بقرب البحر ، ليعدها لايواء الناس ٠٠ ويضع الخطط لانشاء بيوت على تلك الاراضى الحرة لملايين من الناس الذين سيزدادون استمتاعا بالحرية كل يوم بالعمل والجهد ٠٠ فهذا هو الهدف المنسى المتوارى الذى كافح من أجله طيلة حياته دون أن يفطن اليه بعقله الظاهر ، وان كان عقله الباطن قد أدركه ٠٠ وهذه هى اللحظة الهنيئة التى يحق له فيها أن يهتف بالحياة : « مهلا ٠٠ فأنت حلوة ! »

وأما وقد بلغ أسمى لحظات العمر ، فقد آن لحياته أن تنتهى .. وتوحى الظواهر بأن الشيطان قد فاز بالرهان ، فيطالب بروح فاوست جزاء فوزه ، ولكن الملائكة تهبط وسط سيل من الورود ، فتنقذ روح فاوست منه وتحملها الى السماء !.. فلقد ارتكب فاوست أشنع الآثام ، لكنه كان خلال آثامه جميعا يجاهد بغريزته ساعيا نحو النور !

« يحجون » اليه من كافة الأقطار !

◆ **أما** وقد ختم « جيته » بذلك أسمى مؤلفاته ، بل أسمى عمل فى حياته ، فقد آن له هو الآخر أن يحظى بالراحة الابدية .. وكان فيما بين السبعين والثمانين من عمره قد غدا خير ممثل للثقافة الغربية .. **فأصبح الناس يحجون اليه من كافة أرجاء العالم ، وكأنهم يحجون الى قدس من الاقداس ، حتى لقد كان ضعيفو البصر منهم يخلعون نظاراتهم لدى بابه لما كان معروفا عنه من أنه يكره أن يرى زجاجا يعكس الضوء والصور .. وكانوا اذا تحدثوا اليه ، ينساقون له انسياقا تاما ، فاذا وجد فى حديثهم ما يستثير اهتمامه ، أو يزيد معرفته ، وقف بهم عند النقطة التى استثارته ، وراح يوسعهم سؤالا وتدقيقا .. فاذا ما ازداد اهتماما بأحد زواره ، دعاه الى اطالة البقاء ، والى مشاركته مائدته التى كانت تحفل بما تحفل به موائد الملوك من طعام أو شراب ، ولا يزال به حتى يمتص كل ما لديه من معرفة كانت تنقصه ..**

على أن العلل القاسية راحت تشتد به كلما تقدمت به السنون ، وأخذت تعاوده نوبات الالتهاب الرئوى ، والنقرس ، وحصى الكلى .. ومع ذلك ، فقد كان من أغرب الامور أن وجهه استرد فى أواخر عمره ما كان له فى باكورة شبابه من جمال ورونق ..

وفى عيد ميلاده الثانى والثمانين ، أجمع المعجبون به على أن يقيموا مهرجانا فخما تكريما له .. ولكنه تركهم فى تدبيرهم

وفر الى جبال « ايلمناو » ، حيث لاذ بكوخ كان قد اعتاد أن يتردد عليه مع كارل أوجست فى السنوات الخوالى ..

وطالعته على جدار بالكوخ كلمات كان قد كتبها بالقلم الرصاص فى تلك السنين : « فوق قمم التلال سكينة وسلام.. حتى ليندر أن ترى نسمة تتخلل رؤوس الشجر .. والطير قد أمسكت أصواتها فى الغاب .. فاهدأ واصطبر ، اذ لن تلبث أن تحظى أنت الآخر بالراحة »

وترقرقت الدموع فى عينيه ، فمسحها وهو يتمتم مرددا : « لن تلبث أن تحظى أنت الآخر بالراحة .. »

وعاد الى داره هادىء النفس ، فقضى فترة ينظم المزيد من أشعاره الساحرة التى وصفها « هاينى » الشاعر بقوله : « ان كلماتها تحتضنك ، بينما تطبع الفكرة فيها قبلة على صفحة نفسك ! »

وأخيرا ، جاء اليوم الذى حاول فيه أن يغادر الفراش فعجز ! - وكان اليوم السادس عشر من مارس سنة ١٨٣٢ - وانقضت ستة أيام والقلوب تحيط بفراشه واجفة .. ثم ، وبينما كان الجميع يمسكون بأنفاسهم حرصا على الصمت الذى ارتاح اليه ، أغمض عينيه .. وتسربت أصداء قصيدة حياته الى الصمت الابدى !

وكانت آخر كلماته : « اللهم نورا !.. مزيدا من النور ! »

ترقب قريبا .. العدد الخامس من :

« مطبوعات كتابى »

ما هو ؟.. ومن مؤلفه ؟.. ومتى يصدر ؟

خلف النوافذ المغلقة

عباقرة الإنسانية في حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ..

فى الاعداد الستة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هـذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كما كتبها اديب من اسرته وذوى قرباه هو « ليون دوديه »

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس البـاب « اعترافات جان جاك روسو » وهـو الكتاب الذى فتح فى الادب « الشخصى » فتحا جديدا ، اذ كان اول كتاب يتحدث فيه اديب عن نفسه ، «فيشرح» عيوبه قبل حسناته بصراحة وجراة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

ثم قدمت لك فى الاعداد من ١٨-٢٦ الكتاب الممتع الذى اصدره الاديب العالمى « اندريه موروا » منذ اسابيع ، وروى فيه حياة الاديبة والملهمة الخالدة «جورج صاند» ، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيللى .. دزرائيل .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

وقدمت لك فى العدد ٢٨ قصة حياة ومأساة الفنان الفرنسى الخالد ((هنرى دى تولوز لوتريك)) ، رسام ((الطاحونة الحمراء)) .

واليوم اقدم لك فيما يلى صفحات من الحياة الخاصة للشاعر الالمانى الخالد ((جيته ، ، فى شيخوخته !

GOETHE'S
LAST LOVE
BY
STEFAN ZWEIG
عندما يحب الشيوخ!
غرام "جيته" الأخير
للكاتب النمسوي الأشهر
ستيفان زڤايج

عندما يحب الشيوخ !

◆ فى الصفحات السابقة قدمت لك قصة حيـاة ((جيته)) من ناحيتها العامة .. لكن شخصيته العظيمة لا تكتمل معالمها وتبين الا اذا ألقى الضوء على الجانب الآخر من حياته ، الجانب الخفى ، جانب حياته ((الخاصة)) !

.. لذلك رأيت أن أردف سيرة جيته السالفة بالجانب التكميلى لها ، فالخص لك هذا الفصل من الكتاب المتع الذى أصدره الاديب النمسوى الاشهر ((ستيفان زفايج)) بعنوان ((عجلة الحظ)) .. وهو فى هذا الفصل يقص علينا قصة غرام ((جيته)) الإخير ، فى سن الثالثة والسبعين ، ببولندية حسناء فى التاسعة عشرة !

فتعال معى نعاصر هذا الغرام ، فى ركاب المؤرخ ذى الاسـلوب الساحر ((ستيفان زفايج)) :

المرثية التى بكى بها « جيته » غرامه !

◆ **نحن** فى الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٨٢٣ ، وقد انطلقت عربة من عربات البريد تنهب الطريق بين «كارلسباد» و « ايجر » .. وكانت برودة الخريف تشيع فى الجو ، وثمة ريح عاتية تكتسح أعقاب الحنطة ، لكن السماء كانت رغم ذلك صافية من الضباب ، تترامى فوق الرؤوس كخيمة زرقاء، والشمس مشرقة ساطعة ..

وكان فى العربة ثلاثة رجال : فون جيته ، المبعوث الخاص لدى غراندوق « ساخسن فيمار » ... ورفيقاه الوفيـان : « ستادلمان » — خادمه المسن — و « جون » ، سكرتيره الخاص، الذى نسخ أكثر أعمال جيته الادبية التى كتبها خلال الحقبة الاولى من القرن التاسع عشر

لم يتفوه أحدهم بكلمة ، فمنذ غادروا (كارلسباد) ، حيث ودعت النساء والفتيات شيخهن المحبـوب بالنظرات الولهى

والتمـلات ، لم يفتح جيته فمه ، وانما استرخى الى الوراء فى العربة مستغرقا فى التأمل ، وقد نم وجهه عن اضطراب يعتمل فى أعماقه ٠٠٠ وحين توقفت العربة فى أول محطة ، ترجـل منها ، ورآه رفيقاه يخط شيئا على قطعة من الورق !٠٠ وتكرر ذلك منه فى كل مرة توقفت فيها العربة لاستبدال جيادها طيلة الطريق الى فيمار ٠ ثم لم تكد أقدامهم تطأ قلعة « هارتنبرج » ، فى اليوم الثانى للرحلة ، حتى أخذ يدون ما كان يتبلور فى ذهنه خلال الطريق ٠٠ وفعل نفس الشىء حين بلغوا « ايجر » ، ثم « بوسنك » !

وفى هذا تقول لنا يومياته فى ايجاز :

« ٦ سبتمبر : بدأت القصيدة » ـ « ٧ سبتمبر : واصلت كتابة القصيدة » ـ « الاحد ١٢ سبتمبر : أنا ماض فى كتـابة القصيدة »٠٠ فلما بلغ فيمار كانت القصيدة قد تمت ، وجاءت من أروع ما نظم الشاعر ، بل لعلها أقوى قصائد شيخوخته على الاطلاق !٠٠ وقد وصفها جيته يوما بأنها تصور « يوميات حالته النفسية » ٠٠٠ والواقع انه ما من صفحة من يومياته الحقيقية تكشف باطنه بصراحة ووضـــوح أكثر من هـذه الملحمة التى تنضج أسى وحيرة ، هذه المرثية التى تنبع من أعمق أحاسيسه ، والتى لا تدانيها فى صدق واقعيتها وحيويتها وغناها باشراق الخريف وأصباغه أية أنشودة من أهازيج شبابه ٠٠ أو كما قال عنها لصديقه « اكريمان » انها عصارة لاقوى ما ينتـاب العقـل من تأثير الجموح العاطفى ، بل انها مزيج من حرارة الانفعال وسمو الصياغة ، وقد أطلق عليها : « مرثية مارينباد »

واليوم ، وقد مضى على نظمها قرن من الزمان ، ما تزال هذه الصفحة من حياة جيته الحافلة بالاحـداث والعواصف نابضة بالحياة كيومها الاول ٠٠ ولسوف يظل يوم ٥ سبتمبر ، الذى بدأ فيه نظمها ، يوما خالدا عند عشاق الادب الالمانى ٠٠

الشيخ المتصابى

◆ وأشرق على القصيدة ، وعلى الشاعر ، وعلى الزمن ، فجر يوم جديد ..

ولكن ، لا بد هنا من رجعة الى الوراء ..

فى فبراير سنة ١٨٢٢ أصيب جيته بمرض شديد غامض حار الاطباء فى تشخيصه وعلاجه .. كانت تنتابه نوبات حمى حادة تفقده وعيه أحيانا .. ولكنه شفى فجأة كما مرض فجأة ، فلم يأت شهر يونيو من ذلك العام حتى كان قد استرد صحته كاملة ، وكأنما مرضه كان عارضا لتصابى نفسيته ، ونكسة من نكسات مراهقة طارئة !.. وكان قبل وعكته قد أمسى متحفظا جامد الاحساس ، وخيم على روحه الشاعرية ظل من الجفاف والتبلد .. لكنه لم يلبث حين أبل منها أن عاوده احساسه المرهف وشعوره العاطفى الخصب .. لم يعد يحتمل أن يعزف على البيانو بنفسه ، أو ينصت الى مقطوعة تعزفها عليه امرأة شائقة ، بغير أن يضطرب كيانه كله وتلمع الدموع فى عينيه .. كأنما هو ينقب فى أعماق نفسه عن حرارة شبابه التى خمدت !.. **ودهش أصدقاؤه حين رأوه ينفق أكثر الليل فى رفقة النساء ، ويخاصرهن فى الرقص ، وهو الشيخ الذى جاوز الثالثة والسبعين !.. لقد بدا كأن الانسان الذى جف ويبس ، مسته عصا ساحر فأعادته الى الحياة ، وجعلت روحه تستجيب لنزوات الشباب .. وكأن بطل قصته**

« فرتر » قد استيقظ فى عروقه من جديد !٠٠ وان دفتر يومياته ليفضحه فى هذه الآونة بما يسجل بين دفتيه من « أحلام الوصال » ، وقصائد الحب المرح الملتهب التى توحى اليه بها ملازمته للنساء ، والتى تعيد الى أذهان عارفيه مناوراته وخدعه الغرامية مع « ليلى شونمان » قبل ذلك بنحو نصف قرن من الزمان !

أخيرا عرف السبب : ان قلبه المتصابى قد وقع فى هوى البولونية الحسناء « أولريك فون لفتزوف » ، التى لا تتجاوز التاسعة عشرة !

كان جيته قد أحب أمها ، قبل خمسة عشر عاما ٠٠ ومنذ عام واحد كان يداعب الصبية مداعبة « أبوية » ٠٠ أما اليوم فقد تحولت مداعبته الى غرام جارف ، هز كيانه هزا ، وأثار كوامن طبيعته البركانية فراحت تقذف من جوفه الحمم ٠٠ صار الشيخ يتصرف كالفتى المراهق ، اذا سمع ضحكتها المرحة تصافح أذنيه من الشارع ترك عمله وهرع ليلحق بها ، دون أن يتأنى ليأخذ عصاه أو قبعته ، وراح يغازلها كالشاب الخجول ٠٠ !

وبعد استشارة طبيبه التمس من صديقه القديم غراندوق « فيمار » أن يطلب له يدها من أمها !٠٠ لكن هذا تردد : أيليق هذا الزواج ، غير المتكافىء ، بالرجل الذى تعتبره ألمانيا كلها ، بل أوربا بأسرها ، أحكم الحكماء ٠٠ وأنضج وأذكى أدباء العصر ؟

وأخيرا رضخ الغراندوق ·· ولا يعلم أحد بالضبط ماذا كان جواب أم الفتاة، وانما يبدو أنها أعربت عن رغبتها فى الانتظار، وتأجيل الفصل فى الامر ·· ومن هـذا يستدل أن جيتـه غازل الفتاة بغير أن يستوثق من أن تصرفه سوف يجد من أهلها حسن القبول ! ·· **وهكذا اكتفى من محبوبته بقبلات مختلسة بين الحين والآخر ، بينما ضاعف الانتظار والترقب من اشتعال شوقه الى امتلاك فاتنته الخلابة التى كانت تضطرم شبابا وحرارة ·· فجعل همه أن يناضل للظفر بأكبر قسط ممكن من السعادة الوقتية ، ومن ثم تبع محبوبته الى كارلسباد فى لهفة العاشق واخلاصه المعهود ·· وهناك قاسى جحيم الشك والحيرة الناشئين عن عدم الاطمئنان الى النتيجة ··**

الرحيـــل ··

◆ ·· **وبتقدم الصيف** ، ازداد عذابه حدة ·· وأخيرا حانت ساعة الفراق ·· لم يكن شىء قد تقرر ، ولا تبودل بين العاشق ومعشوقته عهد أو وعد ·· فاستقل الشاعر الشيخ عربة البريد من كارلسباد الى ايجور وهو يحس أن شيئا خطيرا فى حياته قد بلغ نهايته ! وفى تلك الساعات الاليمـــة ، الحافلة بأمر مشاعر الاسى الممض ، وجد الشاعر عزاءه الوحيد فى رفيقـه الدائم الذى لم يخذله يوما فى فجيعة أو محنة : وجـد عزاءه وملجأه الاخير فى الشعر ، فباح بسر مشاعره الواقعية للكلمات المجنحة ·· واستهل قصيدته بسطرين من مسرحية قديمة كان قد كتبها قبل أربعين سنة كاملة دون أن يخطر بباله يوما أن سطورها سوف تنطبق على حاله فى المستقبل البعيد ·· وكان ذلك الاستهلال : « عندما يخرس الحزن لسان انسان ، يهبه الله أن ينفس عن كربه بأغنية ·· »

وهكذا جلس الشيخ المكروب فى العربة وقد استبدت به حيرته وهمه : لقد جاءت محبوبته « أولريك » مع أختها فى هذا

الصباح لتشترك فى توديعه مع الجماهير الزاخرة ، وقد أحس شفتيها الحبيبتين لصق شفتيه ، **ولكن ٠٠ هل كانت قبلتها أكثر حرارة من قبلة ٠٠ ابنة ، لابيها ؟٠٠ وهل تستطيع أن تحبه ؟ أم ستنساه سريعا ؟٠٠ ثم ماذا يكون من أمر ابنه وزوجة ابنه ؟ انهما يتطلعان الى أن يصبحا وريثين ، فهل يحتملان زواجا كهذا ؟ وهل لن يجعل نفسه موضع سخرية العالم لو أقدم على الزواج من صبية فى سن حفيدته ؟٠٠ واذا أتيح له أن يلقاها مرة أخرى ، فماذا يمكن أن يأمل من وراء هذا اللقاء ؟**

٠٠ تراكضت هذه الاسئلة وغيرها فى ذهنه المبعثر ٠٠ وفجأة اتخذ أحدها صورة شعرية وتحول الى أبيات ! لقد ألهمه الله القدرة على التعبير عما يعانى ، فوجدت صرخته الملتاعة طريقها الى شعره ، فى صراحة لا يشوبها خجل :

« أى أمل فى لقاء آخر ٠٠

« توحيه أكمام هذا الزهر ،

« ولما تتفتح بعد ٠٠؟

« ها أنت ترى الجنة والجحيم أمامك مفتوحين

« فأية أفكار تتأرجح بين جوانحك ؟ »

ثم تفيض آلامه وتتبلور فى أبيات متتابعة من الشعر ، تصف مشاعره المضطربة ٠٠ وفكره المبلبل ٠٠ وتحين منه نظرة عابرة من نافذة العربة فيرى الحقول المترامية تستحم فى شمس الصباح ، فيقارن بين سكينة الريف الحالم وبين العاصفة التى فى أعماقه !٠٠ ثم يتنبه الى شجنه من جديد فينسى كل ما عدا محبوبته . وتهاجمه ذكراها كأعنف ما تكون الذكرى وأعنف ما تكون المهاجمة . فيصفها فى أبيات رقيقة باكية ، ويذكر قبلتها الاخيرة له لحظة الوداع ، وضغط شفتيها الغضتين على شفتيه ٠٠ ثم يصور شوقه المبرح اليها ، وألم الفراق الموجع ،

فتفيض دموعه على الورق ٠٠ ويختم القصيدة بصرخة أخيرة مروعة :

« اتركونى هنا يا رفاق حياتى ، وحيدا على الصخر ، وحيدا بين السماء والارض ، أبحث وأنقب بعينى الحائرتين ، لعل الطبيعة تبوح بسرها الغامض ٠٠ لى !

« انى ضائع يا رفاق ٠ تضنينى اللهفة الى تينك الشفتين ٠ لكنهما تهجراننى وتمضيان ، فأسقط اعياء على الارض ٠٠! »

وكانت تلك أول مرة يخرج فيها الرجل عن تحفظه الذى طالما لازمه فى شعره وأغراه بأن يخفى مشاعره ، فلا يعبر عنها الا بالرمز والكناية ٠٠

يجتر هواه ٠٠ وشعره !

◆ **وحين** بلغ داره ، كان هم « جيته » الاول ـ قبل أن يستريح حتى من عناء الرحلة ـ أن ينسخ القصيدة بيده ، على ورق فاخر ، فى عناية بالغة واعتزاز كبير ٠٠ ثم جلدها ـ بنفسه أيضا ـ بجلدة رائعة من الكتان الازرق ، ما تزال محفوظة بين دفتيها فى متحف « جيته وشيللر » بألمانيا ، وحرص على اخفائها حتى عن خاصته ، كما يخفى البخيل كنزه الثمين ، أو الراهب الخاطىء سره الرهيب !

وفى تلك الاثناء كانت فكرة زواجه فى خريف حياته قد قوبلت باستنكار شبه عدائى من أسرته ، وخاصة من ابنه ٠٠ فلم يجد المسكين له ملاذا وعزاء عن متاعبه ، وصلته مع محبوبته ، الا فى قصيدته التى تروى هواه الموءود ٠٠ فصار يقرأها ويستعيدها كل حين خفية عن جميع العيون، عدا عينيه الذابلتين ، الدامعتين !

لكن نار الشباب التى اشتعلت زمنا بين ضلوعه لم تلبث أن أعقبها انهيار فى قوى الشيخ الهرم ٠٠ وأخذ الموت يحوم حوله فى اصرار وتربص ، فصارت أيامه قسمة عادلة بين فراش

المرض ودور النقاهة ٠٠ وهجره ابنه وزوجة ابنه ، فلم يبق من يعنى به أو يأبه له ! وفى تلك الآونة زاره صديق له ، فكتب يصفه بقوله : « وجدت أمامى رجلا يبــدو كأنما قد استهلكه الحب ، واستنفدت غصصه من بدنه المضمحل ماء الحياة ! »

السلوان ٠٠٠ !

◆ لكن الزمن تكفل بابراء السقيم من دائه ، فقد خف حزن « جيته » تدريجا ، ووضــع أمله الخائب على الرف ، أو قل نفض يده منه ، بعد أن بددت الايام حلمه الجميل بأن تشاركه محبوبته حياته ٠٠ وأيقن انه لن يطأ مرة أخرى « كارلسباد »، حيث تقيم ٠٠ **فلم يجــد بدا من أن يكرس ما تبقى من أيامه للعمل ٠٠ ويحول هدف حبه من المرأة الى الادب ، فعكف على درته الخالدة « فاوست » ينبش أوراقها التى اصــفرت بمضى الزمن ويكملها ٠٠ كان قد بدأ هذه المأساة الفلسفية فى شبابه ثم شغلته الظروف عن اتمامها ٠ أما الآن فقد حانت الفرصــة لان يضع فيها خلاصة تجاربه وفلسفته فى الحياة ٠٠**

وقد فعل ٠٠ أتمها فى سن الثمانين ، بعد سبع سنوات من فجيعته فى غرامه ، فجاءت آية من آيات الفكر الانسانى !

١ ـ قصــــة مدينتين

٢ ـ ذات الثوب الابيض

٣ ـ الخــالدون

٤ ـ الخاطئــــــة

والآن ٠٠ تطالع قريبا

العــدد الخامس من :

« مطبوعات كتابى »

ما عنوانه ؟٠٠ ومن مؤلفه ؟٠٠ ومتى يصدر ؟

حوافز الحياة

النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء الجديدة » ثم « كيف تقهر الخجل » و« كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » ..

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة » التى شرحها المفكر العالمى « اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرات معى فى هذا الباب فصول كتاب «غزو السعادة» لبرتراند رسل .. فكتاب فرويد المشهور «التحليل النفسى» ، يليه «كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة» ، ثم «الجنس الاخر» ، و«عش حياة ايجابية» ، و«ابواب الحب المغلقة» ، و«فن الحب» للشاعر الرومانى أوفيد .. ثم «الانتصار على الخوف» ، للاخصائى المعروف «جميس بندر» .. و «عش بحكمة تعش سليما» للاخصائى الالمانى «برنارد ديتمار » ثم : « كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة » لويلفريد نورثفليد

واليوم أقدم لك الجزء الاول من الكتاب الرائع «الرغبة فى الحياة» .

الرغبة في الحياة

للعالم النفسى الطبيب الدكتور ارنولد هتشنكر

.. وياله من كتاب !

◆ قلما يصادف القارىء كتابا فى علم النفس اقرب الى النطاق « العملى » الذى يهم كل قارىء بلا استثناء ، مثل هذا الكتاب الرائع الذى يؤدى به مؤلفه للانسانية خدمة لا تقدر ! .. فلقد تناول فيه بالبحث موضوعا هاما لم يعالجه كاتب من قبل من هذه الزاوية الجديدة التى تلقى ضوءا ساطعا - مزودا بالامثلة الواقعية المطولة - على العلاقة بين انفعالات النفس ، وامراض الجسم .. واسباب اصابة بعض الناس بامراض خاصة ينجو منها آخرون يشاركونهم جميع الظروف ! .. وأثر العواطف - وعاطفة الحب بصفة خاصة - فى الاصابة أو الشفاء من الامراض .. وعلاقة النجاح والفشل ، والسرور والكآبة ، بالصحة والمرض ..

بل ان المؤلف - وهو طبيب مشهور - ينادى من فوق منبر كتابه هذا بنظرية بالغة الاهمية : هى ان الانسان لا يموت من اى مرض ، الا اذا استسلم للموت - سواء بعقله الواعى أو الباطن - وانطفات فيه ارادة الحياة ، أو الرغبة فى الحياة ، أو الاصرار على الحياة .. وهذا يحدث اذا فقد الحوافز التى تدفعه الى الكفاح فى سبيل بلوغ اهدافه المنشودة ، وترك الغريزة الهدامة او غريزة الموت تفعل فعلها فى نفسه وجسمه .. وتقهرهما !

مقدمة

◆ « ان العالم سقيم » .. عبارة قلناها ونقولها - وسمعناها ونسمعها - كعذر للارتباك الذى يسود الدنيا ، والمسلك الطائش الذى يصدر عن الانسان .. ولكنها عبارة صادقة بكل حرف فيها ، فلقد كشفت الدراسة الحديثة لصحة سكان العالم ، عن أن **نصف الجنس البشرى مصاب بعلل بدنية .. كما يقول الطبيب النفسى « فلاندر دنبار » - مستندا الى تحرياته وبحوثه فى أوساط الصناعة والجيش - ان ثمانين فى المائة من سكان الولايات المتحدة مرضى نفسانيا !**

والواقع ان الطب البشرى ـ رغم كفاحـــه المجيد ـ يبدو عاجزا عن اللحاق بالمرض والموت فى سباقه معهما ٠٠ ولكن الادعى للجزع حقا ، ان ما بين ثلاثين وخمسين فى المائة من المرضى الذين يترددون على عيادات الاطبـــاء ، يشكون من أعراض لا توجد لها أسباب بدنية أو عضوية ٠٠ ويكاد الطبيب ـ مهما بلغت براعته وسحر عقاقيره ـ أن لا يملك مساعدة لنصف مرضاه تقريبا !

فما سر هذه الامراض الغامضة ؟٠٠ ولماذا يمـــرض بعض الناس ويبقى الآخرون معافين ؟٠٠ ان الطب يعزو هذا الى : المناعة ، والوراثة ، وضعف البنية ، وعوامل البيئة ٠٠ ولكن هذه العوامل وكثيرا غيرها ليست سوى صيغ مختلفة لعبارة: « لا ندرى ! » ٠٠ اذ أن الفحص الدقيق لا يقرر سببا من هذه الاسباب ٠٠ ولقد يؤكد الطبيب لمريض انه صحيح الجسم ، خال من العلل تماما ، ومع ذلك فان المريض يظل شـاعرا بالمرض ، ويتنقل بين الاطباء يبحث عمن يهتدى منهم الى مصدر آلامه ، فلا يزداد الا حيرة وقنوطا ٠٠ وقد تكون ثمة أعراض بدنية يقبل الطبيب على فحصها ، ولكنه لا يلبث أن يعزوها الى « حالة عصبية » ، فيصف للمريض بعض « الفيتامينـــات » و « السلفا » و « البنسلين » وما إليها ٠٠ أو بعض الاقراص المنومة ، أو ينصحه بنزهة فى الريف !٠٠ ولكنه يعلـــم ـ والمريض يعلم ـ ان هذه كلها ليست سوى مسكنات وقتية !

الاضطراب النفسى وأثره فى مرض الجسم

◆ **ان** سقم الجسم ليس مجرد علة بدنية، ولا مجرد اختلال فى وظيفة العضو المعتل ، بل ان المرض مظهر لنشاط قـــوة هدامة فى أعماق النفس ٠٠ ولن يلبث أن يأتى وقت يعترف فيه بأن اضطراب المشاعر يساهم بدرجة كبيرة فى اظهـــار المرض البدنى ، أيا كان نوعه ٠٠ من البرد العادى الى السرطان

.. نعم ، يجب أن نعترف بأن المرض ليس مجرد صورة لاعراض بدنية ، وانما هو مظهر أيضا لصراع محتدم بين دافعين أساسيين جبارين ، هما الغريزة المنشئة ، والغريزة الهدامة .. فاذا تغلبت الاخيرة على الاولى ، نشأ المرض .. واذا تغلبت الاولى بقى الانسان محتفظا بالصحة

ولقد كان من أعظم أعمال سيجموند فرويد ، أن ابتكر نظريته عن هاتين الغريزتين وعملهما ، والصراع بينهما فى نفس الانسان .. وأعتقد اننا بهذه النظرية نستطيع أن نتعمق فى الكشف عن أكثر تصرفات الانسان غموضا وابهاما..

الرغبة فى الحياة .. تحفظ الحياة !

◆ و « ارادة الحياة » أو « الاصرار على الحياة » هو الدافع القوى الذى يدفع الانسان الى البقاء حيا ، بل يدفعه الى أن يبتكر ، ويكتشف ، ويعمل .. والاطباء يعترفون بذلك ، دون أن يفطنوا ، حين يقولون فى الازمات المرضية : « لقد بذلنا كل ما فى وسعنا .. والامر الآن فى يد المريض نفسه! » .. ولو أنصفوا لقالوا ان الامر بات متوقفا على قوة الغريزة المنشئة أو البانية ..

أما الغريزة الهدامة فقلما تلاحظ بوضوح .. ولكننا نراها فى الانسان ممثلة فى الكراهية والتعصب .. ونذهل اذ نتبين انها ـ رغم التعاليم الدينية والخلقية ـ أقوى من الغريزة المنشئة وأعتى .. ولقد يكون من السهل أن ندرك أن الرجل الذى يطلق الرصاص على قلبه يقضى على نفسه .. ولكن من العسير أن نرى ان الانسان قد يقتل نفسه تدريجا .. بالمرض !

وبهذا الكتاب أحاول أن أبعث الامل والادراك فى المرضى ، وفى أولئك الذين يحاولون تجنب المرض ، وفى الذين يحزنهم مرض سواهم من المقربين اليهم ..

الجزء الاول

١ ـ المعركة بين الغرائز

◆ جلست المريضة على حافة مقعدها ، وكأنها متأهبة للفرار ، وقالت : « لعله ما كان ينبغى لى أن أجىء .. لقد ذهبت الى كثير من الاطباء .. وقد لا تكون ثمة وسيلة لمساعدتى » .. وراحت تعدد لى الاطباء الاخصائيين الذين زارتهم .. اخصائيين فى الامراض النسوية ، واخصائيين فى أمراض القلب ، وباطنيين ، وجراحين .. ولقد قضت عامين تحت العلاج على يدى طبيب نفسانى.. واجريت لها عمليتان جراحيتان .. وكان كل طبيب يصف داءها وصفا مخالفا لما وصفه به سواه !.. وحتى اذا نجح طبيب فى القضاء على أحد الاعراض التى تعانيها ، لم تلبث أن أحست بعرض جديد ..

وسالتها عما بها ، فقالت : « **أحس بتعب مبرح .. ساقاى ثقيلتان .. لا أكاد أقوى على قضاء يومى بسلام .. ولا احتمل الضوضاء ، ولا اطيق الزحام . ومهما كان طعامى فانى أعانى سوء الهضم ، ولا أحس باى نشاط** »

واستعرضت بعين الخيال ـ وانا أنصت لها ـ تلك الجموع التى تتردد على عيادات الاطباء .. رجال ونساء يعانون من أعراض متباينة ، متنوعة ، ويشرحون عللهم بطرق عديدة .. فهم يقولون انهم عصبيون ، أو يشعرون بضيق ، أو أنهم فقدوا رغبتهم فى الحياة .. وقليل منهم من يقرون بانهم مرتبكون .. ومع ذلك ، فان العلة الاصلية تبقى لدى كل منهم مبهمة ، غير واضحة .. ويظلون يشعرون بالتوعك والتعب ، فلا يفتأ الواحد منهم يذكر انه يستيقظ فى الصباح أشد تعبا مما كان عندما أوى الى مخدعه .. فهؤلاء المتعبون ـ نساء ورجالا ـ يشعرون بأن النشاط يفيض منهم .. يتسرب ويتلاشى .. ولكن النشاط لا يتلاشى أبدا .. فاين اذن يذهب ؟

انهم يتنقلون بين الاطباء بحثا عن الشفاء .. ولقد يشفى المريض منهم، ولكنه لا يلبث فى الغالب أن يعود الى الطبيب بنكسة ، أو بمرض جديد ..

فما هذه السقام التى تنتج كل هذه الاعراض المتعددة ، المتباينة .. أو بالاحرى ، التى لا أعراض مادية حقيقية لها ؟.. ولماذا تظل أسبابها سرا يعيى نطاسيى الاطباء والاخصائيين ؟.. ولماذا تأبى أعراضها أن تتداعى امام العقاقير والادوية ؟.. أمن المعقول أن يكون ثمة عدو خفى يسعى للقضاء على البشر ؟.. وأن تكون أجسام الناس قد تحولت الى ساحات للقتال ، وأن نشاطهم يستهلك فى صراع خفى ؟.. وان ثمة قوة متمردة فى كيان الانسان تدفعه الى القضاء على نفسه ، أو تعمل على دماره ؟

المتعبون والمعذبون فى الحياة

◆ لكى ندرك علة المرأة التى تركناها جالسة فى عيادتى ، وعلة الملايين الذين يتعذبون مثلها ، يجمل بنا أن نتحرى حقيقة العدو الذى يحتمل أن يكون فى كيان كل منا :

كان العلماء قبل فرويد يرون أن أقوى الدوافع الانسانية ، دوافع غريزية
.. وان الغرائز ليست بالشىء الذى يفطن اليه المرء أو يخضعه للعقل ،
وان كانت تخضع – الى حد ما – للعقل الواعى .. ومن ثم انهمك العلماء فى
دراسة الغرائز ، فعينوا عددا كبيرا منها واطلقوا عليها أسماء تعرف بها ..
ثم جاء فرويد فى النهاية ، فتبين أن هذا العدد الكبير من الغرائز يمكن أن
يرد الى غريزتين أساسيتين ، هما : غريزة منشئة ، وغريزة هدامة .. الاولى
قوامها الحب .. وهى التى تلهم الانسان ابتكاراته ، وتتجلى فى شغفه بمهنته
وفنه ، وفى تحمسه لما يحقق من انتصارات فكرية وعلمية ، وفى جهاده
الذى لا ينى فى سبيل تحسين نفسه ، وتحسين دنياه .. فهى اذن : غريزة
الرغبة فى الحياة .. أو بالاحرى ارادة الحياة..

أما الغريزة الهدامة ، فهى غريزة الموت .. انها القوة المشاغبة ، الحارقة ،
التى ينطوى عليها كياننا ، والتى تعمل مباشرة ، ومتعمدة ، على القضاء علينا
.. وعلى أن تردنا الى تراب كما بدأنا .. انها أداة الطبيعة لوضع حد للحياة
.. والظاهر أن وضع نهاية للحياة ، ضرورة .. لأنه يبدو فى كل مكان فى
مملكة الاحياء ..

ولو أننا فهمنا العوامل المدمرة فى هذه الغــريزة ، لرأينا أنها غريزة
نشيطة ، لا يكبح من نشاطها سوى قوة الغريزة المنشئة .. فاذا أرهقت هذه
الغريزة الأخيرة فى فرد ، اختل التوازن بين الانشاء والهدم .. وهــو
ما ينتهى اليه تقدم كل المخلوقات الحية ، اذ أنها تنتهى الى الموت !

ولم يصل فرويد الى نظريته الخاصة بهاتين الغريزتين الا بعد أن غاص
فى أعمق أغوار نفس الانسان .. ومن ثم فهو لم ينته اليها الا فى أواخر
عمره ، حين نضجت حكمته وتوفرت له التجربة والخبرة ..

وهاتان الغريزتان – المنشئة والمدمرة ، أو الجذابة والمنفرة ، أو الودود
والمشاكسة ، أو غريزة الحب والكراهية ، أو السلم والحـرب .. كيفما
سميتهما – موجودتان فينا جميعا .. أما نشـاطهما فى كيان كل فرد ،
وانسجامهما أو عدم انسجامهما ، وما يتأتى عن هذا النشاط من صحة أو
اعتلال ، ومن طول عمر أو موت ، فيتوقف على الفرد نفسه .. فان كثيرين من
العلماء يؤمنون اليوم باننا نحدد نهاياتنا بانفسنا ، بل واننا نختار الوسيلة
التى نموت بها !

الصحة والمرض بين الغريزتين

◆ **ولكن** ، كيف تساعدنا هذه النظرية على تفهم الصحة والمرض ؟.. كيف تعلل تعب أولئك الذين يتنقلون بأجسام يضنيها الألم ، وبعقول معذبة ، من طبيب الى آخر .. دون جدوى ؟

لقد أوضح لنا فرويد أن الانسان يسلط غريزتيه المنشئة والهدامة ، لا على العالم المحيط به فحسب ، وانما على نفسه أيضا .. فنحن ندرك كيف تؤثر الحوافز المنشئة فى نفوسنا على العالم المحيط بنا ـ اذ نحن نرى هذه الآثار فى أرفع آيات الفن ، كما نراه فى فطيرة شهية تصنعها ربة بيت لأسرتها ! ـ على أن الغريزة الهدامة لا تظل فى صدام مع الغريزة المنشئة دائما ، وانما هى تتحرك الى جوارها .. **ومن ثم فنحن قد نجتث شجرة حية لنقيم فى مكانها دارا .. بل اننا فى أكلنا نقوم بعملية هدم وعملية بناء ، اذ نحول الطعام من شكله الاصلى الى شكل آخر ، لنضمن بقاءنا أحياء ..**

بل ان الحب الجنسى ـ وهو الرمز للانشاء والخلق لدى جميع البشر فى جميع الاماكن والعصور ـ ينطوى على شىء من الرغبة المدمرة ، كما نرى فى التغلب على تمنع من نحب .. مثلا

ولكن ، كيف نسلط الغريزة الهدامة على أنفسنا ؟.. ولماذا يسعى المرء للقضاء على نفسه ؟

لو اننا اهتممنا بقراءة حوادث الانتحار فى الصحف ، لوجدنا ان مرتكبيها كانوا يعانون من ارتباك اعمالهم ، او من فشل فى الغرام ، او خيبة فى المساعى والآمال .. فالمنتحر عادة ينشد مهربا من موقف لا قبل له بتغييره ، او باحتماله ..

وعلى ضوء الغريزتين الاساسيتين ، نرى أن الغريزة المنشئة كانت خليقة بأن توفر على المنتحر حياته ، بأن تهديه الى طريقة لحل مشكلته العويصة .. ولكنها لسبب ما تخفق فى ذلك ، فاذا هو يستسلم للغريزة الهدامة !

ويمكن أن نقول هذا أيضا بالنسبة للمرض .. الذى قد يكون انتحارا بطيئا !.. بيد أن ثمة فارقا .. ففى حالة الانتحار ، تتعطل الغريزة المنشئة عن العمل تماما .. أما فى حالة المرض، فانها مهما بلغت من الضعف، تظل على قوة كافية لأن تؤخر الحل النهائى الأليم للمشكلة العويصة .. تظل قادرة على أن تدفعنا نحو الحياة : نحو أصدقائنا الذين ننشد لديهم ما يساعدنا على الفهم .. نحو الأطباء اذ نلتمس عونهم !.. الخ

ولو استطعنا أن نقصى عن الغريزة المنشئة ما يشل نشاطها ، وأن نردها الى قوتها العادية ، لاستطعنا أن نوقف الاتجاه البطىء الى الانتحار ، فنرد المريض الى الصحة ..

المعركة الدائرة فى أعماقنا

◆ ولنعد الآن الى المريضة القلقة فى عيادتى .. لا داعى لأن نتعمق فى تعرف البيانات البدنية الخاصة بما تعانى ، فالغالب أن مرضها ليس سوى مظهر لمعركة تدور فى جوفها بين غريزة الحياة وبين غريزة الهدم والميل الى القضاء على النفس ، وهى معركة تجعلها فى موقف لا ترضى عنه ولا تجد له حلا .. ومن ثم فعلينا أن نكشف عما دعاها الى تسليط الغريزة الهدامة على نفسها دون ان تفطن ، فى سعيها للنجاة من الموقف الذى لا تحتمله ..

لم تكن حتى تزوجت - فى الثانية والعشرين من عمرها - قد تعرضت لمرض خطير ، اللهم الا التهاب الزائدة الدودية ، لا ولا عانت أى اضطراب عصبى .. وقد ظلت محتفظة - بعد زواجها - بالعمل الذى كانت تمارسه .. لكنها بدأت تحس - بعد الزواج - بسلسلة من الاضطرابات : فكانت قبل أن تغادر عملها فى كل مساء تعانى نوبة من نوبات البكاء ، بحيث لم تكن تستطيع أن تشرع فى العودة الى دارها الا بعد أن تفرج عن نفسها بالبكاء !.. ولم تنقض ستة شهور على زواجها ، حتى كانت قد أصيبت بكيس ليفى مبيضى استلزم عملية جراحية .. فهل يحتمل وجود علاقة بين الزواج وتكون الكيس؟

لقد كانت تشعر بالهم وتبكى عندما تتأهب للعودة الى دارها فى كل مساء .. وفى ستة شهور تكون الكيس .. ويقول الجراحون ان الطب لم يعرف بعد سببا لتكون وتضخم مثل هذا الكيس ، ولكن اخصائيا ألمانيا فى أمراض النساء لمع اسمه حوالى سنة ١٩٢٥ - هو الدكتور كيهرد - يقول فى هذا الصدد : « ان كل مريضة تصاب بورم ليفى ، يكون وراءها تاريخ حافل بالاضطراب النفسى « الجنسى » .. فان النساء اللاتى يستمتعن بحياة جنسية ترضيهن ، لا يصبن بالتورم الليفى .. والأكثر من هذا ، ان من الممكن حساب مدة الاضطراب النفسى الجنسى بدقة تدعو الى العجب ، بفحص حجم التضخم وبعض الظواهر التى تصحبه ، كالنزيف .. »

هذه شهادة طبيب عرف بأنه متحرر من تعاليم « فرويد » .. وفى حالة مريضتى التى بدأت حديثى بالاشارة الى زيارتها ، لم يستلزم التورم عملية جراحية فحسب ، بل ان الفحص الطبى الشامل دل على أنها تقاسى عناء عاطفيا من جراء زواجها - فلقد كانت قبل هذا الزواج خلوا من الامراض ! - ومن ثم كان لا بد من معرفة الكثير عن حياتها المنزلية وعن زوجها :

كان الزوج - كما قالت - رجلا لطيفا ، قوى الشخصية ، حسن الخلق .. كان محاميا ، نابها ، دقيقا فى مهنته .. وكان يحرص على مواعيد عمله فى دقة .. يغادر البيت فى ساعة معينة كل صباح ، ليعود فى موعد محدد

من المساء .. وكان يسهر خارج البيت أربع مرات فى الاسبوع ، يذهب فيها الى النادى .. كما كان يصحبها فى ليلة من الاسبوع الى دار للسينما قريبة من البيت ..

واضافت انه كان رجلا خجولا ، حييا .. وانها حملت منه مرتين خلال حياتها الزوجية .. وكانت هاتان هما الفترتين الوحيدتين ـ خلال اعوام الزواج الاربعة عشر ـ اللتين احست فيهما انها فى صحة طيبة .. فلماذا ؟ .. أكان للتغير البدنى والطبيعى الذى اعتراها أثر فى ذلك؟.. ثم، أليس هذا التغير نفسه نتيجة لجهد ونشاط انشائيين ؟.. أليس مظهرا للغريزة المنشئة ؟

ان الواقع يؤيد ذلك ، لأن تحسن صحتها لم يكن يدوم الا ريثما تضع وليدها .. سليما ، حسن الصحة ..

وتحدثنا مع زوجها عن علاقاتها الجنسية ، فاذا هى لا تكاد تعرف ـ على وجه الدقة ـ معنى الكفاية الجنسية ، أو الاشباع الجنسى .. ومن المحتمل انها احست بهذا الاشباع من آن الى آخر فى أوائل الحمل فى المرتين ، ولكنها كانت واثقة من أنها لم تستشعره فى السنين التى تلت ذلك !

ولقد اعتاد أحد أساتذتى فى الطب أن يقول ان أوجز تعريف للبرود الجنسى ، أو ضعف الحاسة الجنسية ، هو أن يمنى الفرد بـ « الزميل الذى لا يلائمه » .. والواقع أن البرود الجنسى عند المراة والعجز الجنسى عند الرجل ان هما الا مظهرين لتسلط الغريزة الهدامة على النفس ..

ولقد ذكر فرويد أن الغريزتين الرئيسيتين تعملان معا فى انسجام أثناء العملية الجنسية .. ولكن أى مغالاة فى الاعتداء الجنسى كفيلة ـ كما قال ـ بأن تحول الحبيب الى قاتل جنسى..وأى صدود ـ نتيجة الوعى أو الخوف ـ قد يؤدى الى الخجل أو العجز الجنسى .. فان عامل الاقدام على العملية الجنسية اذا كبت عن اظهار نفسه ، يرتد ضد نفس صاحبه ـ فى مجهود لا شعورى ـ ليغالب الخجل والشعور بالاثم .. ومن ثم فالخجل الجنسى ، والفتور ، والعجز ، ليست سوى مظاهر للغريزة الهدامة ، اذ أنها تسعى الى القضاء على جزء من النفس أو الى انكار وظيفته ..

ومن هنا أدركنا أن مريضتنا كانت تنكر على نفسها الافصاح الجنسى ، بل وكل مظهر آخر لاتجاهات انشائية فى غير الناحية الجنسية..فلقد كانت فى عملها ـ الذى ظلت تمارسه فترة بعد الزواج ـ لا تحس باهتمام كبير ، ولم تبد يوما أى ميل فنى أو فكرى .. كما لم تكن تصحب زوجها الى النادى أو الحفلات لأنها لم تكن تأبه لما يجرى فيها ، بل كانت تضيق بالناس

.. ولقد تبينت أن حياتها الزوجية كانت خاوية ، لا تبعث الرضى فى نفسها .. ولكنها لم تكن تملك الطلاق - وليس الطلاق دائما بالحل الملائم فى هذه الحال .. الخ

وبدأنا بمعالجة/طبية للاعراض التى كانت تشكو منها .. وخلال ترددها المستمر على عيادتى ، ازداد شعورها « السلبى » نحو زواجها وضوحا .. كانت زوجة وأما مؤدية لواجباتها ، ولكن كان ينقصها الحافز المنشط ، الباعث على الحب والخلق والابتكار .. ومع أنها كانت منصاعة لمطالب الزوجية ، الا أنها فى أعماقها - ودون أن تفطن - كانت ثائرة عليها .. **وكان هذا لب مشكلتها !.. كانت ناقمة على الزواج ، ولكنها فى الوقت ذاته كانت تراه رباطا لا يحله غير الموت .. ولم يكن امامها سوى أن تقبل الوضع وتكيف نفسها وفقا له ، وهذا ما لم تفكر فيه صراحة ومباشرة ، الا بعد أن اتضح لها الموقف على ضوء مناقشاتنا .. كما اتضح ان قضاء زوجها معظم وقت فراغه بعيدا عنها ليس سوى نتيجة « لا شعورية » لعجزها عن أن تحبه !..**

خلف قناع الزمن

◆ **ومن المؤلم** عادة أن يستيقظ الانسان من خداع النفس ليواجه الحقيقة .. فاذا ظهر أن الحقيقة سجن لا سبيل للفرار منه ، أصبحت مخيفة .. ويتحول الخوف الى ذعر حين تتسلل المشكلة الاصلية الى الوعى الباطنى حيث تدفن الأمور التى لا نقوى على مواجهتها - كالقرار الذى لا نجرؤ على اتخاذه ، والعقبة التى نعجز عن قهرها - واذ يستقر الذعر فى الوعى الباطنى ، لا نعود نشعر به .. لأن الزمن يسبغ على الامور المؤلمة قناعا ، اثر قناع ، حتى اذا تعرضنا فيما بعد لأزمة ، أو لموقف لا بد من حسمه ، غاب مصدر مشكلتنا عن فهمنا ، وأصبح بعيدا عن متناول العقل الواعى !

وحتى لو عرف المرء سر متاعبه ، فكيف يعرف ان هذا التعب يسقمه ؟.. انه فى ارتباكه يرهق نفسه عبثا فى البحث عن مخرج من المشكلة .. وكلما ازداد ارهاقا لنفسه ، استفحل ضعفه ، وازدادت هواجسه وهمومه .. وكلما أخفق فى محاولاته ، ترك الاخفاق فى نفسه آثارا ملموسة ، واخرى لا يفطن اليها .. وبينما يهن نشاطه البدنى ، تتضخم مشكلته بنسب هائلة .. ثم يسلمه السهد والأرق الى تعب أشد ، و هم أعمق ، ويأس أكثر ظلاما ..

ولقد يلوح أن « الاستسلام » للمشكلة ينهى الصراع - كما استسلمت **مريضتنا للزواج - الا أن هذا الصراع يظل فى الواقع محتدما فى العقل غير الواعى ، ملقيا على الجسم الوانا من الضغط .. فلا يلبث المعذب - أو**

المعذبة - أن ينضم الى أفواج المرضى المترددين على العيادات ، ينشدون العلاج من مختلف ألوان المرض !

والمريض الذى يبتلى بهذه الحال يسير فى الحياة مهموما ، مسلوب الروح ، كالجيش المهزوم !.. وهو يساعد عدوه ((الداخلى)) بما يستسلم له من فقدان لذة الحياة ، ومن تبدد لصحته .. ولكننا لو رفعنا قواه حتى تتعادل مع قوى غريمه ، وثبتنا فى نفسه الثقة والطمانينة ، وأطلعناه على كنه العدو وعلى مكمنه ، لانطلق وراء هذه القوة الهدامة ينازلها ويقضى عليها !

وهذا هو دورنا .. ففى اليوم الذى اكتشفت فيه المريضة أن زواجها هو سر تعبها ، بدأت فى التحسن .. وكان لابد من وقت لتفحص بواعثها النفسية ومشاعرها ، وتقدر مسلكها ، ولتدرك أن ليس أمامها سوى أحد أمرين : اما تكييف نفسها طبقا لزواجها ، واما الانتحار البطىء .. بالمرض !

ولم تكن تملك الطلاق .. ولا كانت راغبة فى أن تغير الحياة التى ألفتها اربع عشرة سنة .. ومن ثم مضت فى هذه الحياة مسلحة بالادراك ، وبالثقة التى بثت فى نفسها ، وبأحدث العلاجات الطبية .. فلم تنقض ثلاثة شهور حتى أحست بأنها أقوى وأصح مما كانت .. وأخذت قواها المنشئة تنشط تدريجا .. حتى استطاعت أن تتغلب على كل شىء !

٢ - المريض وظروفه النفسية

◆ **استدعيت** فى سنة ١٩٤٠ لزيارة مريضة تستأجر جناحا صغيرا فى فندق فخم ، وقيل لى انها كانت تعانى من سل مستفحل فى الرئتين ، وكانت تحت رعاية أخصائى مشهور ، ولكنها اشتكت من عرض جديد تمثل فى ألم متواتر فى البطن دعا أصدقاءها الى استشارتى بوصفى طبيبا باطنيا ..

ووجدت المريضة فى فراشها ، شابة فى العقد الثالث من عمرها ، شديدة الهزال ، تقلص وجهها لفرط الألم ، وشحبت شفتاها ، واصفر لون بشرتها .. وقد أجابت عن أسئلتى فى روية وتفكير ، ولكن فى غير تحفظ ، فكشف حديثها عن ذكاء وتثقف ، وادركت انها طلقت - فى ذلك العام - للمرة الثانية فى حياتها .. وكان زواجها الاول نتيجة علاقة فى باكورة شبابها ، ولم يدم أكثر من بضعة شهور ، ولكنه أثمر طفلة ..

اما من الناحية الصحية فلم تكن قد عرفت فى حياتها سوى الأمراض المألوفة التى تصيب الاطفال .. كما كان ابواها واختها الوحيدة فى صحة جيدة ، ولم يصب بالسل أحد من أهلها .. اما مرضها الأخير فقد بدأ منذ أقل من سنة ، اثناء اقامتها فى كاليفورنيا ، وكانت الاعراض الاولى له

سعالا وشعورا بالتعب ، مما أوحى للطبيب بأنه نزلة شعبية نشأت عن تسمم بالنيكوتين .. فلما ظلت تشكو من التعب غير العادى ، عزاه الطبيب الى التهاب فى الجهاز التناسلى ، واشار الى ان لا مفر من عملية جراحية ..

وجزع اصدقاؤها لسرعة هزالها ، ففحصت باشعة « اكس » ، فاذا « الأفلام » تكشف عن سل متقدم فى أعلى الرئة اليمنى ، أدى الى اتلاف الانسجة الرئوية تماما .. فاستدعى اخصائى أمر بنقلها فورا الى المستشفى كى تعالج بالحقن بالهواء لمكافحة الداء واراحة الرئتين ..

آلام شديدة سببها الخوف !

◆ **وتحسنت** فى البداية .. ولكن العلاج لم يلبث أن غدا – بعد بضعة شهور – مؤلما ، ونقد مفعوله .. ودل الفحص بأشعة « اكس » مرة اخرى ، على ان الداء استطرد فى الاستفحال ، فأشير عليها بعملية جراحية تنتزع فيها بضعة ضلوع من صدرها .. وكان عليها أن تقضى فترة نقاهة طويلة .. ولما كانت قد طلقت من زوجها الثانى ، وكان اصدقاؤها يعيشون فى نيويورك ، فقد سمح لها بالانتقال اليها بالطائرة .. وهناك ، عرضت على اخصائى آخر أيد رأى الاخصائى السابق ، وأصر على الاسراع باجراء العملية ، وحدد موعدا لها .. **وفى ليلة اتخاذ هذا القرار ، فوجئت المريضة بآلام شديدة فى البطن لم تخلصها منها سوى حقنة مسكنة .. ولكن الألم توالى فيما بعد ، واستدعيت لفحصها ..**

ولم يبين الفحص اسبابا عضوية لألم البطن ، فحدست انه ظاهرة عصبية مبعثها القلق من جراء العملية ، ولم يخطر لى اذ ذاك أن هناك أيضا علاقة مستترة بين المشاعر المتضاربة والمرض العضوى الاصلى : السل !

وتحايلت على افهام المريضة **ان الخوف هو العامل الاول فى الألم الذى تعانيه ، فتقبلت الشرح فى استعداد مدهش ، ثم انفجرت تعلن سخطها على الطبيب الذى كان يرعاها ، وترجونى أن اتولى العناية بحالتها ، فوعدتها بان اتصل بطبيبها ..** فلما فعلت ، أرانى «أفلام» اشعة « اكس » المبينة لتطورات الداء فى رئتيها ، واكد أن المريضة لن يقدر لها أن تعيش ستة شهور أخرى ، ما لم تجر لها العملية الجراحية .. ولم يكن مغاليا فى تشاؤمه ، من وجهة النظر الطبية .. ومن ثم نصحت للمريضة باجراء العملية ، فتقبلت نصيحتى فى انصياع ، ولكنها الحفت فى تأجيلها ، قائلة انها كانت تشعر بتحسن كبير ، حتى انها بدأت تتمكن من التنفس بارتياح ، ولا يعوزها سوى بعض الوقت لتعد نفسها لتقبل العملية ..

وجاءنى زوجها السابق فى اليوم التالى يخبرنى بأنه قد اتفق وديا مع الطبيب المعالج على أن يتخلى لى عن رعاية المريضة ، وألحف فى الرجاء كى اقبل ذلك ، نظرا للتحسن الطارىء الذى أصابها مد بدأت أعودها ، والذى أذهل الاصدقاء ومعظمهم من الرفيعى الثقافة ..

واتفقنا على ان اعنى بالمريضة ، مستعينا باخصائى فى الامراض الصدرية .. وقد قمنا بفحصها معا ، والتقاط صور لصدرها بأشعة « اكس » ، فاذا المرض قد بدأ يتوقف عن الاستفحال فعلا .. واذا حملة الهدم والاعدام قد توقفت .. وأمكن ارجاء العملية الجراحية الى اجل غير مسمى ..

ومع بداية الربيع ، برزت لنا مشكلة جديدة ، فان الشابة ابدت عدم ارتياح الى فكرة قضاء الصيف فى نيويورك ، حيث ترافق الحر رطوبة ممضة .. ولم تكن فى الوقت ذاته راغبة فى الابتعاد عن رعايتى ..

وكنت لحسن الحظ أعمل فى تلك الاثناء على انشاء مستشفى ريفى صغير يقوم العلاج فيه على الصلة بين الطبيب والمريض ، وعلى دراسة ظروف هذا ونفسيته .. ووجدت ضيعة مناسبة لغرضى . ولما كانت حالة السل لدى مريضتى لم تعد معدية ، فقد نقلتها الى مستشفاى الجديد ، واستأجر زوجها السابق وزوجته الجديدة وأحد الاصدقاء كوخا مجاورا للمستشفى ، لكى لا تشعر المريضة بالوحشة ..

الحب .. دواء !

◆ ومرت ستة أسابيع مضنية..

فقد كان ترويض المريضة المتمردة على نظم المستشفى صعبا .. الى أن كان ذات يوم ، اذ كنت عائدا بسيارتى من نيويورك ، فاذا بى أراها تنطلق مرحة على حافة الطريق الريفى ، وقد اشرق وجهها بهاء وتجلى عليها تغير عجيب، اذ امتلات وجنتاها الفائرتان، ولوحت وجهها سمرة خفيفة قضت على معالم المرارة فيه ..

كانت سعيدة ، اذ وقعت فى هوى فنان مشهور جاء الى المصحة ليقضى فترة للنقاهة.. وبدا أنه ملأ الفراغ الذى كانت تعانيه فى حياتها ..

وما كنت لأجد حليفا ضد المرض ، أقوى من الحب !

وما كنت لأجد حليفا فى المعركة الحامية ضد المرض ، اقوى من الحب .. وما ان انقضت ثلاثة شهور ، حتى لاح ان المريضين قد عوفيا ، واستردا الامل والثقة فى المستقبل !

وقضت مريضتنا شهورا اخرى فى نيويورك ، لم تلبث بعدها ان ضاقت بحياة الراحة .. واشتاقت الى الفنان الذى رحل الى كاليفورنيا بعد شفائها .. ولكى تتغلب على الضيق ، أو على الشعور بأن حب صديقها قد فتر ، حصلت على عمل لبعض الوقت ، وبدأت تختلط بالناس ، وتذهب الى الاماكن العامة ، وتسهر خارج البيت .. وأخذت زياراتها لعيادتى تقل ..

وكان الفحص الطبى والتحليل وصور أشعة «اكس» تبين شفاء مطردا فى رئتيها .. الى ان كانت ليلة تساقط فيها الجليد ، وكانت مريضتنا فى صالة للموسيقى ، ولم تجد سيارة تقلها الى البيت فى نهاية السهرة ، فعادت اليه مشيا .. واذا بنوبة من البرد تلزمها فراشها فى الصباح التالى .. فخشيت عليها من نكسة السل ، بيد ان الفحص طمأننى من هذه الناحية ..

لكن الشفاء كان بطيئا .. فنصحتها بأن تقضى فترة فى مصحة للنقاهة فى « كلورادو » .. غير انها ما لبثت ان كتبت لى تشكو من الحياة فى المصحة .. واخذت تعاودها اعراض السل .. ثم اخذت فى الهزال ..

وأخيرا ، حظيت بزيارة من الرجل الذى احبت .. ولكنه كان قد تأخر عن الوقت المناسب .. اذ كانت تحتضر ؟

سر الشفاء .. وسر الانهيار

◆ لنفحص حالة هذه الشابة لنرى أولا سر المعجزة التى هزمت بها المرض فى المرة الاولى ، ثم لنرى سر انهيارها فى المرة الثانية بعد ان استردت صحتها واوشكت ان تعيش كغيرها من الناس .. لنتغلغل فى هذا اللغز المزدوج : المعجزة ، والاستشهاد !

والواقع انه من النقص فى العلاج الطبى أن لا يسجل فى سجل خاص تطورات مرض اى مريض ، والأحداث التى تبعث فى النفس قوة مباغتة ، كمولد الحب او موته ، وهما ظاهرتان من ظواهر الفريزة المنشئة والفريزة الهدامة .. ان الطب ينكر هذه الأمور باعتبارها غير علمية ، ولكن التجربة تثبت انها عوامل تغير مجرى الحياة ! .. فاننى اذ استعرض حديث تلك المريضة حين عدتها للمرة الاولى ، اذكر كيف أنها حددت اليوم الذى أصيبت فيه بالداء .. حددته بالتعيين ! .. ولم يكن يوم الطلاق ، وانما كان اليوم الذى استبانت فيه المعنى الكامل للطلاق : يوم تزوج زوجها السابق من امراة أخرى ! .. فهل تراها كرهت الحياة فارادت الموت ؟ .. او انها ارادت

ان تمرض لتزعج زوجها ، وتشعره بالاسى والاسف على هجره اياها .. كما يفعل الطفل ؟ .. لقد كانت كثيرة الاحتجاج والمعارضة ، وكانما كانت تحاول ان تقنع نفسها بأن حياتها الجديدة تفضل القديمة ، مع انه لم يكن امامها سوى الوحدة ، والفراغ ..

ولم افطن اذ ذاك الى ان المرض ربما كان ستارا للفشل ، او مخرجا من موقف لا يحتمل ، او اتجاها الى الانتحار .. فما كان للعوامل العاطفية فى نظرى اثر عملى ذو علاقة بالمرض .. بل ما كنت أصدق أن مرضا كالسل ينجم عن الصراع العاطفى ، اذ كنت ـ كمعظم الاطباء ـ أرى فى السل داء معديا ، ينشأ عن ميكروب معين اكتشفه « كوخ » فى سنة ١٨٨٢ .. لذلك دهشت لتحامل المريضة على الطبيب الاخصائى الذى كان يعالجها ، وما كنت اظن ان الكلمات المطمئنة ، المشجعة ـ كتلك التى قلتها لها فى زيارتى الاولى ـ قد تفعل فعل العقاقير والأدوية !

أثر العوامل العاطفية فى مقاومة المرض !

◆ **ولكن** .. كيف يفسر العلم هذه الظاهرة : ان فردا قد يغالب وينتصر على هذا الداء ـ الذى يفتك بحوالى ١٢ فى المائة من سكان العالم ـ فى حين ان فردا آخر يصاب بالعدوى فيعجز عن المقاومة ويموت ؟

لقد ذكرت فى تعليل هذا عوامل عديدة ، تتقدمها جميعا « البيئة » والوسط .. ولكن البيئة التى عاشت فيها مريضتى كانت بعيدة عن الظلام والرطوبة وسوء التهوية ..

على أننى حين انتبهت الى العوامل العاطفية فى المرض ، شعرت بغشاوة تنزاح عن بصرى .. وعدت اقرأ الابحاث الطبية فالفيت فيها كثيـــرا من التناقض : فعلى الرغم مما تلقاه نظرية « ضعف المقاومة » من اقرار عام ، الا أن الاحصاءات الحديثة تجمع على أن السل أكثر استفحالا بين أولئك الذين فى سنى المراهقة ، وان ضحاياه بين سن العشرين والاربعين هم أكثر تعرضا للموت به من سواهم ..

ولكن هذه المراحل من العمر هى خير السنوات فى حياة الانسان .. فاذا كان المقصود بضعف المقاومة ، الضعف البدنى وحده ، فكيف نفسر اشتداد خطر الداء فى هذه السنوات التى يكون الجسم فيها فى أوج قوته ؟

اننا نصف سنى المراهقة بأنها أصعب سنى العمر ، اذ نعرف انها سنو الاضطراب والقلق العاطفى.. ولكن ، لنتأمل السنوات التى تليها.. أليست سنوات جهاد لا ينى ليثبت المرء أقدامه فى عالم الكبار الناضجين ، وليعزز سلامته الاقتصادية والعاطفية ؟.. أو لا تضعضع الهزيمة فى هذه المرحلة

الصورة التى يحتفظ بها المرء فى اعماقه لنفسه ؟ .. ثم ، الا توهن الهزيمة من مقاومة الجسم ؟

لقد خرجت من دراساتى العلمية للسل ، بأن العلم لم يصل الى تعليل مطلق لاسباب الاستعداد لتقبل الاصابة بالسل ، وكل ما لدينا فى هذا الصدد مجرد افتراضات ..

ولنعد مرة اخرى الى مريضتنا الشابة التى ماتت : لقد كانت معنية فى البداية بالسؤال عن تفصيلات ودقائق العملية الجراحية التى كان الاخصائى يتعجل اجراءها .. وقد ظننت الأمر وليد الفضول ، الى ان ألقت حالة اخرى ضوءاً جديدا عليه .. **فقد جاءتنى يوما فتاة من عارضات الازياء ، تشكو من مرض خبيث فى الثدى ، فنصحتها باللجوء الى جراح ، ولكنها لجأت الى جراح اخصائى فى التجميل بالبلاستيك .. وما ان اجريت لها العملية حتى خارت قواها ، مما استلزم امدادها بكمية من الدم .. بيد انها عادت الى الانهيار ثانية .. كانت قد اختارت جراح التجميل على امل ان يبقى على ثديها او معظمه ، فاذا به يزيله كله .. ومعنى هذا – بالنسبة اليها – القضاء على مستقبلها فى عملها ، الذى يعتمد على فتنة انوثتها ! .. وقد ماتت خلال عام . وعلى ضوء ما قدمنا نستطيع أن ندرك انها احست بانها لم تعد امراة تشتهى لجمالها ، فلم تعد ترغب فى الحياة !**

وكذلك كانت حال مريضتنا المصابة بالسل . كان التحسن الذى طرأ عليها نتيجة مجهود جبار بذلته لتفادى العملية التى خشيت أن تنال من أنوثتها .. ثم جاء الحب الذى غزا قلبها أثناء وجودها فى المصحة الريفية ، فأعاد اليها الثقة بأنها امرأة مرغوبة ، وبأنها اذ وجدت من يحبها ، قد أحرزت نصرا على الزوج الذى نبذها .. فعاد الامل يؤخر الاجل .. وفى هذا الصدد يقول الخبير العالمى ، السير وليم أوسلر : « ان ما يجرى لمريض السل يتوقف على ما فى رأسه أكثر مما يتوقف على ما فى صدره ! »

وعندما أحست بفتور حبيبها ، انتكست .. ولعلها كانت تحلم بالانتقام ،

ولكنهـــا على العكس ، انزلقت الى الاستشهاد .. كانت قلقة النفس ، غير واثقة من جدارتها بالحب ، فلم تكافح من أجله ، وانما .. فرطت فيه .. وفى الحياة ! •

٣ ـ الخوف من الموت

◆ .. والحياة مليئة بالأمور التى تتأرجح بين الشك واليقين ، ولكن ثمة امرا واحدا لا مجال للشك فيه ، الا وهو الموت ! .. الحيوانات وحدها هى التى لا ترى أن الموت مصير لابد منه ، ومن ثم فهى لا تخشاه .. وخوف الانسان من الموت هو الثمن الذى يدفعه نظير ما أوتى من ذكاء يجعله يستحق ان يصف نفسه بأنه ارقى المخلوقات ..

وكثير منا يتعرفون على الموت فى سن مبكرة ، حين يرون حيوانا ميتا مثلا .. ومثل هذه المعرفة تتغلغل فى اعماق الطفل ، فهى ومضات تجلو السر الرهيب الذى تكتنفه ظلمات الغموض .. فما الذى نخافه حين نخشى الموت ؟

هل نخشى ألم الاحتضار ؟ .. ان الاطباء يدركون ان معظم الناس يعانون من الآلام البدنية والذهنية فى الحياة ما يفوق هذا الألم .. ويقول السير وليم أوسلر : « معظم الآدميين لا يبدون بطولة عند الموت فحسب ، بل ان خبرتى الطبية الطويلة اطلعتنى على ان معظمهم يموتون بلا الم او خوف .. »

ولعل ما نخشاه حقا هو ان تنتهى الحياة قبل ان نتاهب لهذه النهاية ، أو نفزع مما بدأنا من الاعمال فى مجرى الحياة .. فاذا صح هذا ، فالرد عنه بسيط ، وهو اننا لا نموت الا حين نكون متاهبين فعلا للموت .. فنحن لا نموت الا حين نرغب فى الموت ، ولو دون شعور منا ، اى دون ان نفطن الى هذه الرغبة .. ولو اننا رغبنا فى الحياة حقا ، وتوفر لدينا الحافز على البقاء فيها ـ أى توفر لدينا ما نعيش من أجله ـ فاننا لا نموت مهما مرضنا واشرفنا على الموت .. بل نعيش لاننا نريد ان نعيش !

ولكن هذا الحافز يجب ان يكون موضع يقين منا .. اى ان نؤمن من اعماقنا به ! .. وقد روت سيدة عجوز ، استطاعت أن تؤدى خدمات جليلة فى ميدان التربية ، انها فى أواسط عمرها فوجئت بمرض خطـير .. وكانت ترقد بين الحياة والموت ، حين سمعت اثنين من اعوانها فى تلك الخدمات الجليلة يتكلمان خارج غرفتها .. وكان احدهما يقول فى حرارة : « ليتنا نستطيع ان نجعلها تدرك مدى حاجتنا اليها ! »

وبعثت هذه الرسالة فى نفسها الرغبة فى الحياة .. فحدثت المعجزة فى ساعة تأرجح كفتى الحياة والموت .. كانت حرارة الكلمات كافية لأن تدفعها الى ان تستجمع قواها وشجاعتها لتكافح من جديد !

المعجزة التى أنقذت مريضى !

◆ وكم من « معجزات » يعرفها الاطباء عن مرضى كانوا فى يأس من شفائهم ، وكانت احتمالاتهم البدنية تضاعف من هذا اليأس ، ثم اذا بهم يتغلبون على المرض والموت !

أذكر اننى - فى بداية حياتى العملية - دعيت لأعود رجلا أشرف على الموت ، وكان الطبيب المعالج له استاذا لى ، ولكنه تغيب عن المدينة فى تلك الليلة .. وكان المريض فى حوالى الستين من عمره ، صيدليا ذا مكانة لدى ارقى اطباء المدينة .. وهتف بى أخوه فى ضراعة : « **يجب ان تستبقيه حيا حتى الصباح يادكتور .. حتى نجرى عقد زواجه ، فما ينبغى ان يموت تاركا ابنا غير شرعى !** »

وعرفت ان الصيدلى المحترم كان يعاشر « خادمته » منذ اكثر من عشرين سنة ، دون زواج .. ومن الصحيح انه عنى بابنه منها حتى الحقه بالجامعة واعده ليتولى صيدليته بعد ، لكن هذا لن يستطيع أن يرث الصيدلية ما لم يعترف ابوه بابوته له !

وقضيت الليل أكافح ضد التهاب عضلات القلب ، حتى اذا وصل القس فى الصباح ، كان المحتضر قد استرد من الوعى ما يمكنه من الاشتراك فى عقد الزواج ، واذ ذاك حدثت « المعجزة » : فقد تغلب الصيدلى العجوز على الموت ، وعاش عامين بعد ذلك ، حتى شهد ابنه يتخرج فى الجامعة ، ويعمل فى الصيدلية ، ويتعرف على عملاء ابيه ، لا سيما كبار الاطباء منهم ..

واعتقد اننى الآن ، بعد السنين الطويلة التى قضيتها فى مصارعة الموت وهو يهاجم مرضاى ، أستطيع أن أدرك سر «المعجزة» : كان الصيدلى المسن راغبا فى الموت ، فما كان يدرى مخرجا من المشكلة الاجتماعية التى تعرض لها .. كان يود ان يحل ابنه محله ، وكان يخشى الفضيحة - فى نظر عملائه من كبار الاطباء - اذا عرفوا ما كان بينه وبين الخادم .. ولكن اخاه اذ تحمس لزواجه فى اللحظات الاخيرة - ليضفى على ابنه الصفة الشرعية - دفعه الى المخرج الذى كان يخشى اجتيازه - المخرج من المشكلة .. فاذا به يرغب أن يعيش ريثما يتخرج ابنه ويقدمه لعملائه الكبار ..

وليس من شك فى ان الطب ساعد يومئذ على استبقاء الحياة فى الجسد المتداعى ، ولكن الطب ما كان ليستطيع الفوز وحده ، بدون الرغبة فى الحياة .. بدون ارادة البقاء على قيد الحياة !

حياة الانسان تتوقف على بلوغه هدفه !

◆ **لكل** منا هدف خاص ، سواء فطن اليه أو لم يفطن .. وقد يتغير هذا الهدف ، أو يضطرب ويحاط بغموض ، اذ قد تطرأ أغراض أخرى تتعارض معه .. وعند هذا نصبح فى خطر سنسهب فى ايضاحه فى الفصول القادمة ..

وفى أعمق أغوار نفس الفرد ، تكمن الرغبة فى الحياة .. ذلك المبدأ ذو الاثر الفعال الذى يولد مع الانسان والحيوان ويهدف الى حفظ النوع ، فيدفع المخلوق الى الاستماتة فى الكفاح اذا ما تهدد حياته أى خطر ..

ومع ذلك ، يبدو أن هذه الرغبة الفطرية لا تكفى لتعضيد المرء خلال الحياة الحديثة بما فيها من تعقيدات ، ومن ثم فنحن فى حاجة الى قوى خلقية وعاطفيـــة ، لكى نمضى فى الصراع .. **فالرغبة فى الحياة لدى الانسان المتحضر ، حافز مركب : « بيولوجى » ، (اى مستمد من نفس تركيب الانسان وخلقه) ، ثم حافز نفسي .. وطالمـا كان لدى المرء ما يعيش من أجله ، فان الرغبة فى الحياة تدفعه الى مغـالبة الازمات واللحظات الحرجة .. ولقد كان الشاعر الالمانى « جيتـه » يعتقد أن لكل انسان فذ رسالة ، اذا ما حققها لم تعد العناية الالهية ترى له بقاء على الارض .. ولقد كانت حياة « جيته » نفسه مثالا لذلك ، فقد شرع فى كتابة « فاوست » وهو فى الرابعة والعشرين ، ولم ينته من آخر سطر فيها الا بعد ثمان وخمسين سنة .. ولم ينقض عام على انتهائه منها حتى توفى ، قبل أن يراها مطبوعة ..**

ولو اننا تبسطنا فى شرح ما قال « جيته » ، لأمكن أن نقول ان لكل انسان ـ فذا كان أو غير فذ ـ هدفا خاصا فى الحياة .. وان فى كل نفس بشرية ميلا الى الهدم لا تدركه أو تفطن اليه ، هو الغريزة الهدامة التى شرحها « فرويد » ، وهى فى

تأرجح مستمر مع الرغبة فى الحياة ٠٠ فكل انسان يسعى منذ مولده ، وخلال سنى الكفاح لبلوغ مرحلة النضوج ، نحو غاية أو هدف ، واضحا كان هذا الهدف أو مبهما ، ملموسا أو غيرملموس٠ فاذا بلغه، أو آمن بأنه لن يبلغه ، حان أوان موته!

لكن لكل قاعدة شواذا : فمن الناس من يبلغ الهدف ، ويمضى قدما ٠٠ ومنهم من يقضى كهولته خاملا وقد خرج من المعركة وأصبح يقضى ما بقى له من عمر كأنه ميت ٠٠ وانا لنرى المزارع يعيش طويلا ، وفى صحة جيدة ، لانه يجدد غايته باستمرار ، مع تعدد المحصولات والمواسم ٠٠ ونرى كذلك أن الذين يطمعون فى أهداف غير واقعية ، أولا سبيل لتحقيقها ، يموتون مبكرين ٠٠

والواقع اننا نحن الذين نحدد أهدافنا لانفسنا ، ونقيسها بمدى ما أوتينا من قوة واستعداد٠٠ وكم مجدت الدنيا أناسا لم يشبع طموحهم قط بما حققوا من أعمال ، فهم فى صراع مستمر ، لأهداف مطردة السمو ٠٠ كلما حققوا واحدا طمعوا فيما هو أسمى منه ٠٠

والاغلبية العظمى من الناس ، تقع بين الانسان الذى لا يشبع طموحه أو يقنع ، والانسان الذى أوتى مطمعا متواضعا ، أو نشأ مجردا من الطموح ٠٠ وفى جميع الحالات والاوضاع ، يكون المرء وحده هو الحكم الذى يقدر عمل نفسه ٠٠ وفى أغلب الاحيان ، لا يكون العقل الواعى هو مصدر الحكم ، اذ أن أحكامنا تظل باطنية، مستترة ، غير محسوسة، ما لم نصل الى درجة من النضوج الذهنى تمكننا من أن نفطن اليها ٠٠

وسواء كان الهدف محسوسا أو لاشعوريا ، فان كل انسان مسوق الى الكفاح فى الحياة ، وله طريقته الخاصة فى الاستجابة لذلك الكفاح ٠٠ فمن الناس من يحس بما فى الدنيا من شقاء وعدم مساواة ، فاذا احساسه يتجلى فى

أعماله ، واذا به يثور على الاوضاع محاولا تبديلها ٠٠ فاذا ما ترجمت مشاعره ونشاطه الى جهود وتعاليم ، غدا زعيما من زعماء العالم ومصلحيه ٠٠

والذى يحدد طريق الانسان فى الحياة هو مدى قبوله أوضاعها ، أو رفضه اياها ٠٠ فاذا تمرد على هذه الاوضاع وكان فى الوقت ذاته يائسا من قدرته على اصلاحها ، انتهى الى الخيبة والقنوط ٠٠ أما الذى يقبلها على حالها ، فانه يجاهد ليهيىء نفسه للاوضاع التى لا سبيل له الى تجنبها ٠٠ وكلما سهل عليه تكييف نفسه مع الحياة ، كان انسانا « عاديا »٠٠ وكل معركة فى سبيل التكيف والتهيؤ تقربه من هدفه أو تقصيه عنه٠٠ **وهو فى خلال الصراع لا ينجو من لحظات يداخله فيها اليأس من بلوغ هدفه ٠٠ أو يحس بالتعب والسأم من صراع يخيل اليه انه لن يفوز فيه بنتيجة مرضية ، فيود لو ينسحب من الحلبة ٠٠ فاذا تغلبت الرغبة فى الانسحاب ، على نشوة الصراع ، أقبل الموت !**

وهذا يفسر ما قلناه من أن الانسان يموت عندما يريد الموت - سواء بعقله الواعى أو الباطن - ومن ثم فالموت ليس مباغتة داهمة !

وجهة نظر الطب فى الموت

◆ **وعلى** هذا الضوء ، ظهرت آراء فى الطب تؤكد أن الموت الطبيعى لا يكون الا فى حالة الشيخوخة الطاعنة فحسب ٠٠ أما الموت بالامراض فغير طبيعى ٠٠ وقد كتب الدكتور روسل - أستاذ « الباثولوجى » فى جامعة برلين - فى سنة ١٩٤٩ ، يقول ان الشيخوخة تبلى أنسجة الجسم ومن ثم يكون الموت طبيعيا ، نتيجة تقادم هذه الانسجة ٠٠ وهذا بدوره يوحى بوسائل جديدة لاطالة العمر وصون الصحة من الشيخوخة ، لان تقادم الانسجة يجعل مقاومة الانسان فى كهولته ضعيفة ،

فيغدو معرضا للامراض وعدوى الاوبئة ٠٠ وان كانت هذه الامراض والاوبئة ليست السبب الاصلى للموت ، مهما نص على ذلك فى شهادة الوفاة !

على ان اطالة العمر تستوجب أن ننظر للانسان نظرة شاملة، فنتعرف مدى اهتمامه بالحياة وولعه بالبقاء ، ومقدرته على أن يهيىء نفسه لظروف هذه الحياة ٠٠ ولا ينبغى أن نقتصر على مراعاة الناحية الجسدية والطبيعية فقط ٠٠

ونستطيع أن نمضى قدما ، فنقول ان المرء الذى تبلى أنسجة جسمه بنسبة مطردة، هو ذاك الذى يعجز عن المضى فى التكيف وفقا للحياة ، فينشط هذا العجز غريزته الهدامة ٠٠ وهذا يرجع بنا الى الغريزة الهدامة ، والى كيفية اتجاهنا الى الموت :

كيف اذن تنتقل « السلطة » من الغريزة المنشئة الى الغريزة الهدامة ؟٠٠ وما الأسباب التى تتحول بالانسان الى حالات المرض الفجائية والى الموت ؟

دعيت فى ليلة من ليالى الصيف القائظة الى عيادة رجل ذاع اسمه فى العالم كمخرج ومدير مسرحى لم يكن له من ند فى عبقريته أعواما طويلة ٠٠

وذكر لى ابنه - قبل أن أدخل مخدعه - انه كان يقضى اليوم السابق فى جزيرة قريبة من نيويورك ٠٠ وفيما كان منهمكا فى حديث تليفونى ، هجم كلب ضخم على كلبه الصغير المدلل ، واذا بهذا يلوذ بسيده ، وينشب أسنانه فى ذراعه لائذا به ، ويظل معلقا فى الذراع بينما كان الكلب الكبير ينهش عجزه ٠٠ وحاول الرجل جاهدا أن يخلص كلبه ، فأرهقت المحاولة قواه ، وملأت نفسه جزعا ، حتى اذا انتهى الحادث ، شعر بأن الكلام أصبح عسيرا عليه !

وعاد الى نيويورك فى اليوم ذاته وقد ازداد عجزا عن الكلام، وتثاقلت حركة ذراعه اليمنى حتى أصبحت كالمشلولة ٠٠ وعاده طبيب قبلى ، ولكن المريض ثار عليه وطرده ٠٠

ووجدته جالسا فى مخدعه يقرأ احدى الصحف ، فتطلع الى فى امعان ونوع من الكبرياء ‥ وتبينت من شكل فمه أن عصب الوجه قد أصيب بشلل ‥ وكان وهو يجيبنى يضغط على أواخر الكلام ليخفى العجز الجزئى عن النطق الواضح ‥ وكان ضغط الدم عاليا ‥ ولكن قلبه كان فى حجم عادى ، وحالة عادية ‥

وصارحته بأن الانفعال الذى غشيه أثناء الحادث ، قد أدى الى تقلص بعض شرايين معينة فى المخ ، ومن الممكن أن يشفى بالراحة والعلاج ‥ وبدا عليه انه اقتنع بكلامى ، وداخله شىء من الطمأنينة ‥

وبعد أيام ، بدأت تظهر على المريض أمارات التحسن ‥ ولكن الوقت كان ضيقا ، اذ كان الرجل على أعتاب موسم فنى ضخم فى « برودواى » ، وكان لا بد أن يشرف بنفسه على الاعداد لهذا الموسم ‥ لذلك استعنت بأخصائى فى الاعصاب ‥ كما استعنت بأخصائى آخر لتدريب المريض على الكلام ، ولكن الظاهر ان هذه الدروس ضايقته ، فأوقفتها ، واذا به يرتاح ‥ وكان يشغف بالانصات الى الموسيقى ‥ وتعود أن يكتب بعض التعليمات على قصاصات من الورق ‥ ومع انه حرم من التدخين والقهوة ، الا انه كان مسرورا بما كان يحرز من تقدم ‥

نكسة ‥ وسببها !

◆ **وفى** صباح أحد أيام العطلات الدينية، أصر على الصيام، وارتدى ثيابه متأهبا للخروج ‥ واستدعتنى الممرضة ، فحاولت أن أحقنه بالجلوكوز المغذى ، ولكنه ــ للمرة الاولى فى علاقتنا ــ أصر على الرفض ‥ وصمم على الذهاب الى الكنيسة ‥ وفى مساء ذلك اليوم، اعتراه تغير عجيب لا سبيل الى تفسيره ، فأحس بأنه قد شفى ‥ ولم يكد يأتى الصباح

التالى ، حتى نهض بنفسه ليحلق ذقنه ، واذا به يكتشف أن الشلل قد شمل النصف الايمن من وجهه ! وكأنما أراد أن يزداد تأكدا من عجزه ، فجلس يرد بنفسه على الرسائل العديدة التى وفدت من المعجبين به ، ولكنه تبين أن ليس بوسعه أن يكتب .. **وأدى الانفعال الى نكسة فى علاج النطق ، وأخذ يفقد القدرة على تحريك ذراعه اليمنى وساقه .. وبعد ليال ، شعر بألم فى صدره ، فدعوت اخصائيا فى القلب ، أكد أن القلب والدورة الدموية وضغط الدم فى خير حال ، وأشار الى أن المريض كان يعانى من نوبات تقلص الشرايين ..**

وانتهى الامر الى استدعاء خبير فى الاعصاب من «بوسطن»، فلما هم بأن يفحصه ، نصحته بأن لا يختبر قدرته على الكتابة .. ولكنه لم يحفل بنصحى اذ رغب فى أن يتأكد مما اذا كان ثمة ضرر قد أصاب مركز العصب الخاص بالكتابة فى المخ ، وفى المنطقة القريبة من مركز الحركة للذراع اليمنى .. وتردد المريض وكأنه يكره التجربة ، ثم أخذ يكتب فى جهد ، وهو يلقى عناء فى الامساك بالقلم .. وامتقع وجهه وهو يتأمل الحروف الشوهاء ، ثم حاول من جديد ، فلما أخفق ، راح يزمجر وهو يلقى بالقلم فى عنف ..

حالته النفسية .. هى السبب

◆ **وأخذت** حاله فى الانحدار .. وكثيرا ما فاجأته المرضة فى الايام التالية وهو يحاول الكتابة مطمئنا الى أن أحدا لا يراقبه .. واستفحل العى بلسانه ، وان ظلت أعضاء جسمه الاخرى تؤدى وظائفها .. **وأخفقت كل الجهود الطبية فى ايقاف التطور السىء للمرض .. وامتد الاثر الى بقية مراكز الحس فى المخ ، حتى أصبح من المتعذر عليه أن يبتلع شيئا .. ثم راح فى غيبوبة لم يستيقظ منها ..**

ومات بعد خمسة أسابيع من بدء المرض !

.. ولكى يدرك القارىء مدى احتدام الصراع فى نفس هذا الرجل بين الرغبة فى الحياة ، وتمنى الموت ، يجب أن لا نسعى لتفهم حالته العقلية وحدها ، بل يجب أن ندرك حالته البدنية أيضا .. فلقد كان فى كامل صحته البدنية حتى يوم الحادث الذى مرض بسببه ، ولقد يرى بعض الاطباء أن افراطه فى القهوة والتدخين قد أثر على شرايينه ، ولكن طبيبا مشهورا من الاخصائيين فى القلب فحصه بعد ثلاثة أسابيع من بدء المرض، وأكد أن قلبه فى خير حال .. وان ضغط الدم عادى .. والكبد لم يتضخم .

هذه حالته البدنية ، فلننظر الى حالته العاطفية : **لقد وجد الطريق أمامه مفروشا بالورود حين وفد على أمريكا للمرة الاولى ، لما كان له من شهرة فنية .. ولكن الترحيب لم يلبث أن فتر ، تحت ضغط رجال المسرح المحليين الذين رأوا فيه منافسا خطرا .. وخليق بنا أن نقدر أثر هذا الفتور على نفس رجل اعتاد أن يعيش محفوفا بالتكريم !**

وقضى سنوات فى انتاج عادى ، ثم قرر أن يقدم عرضا عظيما يكون تحفة رائعة ، فاذا بالنقاد يوجهون اليه فى الليلة الاولى حملة قاصمة .. وقال لى أحد المخرجين ان ليس ثمة مبرر للفشل سوى أن العرض كان فوق مستوى الجيل الحاضر !.. لكن أثر النقد على نفس الرجل ـ الذى احتفل بعد ذلك بقليل بعيد ميلاده السبعين ـ كان مدمرا .. أحس ان الناس لم تعد تفهم فنه ، وانه ليس ثمة مجال للارتفاع فى فنه الى ما يعلو على القمة التى هوى منها ..

ولجأ الى مصيف على شاطىء البحر يستجم .. كان كل شىء يدعوه الى الاعتقاد بأن عهده قد انقضى .. لكنه كان مثقلا بالتزامات مالية .. وأوحى اليه أصدقاؤه أن يعيد اخراج عرض كان قد أخرجه فى الماضى فى أوربا وصادف نجاحا باهرا .. وقبل أن ينصاع للاغراء ، لكنه كان يفهم أن اعادة

الاخراج لن تكون لوجه الفن ، وانما من أجل المال ٠٠ وأخذ يعانى من كبريائه الفنية وكرامته ٠٠ فأحس بالتعب ، وبأن ليس ثمة ما يغريه على مواصلة الكفاح !٠٠ فلما وقع حادث الكلب ، كان الصراع الدائر فى أعماقه قد بلغ منتهاه ٠٠ **ولم يكن لحادث الكلب أهمية فى حد ذاته ، بل ان أدنى سبب كان كفيلا بأن يحدث النوبة التى أصابت الرجل اذ ذاك ٠٠ فان « الاستعداد العاطفى للمرض » كان قد بلغ أوجه ، وكان تصور اعادة اخراج عرض قديم دون ما عمل انشائى أو ابتكار فني جديد ، يوحى اليه بالموت ٠٠ ويقضى على غريزته الانشائية ! ومن ثم نشطت الغريزة الهدامة لتشل مراكز الحس فى مخه ٠٠ واختارت بالذات المراكز المختصة بالحركة، والاشارة ، والكلام ، والمهارة ٠٠ الخ**

لماذا يختار المرض أعضاء خاصة فى الجسم ؟

◆ **وعلى هذا** ، فاختيار المرض للاعضاء التى يهاجمها ليس اختيارا عرضيا ، وانما هو مبنى على عوامل ، ومتصل بشخصية المريض كلها ٠٠ ومن هنا نفهم سر استيائه من دروس الكلام وهو الذى كان يرشد النجوم الى طرق الكلام ! ٠٠ ونفهم كيف دفعه اختبار الكتابة الى ظلمات القنوط ، اذ لم تعد له وسيلة لارشاد نجومه ، لا بالكلام ، ولا بالكتابة ، ولا بالاشارة !٠٠ وكانت كبرياؤه أعتى من حبه للحياة ، فلم يشأ أن يعيش عاجزا ، مشلولا ٠٠ ولكن قوة العقل ومجادلة النفس ، أقنعته بأن ثمة أملا ، ولهذا أخذ فى التحسن ٠٠ بيد أن العقل اذا دخل فى صراع مع المشاعر ، فان الغلبة لا تلبث أن تتم للمشاعر !٠٠ وهذا ما حدث يوم اعتزم الصوم : لقد أوحت له مشاعره بأن يصر على الصوم ، لتدفعه الى أن ينصاع — دون وعى منه — للغريزة المدمرة التى كانت تنشط فى أعماقه ٠٠ وجاءت الصورة الذهنية التي رسمها له عجزه عن الكتابة،

فأذكت نشاط تلك الغريزة ، واذا بها تصل الى التسلط على العقل نفسه فتقنعه بالانحياز الى صفها .. اذ ما الداعى لاطالة حياة ترزح تحت وطأة العجز والمرض ؟.. ثم ، أليس من المسلم به أن كل حياة صائرة الى الموت ؟

الموت لا يأتى الا اذا اشتهيته !

◆ **وهكذا الحال مع كل مريض : لا يواتيه الموت بغتة ، وانما يجىء لانه نهاية مشتهاة ، ولو لم يفطن العقل الواعى الى هذا الاشتهاء !**

فهل اذن فى وسعنا أن نصون الرغبة فى الحياة ونتشبث بها ؟.. ان خير طريقة لاطالة العمر هو أن لا نسعى لتقصيره .. وقد بدأنا ندرك اليوم ان الجراثيم والعوامل الطبيعية الخارجة عن ارادتنا ليست بالخطر الاكبر الذى يتهدد الحياة، بل ان خط الدفاع الاول ضد الموت هو صحة مشاعرنا وعواطفنا وانفعالاتنا .. فاذا نحن وجدنا ما يحفزنا على البقاء أحياء ، ووجدنا من يقول لنا فى أوج المرض : « ابق من أجلنا .. لا غنى لنا عن وجودك » ، ما استسلمنا للموت .. ولو أننا عمدنا - اذا ما انتهينا من تحقيق هدف أو اتمام عمل - الى خلق هدف جديد ، أو ابتكار عمل آخر ، لوجدنا ما نعيش من أجله ، فنتشبث بالحياة .. ولا بد لذلك من أمرين :

أن نحرص على سلامة صحة مشاعرنا حرصنا على سلامة صحة أبداننا ..

وأن نتعلم كيف ننمى طاقتنا وقوانا حتى تكتمل ..

واذا كنا نعمل حقا للحياة ، فليس من داع يدعونا لأن نخشى الموت !

وفى العدد القادم تقرأ معى الجزء
الثانى من هذا الكتاب الممتع

إقرأ معى :

كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى أعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- آراء جريئة فى الحياة للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »
- آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو
- كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى
- الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك
- مراهق : البرتو مورافيا
- آلهة ومقابر وعلماء : سيرام
- الالمان ، شعبا وعباقرة : اميل لودفيج
- مستقبل زوجك فى يدك : مسز ديل كارنيجى
- ثمن اسرائيل : ألفريد ليلنتال

واليوم أقدم لك فيما يلى هذا الكتاب الممتع الذى لخص فيه الكاتب العالمى المعاصر ((اندريه موروا)) سبعا من اشهر القصص الطويلة فى الادب الفرنسى ، باعتبارها تمثل ألوان الحب السبعة !

وفى الاعداد القادمة ازمع ان اقدم لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب الممتعة ..

SEPT VISAGES
DE L'AMOUR
Par
ANDRÉ MAUROIS
اندريه موروا
اقنعة الحب السبعة
١ - الحب المنطوى على الفروسية
(الأميرة دى كليف : لمدام لافاييت)

هـذا الكتـاب

◆ للحب ، فى نظر ((أندريه موروا)) ، سبعة أقنعة .. أو سبعة وجوه : فهو تارة عفيف ، وتارة عنيف .. تارة طاهر ، وتارة فاجر .. تارة خيالى ، وتارة مثالى ، وتارة نارى ! .. الخ

وقد تخير موروا - كنموذج لكل وجه أو قناع من أقنعة الحب السبعة - قصة من روائع الادب الفرنسى الخالدة : فاختار للحب المنطوى على روح ((الفروسية)) قصة (الاميرة دى كليف) لمدام دى لافاييت .. واختار للحب ((الرومانتيكى)) قصة (جوليا ، أو هيلويز الجديدة) لجان جاك روسو .. وللحب المنطوى على ((فرار من الواقع)) ، قصة (مدام بوفارى) لجوستاف فلوبير .. وللحب الملتهب ، قصة (الاحمر والاسود) وغيرها من قصص ((ستندال)) .. وللحب الذى هدفه ارضاء الحواس ، أكثر من قصة من قصص ((بلزاك)) .. وللحب المناضل ، قصة (علاقات خطرة) للجنرال ((دى لاكلو)) .. وأخيرا ، اختار موروا كنموذج للحب ((الوهمى)) قصة (غرام سوان) لمارسيل بروست ..

ولم يكتف أندريه موروا ، فى تصويره لكل وجه من وجوه الحب السبعة ، بتلخيص القصة الكبرى التى رآها معبرة عن هذا الوجه أو ذاك .. وانما جعل حديثه عن القصة مزيجا من التلخيص ، والعرض ، والتحليل ، والتعليق ، والحديث عن مؤلف القصة - واختباراته الخاصة فى الحب ! - ثم الحديث عن تقاليد المجتمع وعن النزعة العاطفية الغالبة على الناس فى العصر الذى عاش فيه وكتب قصته .. الخ .

.. فالكتاب يجمع اذن بين السرد القصصى ، والدراسة الادبية الممتعة - بطريقة ((موروا)) الخاصة وأسلوبه الشائق - ومن ثم فهو جدير بالمزيد من الأناة و ((التوسع)) فى تلخيصه .. وعلى هذا أقدم لك فيما يلى الفصل الاول من فصول الكتاب ، وفيه يتحدث المؤلف عن ((القناع)) الاول من أقنعة الحب السبعة .. على أن أتبعه بالفصول والاقنعة التى تليه ، فى الاعداد القادمة باذن الله ..

١ ــ اطوار الحب !

◆ **ان** الصلة بين المشاعر الانسانية وبين الادب ، لأشبه بالصلة بين الحكومة والرأى العام !٠٠ فقوة الحكومة تعتمد ، الى حد كبير ، على الرأى العام ٠٠ وفى الوقت نفسه نجد أن الحكومة هى التى توجه الرأى العام وتؤثر فيه ٠٠ وهكذا الحال فى العلاقة المتبادلة بين الادب ومشاعر الناس : **فالمشاعر هى التى توحي بالادب ، وتلهم الادباء ٠٠ ومن ناحيــة أخرى فان الادب يساهم بنصيب كبير فى توجيه المشاعر ، وتلوينها ، بل « وخلق » مشاعر معينة فى بعض الاحيان !٠٠ ومن هنا يتأثر الحب مثلا ، فى كل زمان ومكان ، بطابع القصص المشــهورة التى تروج وتقرأ فيهما !**

والغريزة الجنسية ــ التى هى منبع الشعور بالحب ــ غريزة ثابتة غير متغيرة،لا تكاد تختلف بين عنصر وآخر، وبلد وآخر، الا بالقدر الضئيل الذى يختلف فيه جسم الانســان ٠٠ لكن مظاهر هذه الغريزة ، وهى أســاليب الحب وألوانه ، تتغير ويطرأ عليها التعديل والتبديل على مر العصور ٠٠ والا فهــل يمكن تصور صورتين لعاطفة واحدة ، تختلفان وتتباينان أكثر مما يختلف حب « كلو » الشهوانى ل « دافنيس » ، عن حب « مدام دى مورسوف » العفيف ل « فيلكس دى فاندينيس » ؟ ٠٠ أو حب « الشــيفاليه دى جريو » البسيط الســاذج لـ « مانون ليسكو » ، عن الحب الواعى « الحصيف » الــذى يكنه أحد أبطال قصة من قصص « ألدوس هكسلى » للبطلة ؟!

وبعبارة أخرى ، ان الغريزة الواحدة تنتج ــ تبعا لفلســفة كل عصر ــ رد فعل متغير يناسب العصر ، وفلسفته ٠٠ وهدف هذا الكتاب هو معالجة مختلف التطــورات والتغيرات التى طرأت على عاطفة الحب كما انعكست على الادب الفرنسى خلال ثلاثة قرون !

مولد الحب الرومانتيكى

◆ **وأول** ما يلاحظ أن القدماء لم يجعلوا انفعالات الحب الموضوع الرئيسى لقصصهم ، كما فعلنا نحن فى العصور الحديثة .. صحيح ان بطل ملاحم « هوميروس » كان يثور غضبا اذا خطف أحد « أسيرته » ، لكن ثورته تلك كان حافزها الشعور بالكبرياء والعزة ، أكثر منه الشعور بالغيرة !.. **وقد كان جمال « هيلين » السبب فى نشوب « حرب طروادة » ، ومع ذلك فان عواطف هيلين لا تشغل غير مكان ضئيل من ملحمة « الالياذة » التى سجلت أحداث تلك الحرب !**

وفى «الأوديسة» نرى البطلة « بينيلوبى » (١) زوجة وفية ، أكثر منها عاشقة .. وقد كان الحب الذى يخرج عن نطاق الرغبة الجنسية ، يعتبر فى ذلك العصر نوعا من الجنون !.. لذلك لم يجرؤ أديب من أدباء اليونان القدامى ـ عدا أفلاطون ـ على أن يتحدث فى أدبه عن الحب العذرى ، الذى يبلغ من عمقه انه يتطلب الطهر الكامل والعفة المطلقة !

وفى أيام الرومان ازدهر الزنا بينهم ، لكنه كان يعتبر جريمة ، وليس مأساة !.. واذا كان شعراؤهم ، وعلى رأسهم «فيرجيل» ، قد وصفوا ألوانا من عذاب الحب الطاهر ، فان شاعرهم « أوفيد » قد أشبع هذا اللون من الحب سخرية فى كتابه

---

(١) و « بينيلوبى » هى زوجة البطل اليونانى فى حرب طروادة ، المدعو « اوديسيوس » ـ أو « عولس » ـ وقد بلغ من وفائها له أثناء غيبته التى طالت عشرين عاما ، انها رفضت جميع عروض الزواج التى قدمت اليها خلالها ، رغم يأس الجميع من عودته .. وحين الح عليها الخاطبون ، تحايلت لارضائهم زاعمة انها سوف تختار أحدهم حين تنتهى من قطعة قماش كانت تطرزها . لكنها لم تنته منها أبدا ، لانها كانت تفك كل ليلة ما تطرزه طوال النهار !.. وفى نهاية العشرين عاما ، كوفىء صبرها ووفاؤها بعودة زوجها اليها !

المشهور « فن الحب » ! (الذى قدم « كتابى » صفحات منه فى العدد ٢٨)

والواقع ان الحب كعاطفة معقدة ـ أو الحب الملتهب كما أطلق عليه باسكال ـ لم يعرف الا منذ القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، حين ترعرع فى أوربا ، أولا فى بلاط الامراء وأجوائهم الشاعريه ، ثم فى غراميات الفرسان والمغامرين ٠٠ فلماذا بدأ الناس فى ذلك العصر يسبغون كل هذه الاهمية على «الانفعالات العاطفية والروحية» التى تصاحب الرغبة الجنسية؟

الوثنية لم تكن تفرض الاخلاص والعفة !

لان المسيحية أحدثت انقلابا فى هذا الميدان ٠٠ **فقد كان الزواج قبل ذلك ـ عند القدماء ـ مجرد « عقد منفعة » لا يفرض على الزوج أن يكون مخلصا لزوجته ، وبالتالى لا يخلق فى أعماقه صراعا داخليا ٠٠ كما أن الوثنية لم تكن تفرض العفة على المرأة أو تكبلها بالقيود والاغلال الخلقية الشديدة ٠٠ فلما وجدت هذه الاغلال ، ضاعفت من حدة العاطفة الروحية ـ أى الحب ـ عند كل من الرجل والمرأة ! ٠٠ يضاف الى هذين العاملين عامل ثالث بالغ الاهمية ، هو ترجمة الشعر العربى « العذرى » الى اللغة الفرنسية ، ثم الانجليزية ، وما ترتب على ذلك من الترويج للحب المجرد عن صلة الجسد ٠٠**

وأخيرا فان الحروب الصليبية قد أعانت على ازدهار «الحب» ، لانها أوجدت لقصصه جمهورا كبيرا من القراء ، هم الحجاج الذين أثار خيالهم حرمانهم من النساء وبعدهم عن مجتمعاتهن ، فوجدوا متعتهم فى قراءة قصص الحب ٠٠ وفى الوقت نفسه أقبلت النساء فى بلادهن على قراءة القصص بعد أن ارتفع مستوى تعليمهن ومركزهن فى المجتمع ، وأجبرهن سفر رجالهن الى ميادين الحرب على قتل أوقات فراغهن فى القراءة ٠٠ وفى الحب !

فرسان المائدة المستديرة !

◆ ومن جهة أخرى، ففى غيبة المحاربين فى تلك الحروب لم يبق من الرجال فى أرض الوطن وفى قصور أولئك الغائبين غير خدمهم المخلصين « اليافعين » الذين كان الواحد منهم بمثابة التابع أو « الوصيف » لسيده وسيدته على السواء، فلم يكن يجرؤ على أن يولى السيدة من الحب غير لونه الساذج المنطوى على الاحترام ، والمنزه عن كل مطمع دنس ٠٠ وانتشرت يومئذ قصص الحب الذى تغلب عليه نزعة الفروسية ـ مثل قصة « تريستان وايزولت » وقصص فرسان المائدة المستديرة، وأشهرها قصة الفارس « لانسلو » والملكة « جينفير » ، زوجة الملك أرثر ٠٠ **وقد مهدت هذه القصص أذهان النساء لتطور غير عادى فى مصائرهن وأقدارهن ، فقد رأين أنفسهن فجأة هدفا للمغازلة الرقيقة من جانب الرجل ، ولسن موضع اشتهائه فحسب ! وبفضل هذه القصص صار فى وسعهن أن يفرضن على الرجال معاملتهن على أساس من الاحترام الذى يوحى به الحب الدائم المستقر ـ وهى عاطفة ليست من شيمة الرجال فى العادة ! ـ فباتت كل امرأة تتطلب من رجلها أن يكون من طراز « لانسلو » أو « تريستان » ، وان لم يمنعها ذلك من أن تستسلم للعاشق الماجن الذى من طراز « دون جوان » ، الذى كان يذيقها الالم فيملأ عليها بذلك حياتها !٠٠ ولكن لتعود من جديد الى « لانسلو » كى يحميها من نفسها ويضحى بسعادته لينسيها حب دون جوان** !٠٠ وهكذا كانت قصص الفروسية تحيط نساء ذلك العصر بجو حافل بأشباه « لانسلو » من الفرسان الشائقين الذين تنشرح لهم صدورهن ويرضون غرورهن !

ونستطيع أن ندرك مدى التطور الذى طرأ على شخصية الرجل فى الحياة الواقعية ـ نتيجة لشيوع قصص الحب المنطوى

على الفروسية ، تلك القصص التى خلقت شخصية « العاشق الشاعرى ! » – نستطيع أن ندرك مدى ذلك التطور اذا تذكرنا أن الرجال الذين أصابهم هذا التطور كانوا من « المحاربين » ، ذوى الطبيعة الاستبدادية العنيفة ، **الذين لا بد قد وجدوا – فى البداية – كثيرا من المذلة فى خضوعهم لنزوات امرأة واحترامهم لمشيئتها !٠٠ ومن أطرف أمثلة ذلك ان « ادوارد الثالث » ملك انجلترا فى ذلك العصر ، الذى كان معروفا بالقسوة والصرامة فى أساليب حكمه ، صار بتأثير قصص الفروسية عاشقا وديعا خجولا – من طراز عشاق القرن السابع عشر – يتألم فى صمت حين تهجره المرأة التى يحبها ، فلا يستغل سطوته لاعادتها اليه ، رغم أنها امرأة عزلاء ٠٠ وهو ملك !**

هكذا لا نملك الا أن نحس بقوة سلطان الادب ، الذى فرض نفسه على تلك النفس البدائية فأخضعها وهذب من حواشيها !

وكل حضارة انما تنبع عن الشعائر والمراسم التى تفرض على الناس ، فليس ثمة وسيلة لقهر البربرية الكامنة فى قلب الانسان سوى تكبيلها بالقواعد الصارمة ٠٠ وهذا ما فعله الشاعرى العنيف : فان التجارب والمغامرات التى تفرضها على الرجل امرأة أحلامه ، والمبارزات التى يشتبك فيها أمام عينيها من أجلها ، والاغانى التى يلحنها غزلا فيها ، تنتهى بأن تلعب فى حياته دورا هاما يجعل الرغبة الجسدية تتراجع عنده الى المرتبة الثانوية ، بل وتنسى أحيانا !٠٠ وقد أخضعت الفروسية فى العالم المسيحى كلا من الحب والحرب ، فكانت هى والحب الشاعرى من أقوى عوامل نمو المدنية ٠

٢ – انهيار الحب الرومانتيكى ٠٠ ثم بعثه

◆ وقد عانى الحب الشاعرى العفيف خلال المدة بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر عدة هزات وازمات :

١ – فعندما كثر العشاق العذريون ، وصار حبهم هو الطابع السائد ، مله الناس وبدأوا يسخرون منه !٠٠ صار « دون كيشوت » رمزا عادلا لمغامرات

الفروسية ، وكلنا يعلم مبلغ الهزء والاستخفاف اللذين تقابل بهما شخصية هذا الفارس الابله !

٢ ـ ولكى يتسع الوقت لتحليل العواطف ، والتحدث عنها ، ولكى يكون الغزو الغرامى بطيئا ومدروسا ، وبالتالى جديرا بأن يروى ، **ينبغى أن يلتقى الرجل والمراة فى وقت الفراغ ، اى فى فسحة من الزمن ٠٠ والحضارة المستقرة ، كما ينبغى ان توفر للناس المأوى ، كذلك ينبغى ان تتيح لهم الوقت الكافى كى يحبوا ٠٠ اى كى يحلموا !**

وقد حدث فى مستهل القرن الرابع عشر أن بدأت حضارة العصور الوسطى العظيمة فى الانهيار ٠٠ ولم تكن حضارة الاقطاع قد نضجت وأكتملت بعد ٠ كانت الانسانية تمر فى ذلك العصر بمرحلة طويلة الامد من العنف ، والفوضى ، وعدم الاستقرار ـ وهى المرحلة التى تخللتها حرب المائة عام ، والحروب الاهلية والدينية المختلفة ـ فلم تترك هذه الحروب للعشاق وقتا كافيا يستمتعون فيه بالهوى العفيف الطويل الاجل ، وانما صار المجال مجال غراميات قصيرة ضارية ، أقرب الى الشهوة منها الى الحب ٠٠وقد تركت هذه الغراميات طابعها فى قصص « بوكاشيو » (الايطالى) ، و « رابليه » (الفرنسى) و « شوسر » (الانجليزى) ٠٠ الخ

الريف لا يوحى بالشعر والهوى !

وخلال هذه «« النكسة »» فى المشاعر العاطفية ، لم تجد النساء ملجأ عاطفيا لهن سوى الشعر ، وبخاصة الشعر الريفى ٠٠ ومن المفارقات الملحوظة فى هذا الصدد ، أن المتتبع لانتاج الشعراء والروائيين منذ القدم (من «« فيرجيل »» الى «« شكسبير »» ، ومن «« رونسار »» الى « راكان » ومن «« روسو »» الى «« تولستوى »») يلمس فى هذا الانتاج تعبيرا عن ميل البشر المستمر الى أن يحلموا بعصر ذهبى موشى بالخيال ، يستسلم فيه الرعاة والراعيات الى عواطفهم الفطرية ، فى جو من جمال الطبيعة الساحر. ٠٠ وليس المرء فى حاجة الى اكثر من ان يعيش زمنا فى الريف ، ليدرك أن الطبيعة هى على العكس مما يتصور هؤلاء : قاسية ، واقعية ، أبعد ما تكون عن أن تصلح كجو مناسب للهوى والخيال .. وان حياة الرعاة وسط قطعان الماشية ، هى آخر لون من الوان الحياة ايحاء بالمغامرات العاطفية .. بل ان الباحث ليتبين أن أرق وابلغ ابيات الشعر العاطفى «« الريفى »» ، نظمها شعراء المدن والحضر !

٣ ـ واخيرا ، فى بداية القرن السابع عشر ـ خلال حكم الملك هنرى الرابع ـ عاد النظام والاستقرار يستتبان فى فرنسا ٠٠ فبعثت فيها العواطف العفيفة

من نورها .. وعلى أثر اخماد ثورة (الفروند) ـ التى كانت آخر صحوة للاقطاع المحتضر ـ شهد القرن السابع عشر انتقال المجال الحيوى لنشاط النبلاء واهتمامهم ، من الحرب والسياسة .. الى الصالونات ! .. واضطر العظماء والبارزون من شخصيات عصر النهضة الى قبول الخضوع لسلطة الدولة ، أى الملك ، بعد أن كان كل منهم حاكما بأمره فى اقطاعيته ! ومن الخطأ تصور ان هذا التطور قد تم بسهولة ويسر .. ولعل مذكرات الكردينال دى ريتز من أبلغ صفحات الادب الذى يعطينا فكرة واضحة عن شخصيات اولئك الاقطاعيين من جماعة (الفروند) وفى مقدمتهم : لاروشفوكو ، مدام دى لونجفيل ، لاجراند دموازيل ، لوزان .. وغيرهم من « الحيوانات البشرية » العظيمة الجميلة ، التى يصعب ترويضها وقد صدق الدوق « سان سيمون » حين وصفهم فى مذكراته بقوله : « ان كل ما يصلح له هؤلاء النبلاء ، هو أن يسعوا الى حتفهم بأنفسهم ! »

٤ آلاف قتيل فى المبارزات

◆ وهل أدل على ذلك من ان اربعة آلاف منهم لقوا حتفهم فى المبارزات ، أثناء حكم لويس الرابع عشر !؟ .. وان هذا الرقم ارتفع الى سبعة آلاف فيما بين عامى ١٥٤٩ و ١٦٠٧ ؟ .. ذلك انهم عندما اضطر الملك ـ كى يعيد النظام والأمن الى ربوع البلاد ـ الى منعهم من حسم منازعاتهم الخاصة بالاشتباك فى حروب بين جيوشهم المسلحة .. وعندما لجأ الى «حبسهم» فى نطاق البلاط والصالونات ، التى كانت بالنسبة لهم أشبه بالاقفاص ، عمدوا الى تحطيم قضبان هذه « السجون » بابتكار تقليد المبارزة بالسيف !

.. ومن هنا نشأت ضرورة فرض « شكليات » خاصة ، مغالى فيها ، عليهم . شكليات بلغت حد الحذلقة ، نبات طابعهم الغالب : « الأدب المتزمت فى الحركات والالفاظ .. والتوحش الساذج فى الاخلاق ! »

وقد كان المثل الاعلى للرجل فى القرن السابع عشر هو « العظمة » ، حتى لتجد هذه الصفة تلصق بكل شيء وتتكرر فى كل صفحة تقريبا من صفحات قصة « الاميرة دى كليف » ، التى نلخصها فيما يلى .. وكان الناس فى ذلك العصر متعطشين للمجد ، وكانت قوة العواطف الملتهبة تبدو فى نظرهم عنوانا لهذا المجد . كانوا يعتقدون ان الانسان الكريم النفس النبيل المحتد ، ينبغى ان يحب بانفعال وعنف ! .. كان الكل يبكون بسهولة عجيبة ، وتجرى على السنتهم وفى كتاباتهم الاشارة فى كل مناسبة الى « انهار العبرات والدموع ! » .. وعند موت « تورين » يبكى المارة جميعا فى الطرقات . واذا كان اعظم كتاب ذلك العصر ـ مثل راسين ، ومدام

دى لافاييت – يتحدثون عن هذه الانفعالات بلهجة متحفظة وتعبيرات متواضعة ، فان هذا التواضع يزيد تلك المشاعر جمالا ، لانه يسيطر على عواطف أقوى وأعنف .. أو بعبارة اخرى ان تلك الاعمال الادبية الكلاسيكية اشبه بعاصفة أو دوامة من العواطف مخففة الوقع ، مهذبة الحواشى الى الحد اللائق ..

دستور الحب !

◆ وقرب منتصف القرن السابع عشر عاش فى باريس جيل من الاقوياء ذوى الطبائع العنيفة ، الذين فرض عليهم طراز من الحياة لا يسمح لهم باطلاق سراح عواطفهم ، والافصاح عنها بالافعال .. فلماذا كان أولئك الاسرى غير المروضين يطالعون ؟ .. انهم لينشدون فى الكتب تنفيسا عن الانفعال « العظيمة » والانفعالات العظيمة التى تأباها عليهم الحياة الآن .. وهكذا تعود « مودة » قصص الغرام المنطوى على الفروسية .. حتى لنجد مدام دى سيفينييه ، رغم كل اتزانها ، تطالع قصة من هذا اللون هى قصة « سيروس العظيم » .. بل وتقول فى تقريظها : « ان جمال العواطف ، وعنف الرغبات ، وعظمة الاحداث ، وتتابع المبارزات الرائعة على نسق يقرب من الاعجاز .. كل ذلك يحملنى على أجنحته بعيدا الى دنيا الخيال والاحلام ، كما لو كنت صبية صغيرة ! »

وقد شغفت اوربا بأسرها يومئذ بقصة أونوريه دورفيه الرِيفية المشهورة « أستريه » ، التى كتبها فى خمسة آلاف صفحة – استغرقت كتابتها منه اربعة عشر عاما ! – وقد أعاد الكثيرون من الفرنسيين أيامئذ قراءتها المرة بعد المرة حتى حفظوا أدق دقائقها ، كما يحفظ المتدينون التوراة ! .. والقصة تصور غرام الراعية « أستريه » – نسبة الى الربة أستريه ابنة جوبيتر – والفتى « سيلادون » ، الذى اعتبرته فرنسا يومئذ نموذجا للعاشق المثالى .. وكان دستور سيلادون فى الحب هو دستور الهوى الشاعرى العفيف ، ويتلخص فى ثمانى مواد :

(١) كن مفرطا فى حبك . (٢) لا تطو قلبك على عاطفة اخرى ملتهبة غير هذا الحب . (٣) أحبب امرأة واحدة فقط . (٤) فليكن همك الأوحد اسعاد المرأة التى تحبها . (٥) دافع عن محبوبتك ضد كل أذى أو عدوان . (٦) انظر اليها باعتبارها كاملة فى كل الصفات . (٧) ولا تكن لك ارادة غير ارادتها . (٨) ولتعد بان تظل مقيما على حبها على الدوام !

وعاش المجتمع كله وفق هذا الدستور .. كان هدف الجميع ان يقوموا بجلائل الاعمال من أجل المرأة التى يحبون ، ويعودوا من المعركة ظافرين كى

يفوزوا بالمرأة التى يحبون .. وحرص اشهر الرجال واحكم الحكماء على ان يجعلوا من الحب « واجبا » ، متبعين قول باسكال : « ان الحب لا يكون جميلا بغير افراط .. فالذى لا يحب بافراط ، لا يحب حبا كافيا ! » وكانت عقيدتهم هذه فى الحب تنطوى على شىء من القداسة : فالمرء ينبغى ان يضحى بكل شىء من اجل الحب .. ويمرض من فرط الحب .. بل يموت ـ فخورا ـ من الحب ! .. وبالاختصار ، فان البطولة المثالية حين عجزت عن الافصاح عن نفسها بالتفوق فى الحرب ، وجدت ملجأها فى الحب !

لكن مثل هذه العواطف السامية تستمد قيمتها الكبرى من ندرتها ، فاذا شاعت فقدت أكثر قيمتها .. ففى وسعنا ان نقبل من « باسكال » أو « لاروشفوكو » ان يحب على هذا النمط ، اما اذا غدا العنف فى الحب « قاعدة » ، فان الأمر يبدأ فى ان يصبح باعثا على السخرية .. وهل يمكن ان يكون هذا الحب الذى يشغل الانسان مدى الحياة ، الا « لعبة » ؟ .. لقد قيل عن الشيفالييه دى سيفينييه ان « امله الوحيد كان ان يموت من حب لم يشعر به ! » .. وقد كان الاخلاص للمعشوقة الى حد التفانى امرا رائعا عندما كان يوحى بجلائل الاعمال ، لكن الحب اذا استغرق من الرجل كل كيانه ، سرعان ما يصبح منافيا للروح الاجتماعية .. وللحال يحدث رد الفعل فيوقع المجتمع عقابه الصارم بمثل هذا العاشق ، بالاستهزاء به !

وهكذا نرى « موليير » يسخر من هذه المغالاة ، التى تلبس الرجال العاديين أثواب الابطال .. ويأتى لاروشفوكو فيحلل العواطف ، ليجد فيما رواسب من حب الذات ! .. وبتأثير هذين الواقعيين وامثالهما ، « ينقى » الذوق العام ، فتسخر الطبقة المتوسطة « البورجوازية » من طراز ذلك العاشق الخيالى .. كما يسخر منه كل « رجل امين » يكره التظاهر بحب اقوى من الحب الذى يشعر به بالفعل !

.. حتى النساء ، ضقن ذرعا بطراز العاشق الذى يغالى فى احترامهن ! .. وصرن يرددن فى لهجة التذمر : «آه ، لماذا لا يكون أجرأ قليلا من ذلك؟»

وهكذا يكتمل رد الفعل ، معلنا مولد اللون التالى من ألوان الحب : الحب الرومانتيكى .. الذى يتطور فى القرن الثامن عشر الى الحب الداعر !

ولكن قبل ان يختفى ذلك الحب الشاعرى المنطوى على الفروسية ، ينتج درته الخالدة : قصة « الاميرة دى كليف » . وهذه القصة تكاد تشبه

المعجزة ، لانها تحتفظ بتوازن مثالى بين قوة العواطف ، واعتدال لهجتها .. وان المدنية الفرنسية لتدين بمظهر من اعظم مظاهرها - وهو فن تحليل العواطف - للمرأة التى كتبت هذه القصة الخالدة .. فلئن كانت اللغة الفرنسية لا تجارى فى دقة وجمال تصويرها لأرق ظلال الحب .. ولئن كان حوار الحب قد اصبح فى فرنسا أعذب وأبرع الفنون على الاطلاق .. فان جانبا كبيرا من هذا الفضل يرجع الى هذه المرأة الحاذقة ، الحكيمة ، المتواضعة ، التى نجحت - دون سخرية ودون مغالاة - فى العودة بفن القصة الطويلة الى المجال الواقعى .. والتى اثبتت ان جمال وحرارة اقوى عاطفة ، يمكن تصويرهما بأبسط لغة

وهذه المرأة التى أعنيها .. هى « مدام دى لافاييت »

٢ - المؤلفة الموهوبة

◆ كانت « مدام لافييت » تعرف قبل زواجها باسم « مارى مادلين دى لافيرن » . ترملت أمها فى شبابها ، فتزوجت من الشفاليه رينو دى سيفينييه - الذى أنجبت أسرته الادبية الفذة مدام دى سيفينييه - وهكذا نشأت رابطة القربى بين أشهر أديبتين فى القرن السابع عشر !

وقد تلقت مارى من التعليم أقصى ما كانت تتلقاه الفتيات فى عصرها .. ثم تتلمذت - مثل مدام دى سيفننيه أيضا - على الشاعر الاديب «ميناج» ، فعلمها اللغة اللاتينية ، التى اكسبتها طلاوة الاسلوب وجمال التعبير .. وحين قدمت الى المجتمع ، حسب تقاليد عصرها ، ظفرت باعجاب الرجال .. وعاشت فترة من الزمن حرة طليقة ، ورغم ذلك فقد ردت « الكردينال دى ريتز » خائبا حين حاول مغازلتها وخطب ودها ! .. وعندما بلغت الثانية والعشرين تزوجت - باختيارها - الكونت دى لافاييت ، وهو نبيل غبى كان يعجز عن مجاراتها فى الحديث والمجتمعات ، وهى الاديبة اللامعة الذكاء ، الجذابة الحديث .. فلا يجد بدا من ان يلوذ بالصمت !

وطغت شخصية الزوجة على شخصية زوجها ، فصح فيه وصف «لابروير» للازواج المغمورين : « هناك نساء يطمسن بل يدفن أزواجهن ، الى حد اغفال ذكرهم فى المجتمع ، بحيث يتساءل الناس عن الزوج منهم : « أهو ما زال حيا ؟ أم انه قد مات ؟ » .. وبحيث تقتصر وظيفته فى الاسرة على التزام الصمت الخجول والانقياد وراء ارادة زوجته .. ولولا عجزه عن الحمل والولادة لقلنا انه الزوجة وهى الزوج ! »

وبقدر تدله الكونت فى حب زوجته ، لم تكن هى تحبه على الاطلاق .. بحيث يغلب على الظن انها تزوجته بدافع المنفعة ، تأمينا لمركزها الاجتماعى ! .. وفعلا لم يكد يمضى زمن حتى تركته فى قصره الريفى وعادت الى باريس ، حيث عاشت منفصلة عنه ، غير شاعرة بوجوده ، حتى مات سنة ١٦٨٣ ، بعد ثمانية وعشرين عاما من زواجهما !

وفى باريس اتصلت رابطة الصداقة المتينة بين الزوجة وبين شقيقة زوجة الملك لويس الرابع عشر ، فعاشت ترتع معها فى بلاطه زمنا .. حتى ماتت الأخيرة ، فهجرت مدام دى لافاييت البلاط واعتزلت حياة الصالونات الصاخبة .. ثم عكفت فى عزلتها على تأليف القصص ، مستعينة على ذلك بأسلوبها الادبى الرصين ، وطبيعتها الحالمة ، ورقتها العاطفية .

.. وفى هذه الاثناء تعرفت الى الاديب الفرنسى الكبير « لاروشفوكو » الذى اشتهر فى شبابه بمغامراته الغرامية والسياسية ، التى كان منها اقدامه على خطف الملكة « آن » ملكة النمسا واحدى وصيفاتها اثناء نزولهما فى ضيافة لويس الثالث عشر والكردينال ريشيليو ! .. كما كان من مغامراته غرامه بالدوقة « دى لونجفيل » ، وهو الغرام الذى أصيب من جرائه برصاصة فى رأسه كادت تفقده بصره وخلفت فيه منذ ذلك الوقت عاهة مستديمة . ورغم ذلك فقد خانته المرأة فى النهاية !!

لاروشفوكو

وعلى أثر صدور العفو العام عن جريمة اختطاف الملكة ، اتخذ لاروشفوكو لنفسه منفى اختياريا فى قصره الريفى حيث عاش فترة من الوقت مضمد الوجه ، يرتدى نظارة سوداء على عينيه المصابتين .. لكنه عاد الى باريس بعد وفاة الوزير «مازاران» وافتتح فيها من جديد قصره الفاخر الواقع على ضفة السين - وكان يومئذ فى الثامنة والاربعين - وجعل يقضى أوقاته متنقلا بين صالونات الاديبات الجميلات ، يؤلف مع واحدة اناشيد الغزل، ويؤلف مع الاخرى عبارات الحكمة والامثال المأثورة .. واشيع وقتئذ انه صار

عشيقا لمدام دى لافاييت ، لكن احدى الموثوق برواياتهن نفت ذلك ، جازمة بأن « العلاقات بينهما ظلت شريفة لا تتعدى الصداقة .. فان تمسك الاثنين بالدين قد قص أجنحة الحب ! »

ورغم ذلك فقد ظل الأديب الكبير يغادر قصره كل يوم كى يزور صديقته فى قصرها بشارع « فواجيرار » . وكانت فى القصر حديقة جميلة تتوسطها نافورة ، قالت عنها مدام دى سيفينييه « انها أجمل بقعة فى باريس يزدهر فيها الفكر » ، وكثيرا ما سهر فيها ثلاثتهم فى ليالى الصيف الى ساعة متأخرة من الليل .. واشترك الصديقان فى تأليف رواية قال عنها الناقد الشهير (باسى) : **« من حسن الحظ ان مسيو لاروشفوكو ومدام دى لافاييت قد جاوزا ربيع العمر ، والا لاشتركا فى عمل امور اخرى معا غير التاليف ، وكنا نحن حرمنا من كتابهما الرائع ! »**

واسترجع الاثنان ماضيهما فى ذاكرتيهما ، فبعث هو فى ذاكرته غراميات شبابه .. وبعثت هى غراميات « المدموازيل مارى دى لافيرن » — الفتاة التى كانتها ! — وهكذا حلقت روحاهما العجوزان فى سماء الخيال عائدتين بصاحبيهما الى ربيع الحياة الجميل ، قبل ان يلتقيا ويتعارفا .. وكانت تلك بذرة قصة « مدام دى كليف » — التى سنلخصها فيما يلى — والتى لم تستطع مؤلفتها ، أو لعلها لم ترد ، اخفاء التشابه الكبير بين بطلتها وبينها .. ثم بين بطلها ومسيو لاروشفوكو !

٣ — القصة

◆ **نحن فى فرنسا فى عهد الملك هنرى الثانى ، وفى بلاطه .. حيث يتم الاتفاق على زواج « الأمير دى كليف » من « المدموازيل دى شارتر » ، وهى فتاة ذات جمال ممتاز وخلق ممتاز ، لقنتها أمها آداب الفضيلة وعلمتها واجبات المرأة المثالية .. كانت تروى لها قصص الحب الواقعية وتظهر لها ما فيها من خير وشر ، ومساوىء ومحاسن ، وامن ومخاطر .. وتقص عليها امثلة من خداع الرجال وخياناتهم ، وامثلة من الفواجع العائلية التى كان سببها الحب غير المشروع ، والعشق الحرام .. ثم تقارن بينها وبين الهناء المقيم الذى يسود بيت المرأة الفاضلة ، وتخلص من ذلك الى الاشادة بمدى رفعة الشان والكرامة التى تكفلها الفضيلة للمراة ذات الجمال والحسب ..**

وهكذا لم يكد يتم الاتفاق على تزويج الفتاة من الأمير حتى أنتجت تعاليم الأم ثمارها ، فنظرت الزوجة الى زوجها نظرة تقدير واحترام ، وثقة فى المستقبل ، وعزم على الاخلاص والوفاء له .. ولم تكن الغريزة قد جربت الحب ، فخيل اليها انها أحبت زوجها ، بينما هى لم تحبه على الاطلاق ! .. لكن الحقيقة لم تخف على الزوج المجرب ، فأدركها منذ البداية .. وأحزنه ان لا تتجاوز عواطف زوجته نحوه حد التبجيل والعرفان بالجميل ، فكان يعاتبها فى رفق ولين - بين الحين والحين - قائلا لها : « هل كان يمكن ان لا اكون سعيدا معك ؟ ومع ذلك فالحقيقة اننى غير سعيد .. انك لا تشعرين نحوى بغير العطف - الذى لا يكفينى ! - وعاطفتى المتقدة نحوك لا تلمس من قلبك وحسك اكثر مما لو كنت قد تزوجت منك طمعا فى مالك ، وليس فى جمالك ! »

تجيبه هى : « ان اتهامك لى ظالم .. فلست افهم فيم تطمع منى فوق ما اعطيك !؟ بل يبدو لى ان صلتنا لا تسمح لى باعطائك اكثر .. »

- انى لا اظفر منك بحبك ولا حتى بميلك .. ووجودى لا يثير بهجتك ولا انفعالك !

- لا احسبك تشك فى انى اسر برؤيتك ، بل ويحمر وجهى احيانا حين نلتقى ، مما هو كفيل باقناعك ان مرآك يثير انفعالى حقا ، لا وهما !

- لن يخدعنى احمرار وجهك ، فهو لا ينبع من قلبك !

ورغم ذلك فان شكوكه تشعل حبه اكثر مما تطفئه ! .. ويستمران فى حياتهما المشتركة ، لكنه لا يحس بانه سعيد ، السعادة الحقة ، وانما تظل تشوب هناءه مرارة نفسية مزمنة !

✱

◆ وبينما هما على هذه الحال ، يتدخل القدر .. فتلتقى الزوجة فى حفلة ساهرة بالرجل ذى الشخصية الخلابة « مسيو دى نيمور » ، زهرة المجتمع الباريسى وأكثر رجاله « رجولة » واغراء .. فيعلق به قلب مدام دى كليف وتوليه من النظرة الاولى حبا لم تكن تحسب نفسها قديرة عليه ! .. تحبه لكنها تأبى الاعتراف لنفسها بهذا الحب ! .. ويحبها هو بدوره ، وفى سره ، نفس الحب الصامت المكتوم - فانه يكتم حبه عن الجميع ، وعنها هى فى مقدمة الجميع ! - ولولا ما يمدها به حبها من احساس مرهف ، لتعذر عليها ان تتبين وتتابع نمو هذا الحب فى قلبه ، ثم فى حركاته .. فتصرفاته !

لكن شخصا آخر يحس من فوره بسعى الحب الحثيث فى القلبين المغلقين .. وهذا الشخص هو الأم – التى تفهم فى العادة هذه الأمور بوحى من غريزتها ، فيتحطم قلبها أو تطير فرحا ، وفقا لطبيعة خلقها وتربيتها ! – لكن « مدام دى شارتر » من الفريق الأول ، فنراها وهى على فراش الموت تفاتح ابنتها فى الأمر :

« انك تميلين الى مسيو دى نيمور .. لست أطلب منك اعترافا بذلك ، فما عدت أستطيع الاعتماد على صراحتك كى ارشدك الى الصواب .. ولقد لحظت هذا الميل من جانبك منذ زمن ، لكنى آثرت عدم مفاتحتك فى الأمر كى لا أنبهك اليه ، ان كنت غافلة عنه ! .. أما الآن فاحسبك قد تنبهت لكل شىء .. انك يا ابنتى على حافة الهاوية ، وسوف يحوجك الأمر الى مجهود جبار واجراءات عنيفة كى تنقذى نفسك من التردى فيها ! .. فكرى فيما انت مدينة به ازوجك ، وما انت مدينة به لنفسك ، واعلمى انك توشكين أن تفقدى السمعة الكريمة التى اكتسبتها ، والتى طالما تمنيتها لك فى لهفة .. فتذرعى بالقوة والشجاعة يا بنيتى .. ابتعدى عن محيط هذا الرجل .. اجعلى زوجك ياخذك بعيدا ! .. لا تخشى او ترهبى اتخاذ اى اجراء صارم أو قاس فى سبيل النجاة من الخطر المحيق بك .. فمهما بدا لك الاجراء اليما فى البداية ، فانه لن يلبث ان يصير فى النهاية أرحم من شرور الحب المحرم ، الذى لو تورطت فيه لاستقبلت انا الموت مرحبة مغتبطة كى لا أعيش وأراك ملوثة ! »

*

◆ ويفلح مسيو نيمور فى جعل مدام دى كليف تفهم انه يحبها ! .. ويصل الى هدفه هذا بغير ان يتفوه بكلمة يمكن ان تصدمها .. بل انه يقول لها على العكس : « ان النساء يحكمن على مبلغ حب الرجل لهن بمقدار تفانيه فى اظهار شعوره نحوهن ومغالاته فى ادخال السرور الى قلوبهن ، وملازمته اياهن فى الغدو والرواح .. ولكن هذه مهمة سهلة للغاية ، لا سيما اذا كن جميلات ، أما المهمة العسيرة حقا فهى حرمان الرجل نفسه من مسرة ملازمتهن ، وتجنبه الاقتراب منهن خشية عيون الناس ، بل خشية ان يلحظن هن انفسهن شعور الرجل نحوهن ! »

وتفهم مدام دى كليف انه يقصدها بكلامه ، لكنها تخفى عنه انها فهمت ، وان كانت كلماته تثير فى نفسها انفعالا حادا .. فان أشد الكلمات غموضا ، حين تصدر من الشخص الذى تحبه ، تحدث من الاضطراب اضعاف ما تحدثه المفاتحة الصريحة من شخص لا تحبه !

لكنها رغم ذلك تفضح مشاعرها بتصرفات صغيرة .. فبينما يركض مسيو دى نيمور بجواده الى جانب الملك، يسقط من على ظهر الجواد فيصاب اصابة يسيرة ، واذ ذاك يبدو الانزعاج على وجه المرأة العاشقة ، فيدرك الرجل فورا انها تحبه بقدر ما يحبها ! .. أما هى فيحنقها من نفسها انها قد افصحت عن سرها الدفين ، فتطلب الى زوجها ان يرحلا الى الريف ، بحجة انها بحاجة الى تغيير الهواء لأن صحتها ليست على ما تروم !

.. لكنه لا يتلقى كلامها جادا ، اذ يراها أتم ما تكون صحة ونضارة ! .. واذ ذاك لا ترى مفرا من ان تواجهه بقولها : « **لا تضطرنى الى الاعتراف لك بشىء ليست لدى القوة على الاعتراف به ، رغم اننى حاولت ذلك عدة مرات .. وينبغى ان تذكر انه ليس مما يقتضيه الحذر أن تعرض امرأة فى سنى لمغريات بطانة البلاط !** »

فصاح بها مسيو دى كليف : « ماذا تقصدين يا سيدتى ؟ .. لست أجرؤ على التصريح لك بما فهمته من كلامك ، خشية ان أهينك بتصريحى ! »

وعند هذا ارتمت على ركبتيها امام قدميه ، وقالت متخاذلة : « **اذن فأنا مضطرة الى الاعتراف لك بما لم تعترف به امرأة لزوجها ، مستمدة القوة على ذلك من براءة تصرفاتى ونواياى . ان لدى من الاسباب ما يجعلنى أفضل الابتعاد عن مجتمع البلاط ، لانى أريد تجنب الاخطار التى كثيرا ما تصيب النساء فى مثل سنى . انى لم أظهر قط أية بادرة من بوادر الضعف ، واعتقد اننى لن افعل ذلك ، اذا سمحت لى بالانسحاب من المجتمع الذى اخشى على نفسى منه ! .. ومهما تكن خطورة الاجراء الذى اطلبه ، فانى مغتبطة به .. كيما اظل جديرة بك ! .. أتوسل اليك ان تغفر لى ما قد ينم عنه كلامى من مشاعر تؤلمك ، فاننى على الأقل لن أولمك بتصرفاتى .. ولتذكر جيدا ان الخطوة التى اتخذها الآن انما تمليها على المحبة والتقدير**

لك ، اللذان يفوقان اقصى ما أظهرته امراة لزوجها فى يوم من الايام .. فبربك ارشدنى ، وارث لى ، واقم على حبك لى .. اذا استعطت ! »

.. فيجيبها واجما : « اننى لم أستطع يوما ان أوقظ الحب فى قلبك ، وها أنا أراك تخشين ان تكونى قد وقعت فى هوى رجل آخر .. فمن هو ياسيدتى ذلك السعيد الذى يوقظ فى نفسك هذا الخوف ؟ »

❊

◆ **لكن** الزوجة لم تكد تنتهى من اعترافها حتى ندمت على انها تفوهت به ! .. فقد رات زوجها ينهار تحت وطأة الصدمة ، ويستسلم لليأس والاحساس بالتعاسة ، مغاليا فى تقدير خطورة الأمر ، مفسرا الف حركة وحركة صدرت من زوجته فى الماضى ، على ضوء هذا الاكتشاف الخطير .. الذى حطم قلبه !

وحين خرج التعس وانفردت هى بنفسها ، استعادتُ فى ذهنها كل ما قالت .. فهالتها بشاعة الأمر ! .. لم تستطع ان تصدق انه وتع .. أحست انها قد دمرت حب زوجها وتقديره لها ، وانها حفرت بينهـا وبينه اخدودا لن يستطيع ردمه وعبوره قط ! .. فساءلت نفسها لم فعلت ذلك ، واقدمت على هذا الأمر الجلل ؟ .. فتبينت انها انما اقترنت ذلك الجرم برغمها .. وأقنعتها غرابة اعترافها – الذى لم تعرف له سابقة – بانها قد تهورت تهورا لا سبيل الى التكفير عنه !

وحتى تلك الآونة لم يكن الزوج قد عرف من يكون غريمه ! .. لكنها حين صارت تتجنب رؤية مسيو دى نيمور ، أدرك الزوج انه هو الغريم الذى يبحث عنه .. فواجهها بهذا « الاستجواب » المحرج : **« هل كنت تجرئين على رفض مقابلته لو لم تعلمى جيدا انه يفهم مغزى هذا التهرب ، ويدرك الفارق بينه وبين « عدم المبالاة » !؟ .. ولكن لماذا تكلفين نفسك مشقة هذه الصرامة ازاءه ؟ .. آواه يا سيدتى ، ان كل شىء يقبل من مثلك ، الا الفتور ! .. لكم انا شقى ، بل أشقى الرجال قاطبة ! .. فها انت زوجتى ، وانا أحبك كما يحب الرجل خليلته .. لكنك تحبين رجلا آخر .. وهذا الآخر هو اكثر رجال المجتمع جاذبية ، وهو يراك كل يوم ، ويعلم انك تحبينه ! »**

❊

◆ **واخيرا** يسمح مسيو دى كليف لزوجته بالسفر الى الريف ، الى « كولوميه » .. وهناك تستقبل صديقة لها ، وتقضى معها بعض الوقت . وحين تعود الصديقة الى باريس تروى فى احد المجتمعات – عن غير قصد

- ان مدام دى كليف مولعة بقضاء شطر من الليل وحيدة فى « الكشك الصيفى» الكائن فى وسط الغابة المحيطة بقصرها !

.. فلا يكاد مسيو دى نيمور يسمع هذا القول ، حتى يدور فى ذهنه هذا الخاطر : هل يهرع الى هناك ليشبع بصره من حبيبته - عن بعد - دون ان تراه ؟

وكأنما يقرأ مسيو دى كليف - الذى كان حاضرا - أفكار غريمه ، ويستنتج من فوره ان هذا لن يفوت الفرصة التى سنحت له لرؤية محبوبته .. فيرسل رسولا أمينا كى يتربص لهما فى الغابة ، ويرى ما يكون من سلوك زوجته !

وبالفعل يسافر دى نيمور الى (كولومييه) ، ويدخل الغابة ، ثم يتسلل الى مكان يستطيع منه ان يرى حبيبته ! .. ويجدها حيث توقع ان تكون ، فاذا هى اجمل وافتن حسنا مما كان يعرفها ، بحيث يضطر الى ان يبذل جهدا جبارا كى يقمع شوقه الى اظهار نفسه لها ! .. لقد كانت الليلة دافئة ، فلم تستر الفاتنة كتفيها بشىء ، سوى شعرها المرسل الطويل .. وكانت تضطجع على اريكة مريحة ، وامامها منضدة صغيرة قد انتثرت عليها بضعة اشرطة للشعر من مختلف الالوان .. ورآها عاشقها تختار احدها ، فاذا هو من نفس لون الوشاح الذى ارتداه هو اخيرا فى مناسبة رسمية ! .. ثم رآها تتأمل طويلا صورة أمامها ، فاذا هى صورته هو !

لعل من المستحيل ان يستطيع كاتب تصوير شعور المحب فى تلك اللحظة ، وهو يرى حبيبته فى قلب الليل ، فى اجمل بقعة فى العالم ، مستغرقة بكل كيانها فى افكار وخيالات تدور كلها حوله هو ، وحول حبها له ، الذى تخفيه عنه .. وهى تجهل وجوده على قيد خطوات منها ، وتجهل انه يراها ! .. انها متعة لعل عاشقا آخر على الارض لم يستمتع قط بمثلها !

وتظل مدام دى كليف تجهل كل شىء عن زيارة حبيبها للغابة فى تلك الليلة ! .. فى الوقت الذى تشاء فيه المصادفة المقيتة ان يخطىء الرسول فى نقل نتيجة تجسسه على الزوجة الى مسامع زوجها ، فيفهم هذا - خطأ - ان الحبيبين التقيا فى تلك الليلة ، وقضيا بعض الوقت معا فى خلوة !

ويعجز التعس عن مقاومة تأثير الصدمة ، فيصاب من فوره بحمى شديدة .. وتخطر زوجته بمرضه ، فتخف اليه بغير ابطاء .. وفيما هى متكئة على فراشه تبكي من فرط قلقها ، يقول لها بصوت واهن متقطع :

« انك تذرفين دموعا غزيرة ياسيدتى ، أسفا على وفاة أنت سببها .. لكنها لا تستحق منك هذا الحزن البالغ الذى تظهرينه ! .. لماذا صارحتنى بحبك لمسيو دى نيمور ما دامت عفتك اضعف من ان تستطيع مقاومته ؟ .. انى اكن لك حبا كان يكفى لأن اظل مخدوعا عن الحقيقة ! أعترف لك بهذا والعار يقتلنى .. ولكم اشتقت لذلك الأمان الزائف الذى حطمته بصراحتك ! .. فلماذا لم تتركينى مستمتعا بالعمى المبارك الذى ينعم به اكثر الازواج ؟ لقد كنت كفيلا بان اعيش حياتى جاهلا بحبك لمسيو دى نيمور ! .. أما الآن، فانى أموت شاعرا بانك قد جعلت الموت محببا الى .. فاننى بعد حرمانى من الحب والاعزاز اللذين كنت احسهما نحوك ، لن استطيب الحياة .. بل انها قد غدت كريهة فى عينى ! .. وداعا ياسيدتى ، ولسوف تفتقدين يوما الرجل الذى أحبك اصدق الحب وأوفاه .. ! »

.. ويلفظ آخر انفاسه ! .. فتحزن الزوجة عليه حزنا يفوق حدود التعقل .. ولا تفارق خيالها صورته وهو يموت ، من أجلها ، مقيما على حبه لها .. فتتهم نفسها بجريمة « عدم شعورها بالحب نحوه » .. كأنما الأمر كان فى مقدورها !

ويقضى مسيو دى نيمور أيامه حائما حول الدار التى تضم محبوبته ، حاسبا انها ما دامت تخلص له الحب فسوف تقبله زوجا ، بعد ان زال من الطريق العائق الذى كان يفصل بينهما .. وزال معه الواجب الذى كان يفرض عليها ان تقاوم حبها ، وتقمع مشاعرها !

ويرتمى العاشق عند قدمى فاتنته ذات يوم ، فتعترف له بانها تحبه ، وانها طالما احبته .. « انه ليسعدنى ان تعلم ذلك ، ولو اننى لست واثقة تماما مما اذا كنت اصارحك بذلك الآن بدافع حبى لك ، ام حبى لنفسى ، كيما استريح من هذا العبء الجاثم على ضميرى .. سيما وان اعترافى لن تترتب عليه اى نتائج ، فلسوف اظل اراعى الحدود الصارمة التى يفرضها على واجبى ! »

ويصعق دى نيمور .. ويحاول اقناعها بانه لم يعد يكبلها واجب ما .. « أى شبح للواجب تقيمينه فى وجه سعادتى ؟ »

- لقد مات بسببى .. وسببك !

وعبثا ينصب المسكين نفسه مدافعا عن قضية الهوى ، فان حاسة الواجب - أو ما تعتبره الارملة واجبا - لا تزال هى الغالبة على مشاعرها .. فهى تجيبه : « أعترف ان العاطفة قد تقودنى وراءها ، لكنها لن تستطيع ان تعمينى تماما .. وما من شىء يحول دون ادراكى انك قد

خلقت جائزا لكل مؤهلات النبل ، والشهامة ، والنجاح فى بلوغ اهدافك .. لكنك طالما أحببت « ولسوف تحب مرارا اخرى .. أما انا فما عدت قديرة على اسعادك . وما عاد هناك مفر من ان أراك تحب امرأة اخرى كما احببتنى .. وان كنت غير واثقة من قدرتى على احتمال الصدمة ، وعلى عدم الشعور بالغيرة الموجعة ! »

ورغم ذلك يأبى دى نيمور ان يصدق انها جادة ، وانها ستقوى على السير فى الشوط الى آخره ! .. فيبذل اقصى ما فى وسعه كى يقنعها بالعدول عن قرارها .. ويستمر فى محاولاته شهرا .. فشهورا .. فعاما .. فأعواما ! .. لكنه ييأس آخر الأمر ، ويتعاون الزمن والبعد على تخفيف حدة لوعته ، واطفاء نار هواه ..

اما هى ، فتقضى بقية اعوامها على نمط واحد : نصف العام فى الدير ، ونصفه الآخر فى بيتها – فى عزلة ، لعلها اشد وأقسى من عزلة الدير ! – منشغلة بأعمال الخير الخالصة .. التى تقرب من أعمال القديسين

وهكذا عاشت مدام دى كليف ، مثلا أعلى للفضيلة والعفة ..

.. وهكذا ماتت مقيمة عليهما !

٤ – العفة .. والسعادة !

◆ **هذا** هو الكتاب الذى أحدث ضجة كبرى عند ظهوره .. والذى يعتبر الى اليوم من أروع آيات فن القصة الطويلة .. والذى حاول شاب من كتاب هذا العصر – هو « ريموند راديجيه » – ان يقلده وينسج على منواله ، فى قصة حديثة له اطلق عليها « مرقص الكونت » ..

فاى جديد جاءت به « الاميرة دى كليف » ، كى تظفر بهذه المكانة الخالدة ؟

اولا : بساطة البناء ، الجديرة بعظماء كتاب المسرح فى الأدب الفرنسى .. فبضربة واحدة ، وضعت « مدام دى لافاييت » نموذجا للون أساسى من الوان القصة الفرنسية الطويلة .. وان من يطالع قصة «اندريه جيد» العصرية التى اطلق عليها : « السيمفونية الريفية » ، يلمس – بوضوح – التزامه ذات الأسس التى راعتها مدام دى لافاييت فى بناء قصتها ، وهذه الأسس هى : الاسلوب الطبيعى البسيط .. والاهتمام بتصوير « المشاعر » .. والتحليل الرقيق المتحفظ .. والايجاز الرصين فى القصة

بل ان مدام دى لافاييت كانت ايضا أول من صورت فى أدبها ما يصح ان يسمى بـ « مجتمع الفراغ » ! .. وهى أول من وصفت الرقة المتناهية

فى العواطف التى يمكن ان تنمو بين الرجال والنساء من ذوى النفوس النبيلة ، حين لا يكون ثمة شاغل لهم غير الحب ! .. وقد عرفنا مجتمعات من هذا اللون فى فرنسا ـ وبخاصة فى باريس ـ خلال السنوات السابقة للحرب .. وسوف نرى حين نتحدث عن « مارسيل بروست » فى الفصل الخاص به من هذا الكتاب ، كم ستكون المقارنة شائقة بين وصفه لعواطف العاطلين ذوى الفراغ ، وبين وصف مدام دى لافاييت لهذه العواطف !

ففى تصوير الاخيرة لشخصيتى مسيو دى نيمور ، ومسيو دى كليف ، نراها قد رسمت صورة للرجل الذى يقبل ان يكون عبدا للتقاليد التى فرضها على نفسه ! .. الرجل المتزمت الذى قد يثير ابتسام الاجيال الساخرة، وان لم يخل تزمته من « عظمة » ! .. فالمرء قد يجد قديسين أو فلاسفة أو ثوارا اكثر منه عنفا فى تزمتهم ، لكن الذى لا شك فيه ان مجتمعا يكون مؤلفا من مثل هذا الرجل ، انما يمثل انتصار الانسانية فى البشرية على الحيوانية !

ولكن ، ترى هل يمكن القول بان المبادىء الخلقية التى التزمها ابطال « الاميرة دى كليف » قد جلبت لهم السعادة ؟ كلا ، البتة .. فنحن قد رأينا مسيو كليف يموت حزنا ، ومدام دى كليف ترفض الرجل الذى احبته ـ بعد ان تسببت فى وفاة الرجل الذى قدرته ! ـ ثم تقضى بقية حياتها فريسة لتبكيت الضمير . أما مسيو دى نيمور فقد خاب أمله ، ولم يظفر قط بالمرأة التى احبها .. وهكذا كان الفشل الكامل نصيب اشخاص القصة الثلاثة ! .. فهل نخرج من ذلك بأن نبل الخلق كان خطأ من جانبهم ؟ أو ما كان الضرر يكون اخف ، لو لم تصارح مدام دى كليف زوجها بحقيقة عواطفها ، أو حتى لو استسلمت لحبها الحرام .. للآخر ؟

يقول « أناتول فرانس » فى مقدمة كتبها لاحدى طبعات قصة مدام دى كليف ، انه سأل امرأة كان يعجب برجاحة عقلها وشجاعتها : « الا تعتقدين ان مدام دى كليف قد جعلت للفضيلة ثمنا باهظا ، حين رأت ان الثمن الذى دفعته فيها ـ وهو موت الزوج .. ويأس المحب ! ـ لم يكن غاليا ؟! »

فكان جواب تلك المرأة ، ما يلى : **« ان الاميرة دى كليف تتصرف بوحى اعتبارات انسانية محضة لا يخالطها اى أثر لمثل أعلى .. ذلك ان الحكمة والتعقل ـ وهما فضيلتان وقتيتان ـ توجهان حياتها ، وتسيطران على مشاعرها .. بل ان ما هو أكثر من الحكمة، وهو اعتزازها بمكانتها الاجتماعية، ينفذ الى اعماقها ويحميها .. انها تعبد المظاهر الخارجية الى أقصى حد ، وتخفى الكثير من احزانها الخفية خلف قناع الكبرياء والترفع الجميل ! .. وفى**

وسعى ان أتصور ان الحياة لا بد كانت فى نظر هذه المرأة الفاتنة ـ التى كانت نفسيتها ومعنويتها أقل تعقدا من نفسياتنا فى هذه الأيام ـ اشبه بقاعة استقبال فاخرة متلألئة بالانوار ، يتعين عليها ان تعبرها مرفوعة الراس ، مزهوة بنفسها ، ثم تمضى تاركة الحاضرين يسلقونها بألسنتهم الحادة ! .. وأحيانا يلزم المرء ، كى يبتسم وسط مأدبة عشاء ، نصيب من الشجاعة و «البطولة» يفوق ما يلزمه فى ميدان القتال ! .. وقد كانت مدام دى كليف تملك هذا النوع من الشجاعة ، تملكه الى حد انكار الذات ، بل الى حد الاستشهاد !.. ونحن نراها مجردة من كل ضعف ، لكنها مجردة أيضا من كل شفقة .. فهى تدع رجلين ينحدران الى مهاوى الياس ويموتان ، مع انها تعشق واحدا منهما على الاقل ! .. وهى بمنجى من توبيخ الضمير ، لانها ظلت تلتزم مسلكا لا غبار عليه ، ولم تسمح لشىء بان يخدش خلقها الرائع .. انها نموذج لما تستطيع التربية الاجتماعية الصارمة والحياة المتزمتة ان تصنعه .. كما انها مثال شامخ ـ وان يكن مخيبا للآمال ، محطما للقلوب ـ لما تفعله الفضيلة والاخلاق الرفيعة بسعادة الرجال ! .. والمرء، أمام هذه النفس العفيفة التى لا ترحم، لا يملك الا ان يسال نفسه: اليس منبع هذه الفضيلة هو الكبرياء ، الذى عزاها عن كل شىء .. حتى عن الضرر الذى احدثته !؟ »

احتمالان .. لا ثالث لهما !

◆ والواقع ان هناك تعليلين محتملين لمسلك مدام دى كليف : اما ان عواطفها الحسية ضعيفة غير ملحة .. أو أنها تملك من قوة الخلق ما يكفى لقمع شهواتها العنيفة .. اى انها اذ تنازعتها الرغبة والواجب ، اختارت الواجب ! .. واذا استطعنا انكار « حكمة » هذا التسليم المطلق لحكم الواجب ، فليس يسعنا ان ننكر جلاله وروعته !

ومهما يكن من شىء ، ومهما صادفنا فى بقية قصص هذا الكتاب او فى غيرها من القصص ، شخصيات اخرى قريبة الى شخصيات هذه القصة فى النبل والعفة .. الا اننا لن نجد ما يعادلها سموا ، وتواضعا ، وجلالا ! .. ولن نكف عن ان نذكر بالاحترام والعطف تلك الليالى المحمومة فى باريس القرن السابع عشر ، حيث عاشت ـ بقرب حدائق اللوكسمبرج ـ روحان اجتمع فيهما العنف والعفة .. والبطولة والرقة !

كتابى : والآن أيها القارىء ، تستطيع أن تدلى برايك فى الاستفتاء الهام الذى طرحته عليك فى افتتاحية هذا العدد .

وفى الاعداد القادمة ، اقدم لك بعون الله القصص الست الاخرى التى اختارها اندريه موروا كنماذج لبقية « اقنعة الحب السبعة » !

عندما ترفع الستار..

روائع المسرح العالمي

(التمثيلي ... والغنائي)

عزيزي القارىء ...

قدمت لك في هذا الباب في الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

- خطايا الحب : لاوسكار وايلد
- نزاهة الحكم : جوجول
- سلاح المراة : اريستوفان
- فولبون : بن جونسون
- جيوكندا : دانونزيو
- كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
- مدرسة الفضائح : شيريدان
- سيرانو دى برجراك : روستان
- لعبة الحب والموت : رومان رولان
- مروحة الليدى وندرمير : وايلد
- فاوست : جيته
- اوديب الملك : سوفوكل
- فى سبيل الحب : جون درايدن
- وليم تل : شيللر
- الأم : مكسيم جوركى
- الملك يلهو : فيكتور هوجو
- الذبيحة : اندريه اوبيه
- الجنس الآلى : كاريل كابيك
- الابن الاكبر : جالزورثى
- هرنانى : فيكتور هوجو
- ترويض النمرة : شكسبير
- الحياة نفاق : لويجى بيراندللو
- اغلال الحب : ستيف باسير
- المنافق (طرطوف) : موليير
- بيت الليل : تيبرى مونييه
- علموهم الحب ، روجيه فردينان

واليوم أقدم لك هذه المسرحية الانجليزية الخالدة للكاتب الساخر اوسكار وايلد

زوج مثالى!

لأوسكار وايلد

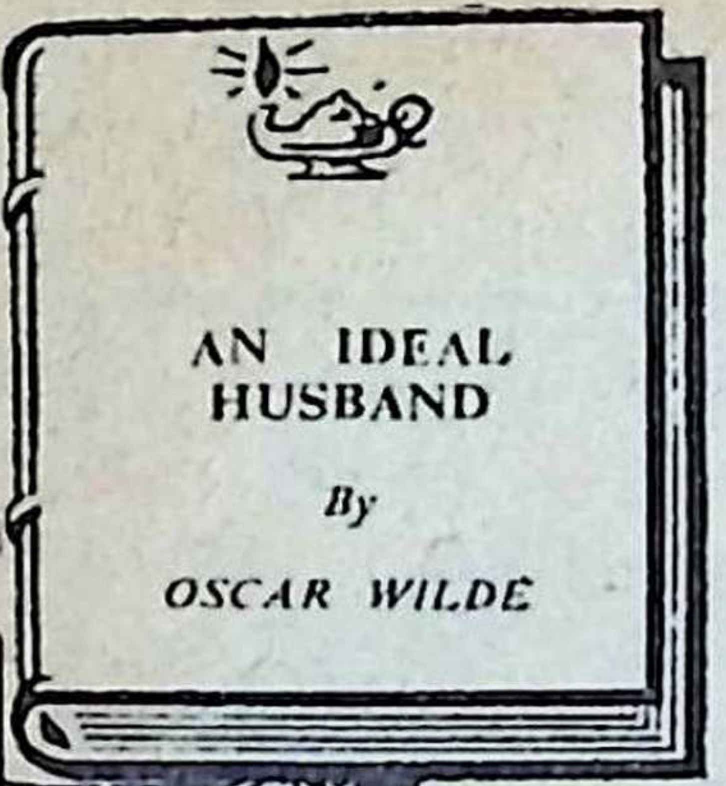

قصة الفساد الاجتماعى
والسياسى فى كل بلد..!

فساد المجتمع .. كما عالجه أوسكار وايلد

◆ رغم أن هذه المسرحية كتبت فى انجلترا فى أواخر القرن الماضى (اذ مثلت لأول مرة فى لندن عام ١٨٩٥) ، فانك تحس وانت تقراها كانك تعيش فى مصر خلال الاعوام العشرة التى سبقت قيام الثورة ! .. الفساد الاجتماعى هو هو ، والرشوة واستغلال النفوذ والاهواء الشخصية هى هى .. واتجار بعض اعضاء البرلمان بسلطتهم فى سبيل جمع المال .. وتدخل النساء فى شؤون الحكم ومصالح الدولة فى سبيل الاثراء غير المشروع .. ثم الجو الموبوء بالدنس والفضائح الخلقية والمساومات المشينة ! .. كل ذلك بعض ما تعالجه هذه المسرحية الفذة التى ابدعتها عبقرية الكاتب الانجليزى الساخر « اوسكار وايلد » .. الذى قدمت لك من قبل اثنتين من مسرحياته الخالدة ، هما : « خطايا الحب » - فى العدد الاول - و « مروحة الليدى وندرمير » ، فى العدد الثالث عشر ..

الفصل الاول

◆ ترفع الستار ، فاذا نحن نرى « ليدى تشيلترن » - وهى سيدة فى السابعة والعشرين ، ذات جمال اغريقى جليل - تستقبل ضيوفها عند قمة السلم ، تحف بها مظاهر الفخامة والاناقة .. والى يمينها مدخل غرفة الموسيقى ، والى يسارها مدخل يؤدى الى قاعات الاستقبال .. وعلى أريكة من طراز لويس السادس عشر ، جلست سيدتان رائعتا الحسن تتحدثان عن المجتمع وحفلاته .. وتخوضان فى سير أفراده - كما هى عادة أكثر النساء فى المجتمعات - ولا تلبث أن تنهض السيدتان الى قاعة الموسيقى .. بينما تستقبل ليدى تشيلترن شيخا مهيبا فى السبعين من عمره ، هو « لورد كافرشام » ، الذى يبادر مضيفته قائلا : « ترى هل رأيت ابنى الذى لا يصلح لشىء ؟ »

فتجيبه مبتسمة بأن ابنه « اللورد جورنج » لم يصل بعد .. بينما تفد « ميبل تشيلترن » - أخت رب البيت ، وهى حسناء تمثل أروع صور الجمال الانجليزى - فتحتج على ما وصف به اللورد ابنه من أنه « لايصلح لشىء » ، اذ أنها ترى فى ركوبه الخيل كل صباح ، وتردده على «الأوبرا» ثلاث مرات

اوسكار وايلد

فى الاسبوع ، واستبداله ثيابه خمس مرات فى اليوم .. ترى فى كل ذلك ما ينفى عنه أنه خامل كسول !

ويشكو اللورد المسن للعذراء الفاتنة حال المجتمع اللندنى ، فتهتف : « آه .. اننى أحب المجتمع اللندنى ، واعتقد انه قد تحسن بدرجة كبيرة .. فقد أصبح يتألف من أغبياء ذوى جمال ، ومعتوهين أنيقين .. »

– ومن أى الفريقين جورنج ؟

– أوثر أن أعتبره نوعا قائما بذاته !

وتقبل اذ ذاك ليدى ماركبى ، وهى سيدة ودود ، سمحة الوجه ، تصحبها امرأة أخرى تدعى مسز شيفلى ، ذات شعر أحمر، ووجه متورد، وعنق طويل، وعينين يمتزج فيهما اللونان الاخضر والرمادى ..

وتشكر ليدى ماركبى ربة البيت لأنها سمحت لها باستصحاب صديقتها ، وتقدمها اليها ، فتتأمل ليدى تشيلترن السيدة ثم تقول :

ليدى تشيلترن : أعتقد اننى التقيت بمسز شيفلى من قبل .. ماكنت أعرف أنها تزوجت ثانية !

ليدى ماركبى (فى تلطف) : ان الناس اليوم يتزوجون بقدر ما يسعهم الزواج .. هذه هى « المودة » !

مسز شيفلى (وهى تعبث بمروحتها) : أحقا تلاقينا من قبل يا ليدى تشيلترن ؟.. لقد تغيبت عن انجلترا ردحا طويلا

ويتضح أنهما كانتا زميلتين فى المدرسة .. وتعرب الضيفة عن شوقها الى أن ترى لورد تشيلترن ، فقد سمعت عنه الكثير فى « فيينا » ، كما أن نجاحه فى وزارة الخارجية جعل اسمه يتردد فى الصحف ..

ويقبل اذ ذاك « الفيكونت دى نانجاك » ، وهو ديبلوماسى شاب عرف بأناقة ربطات عنقه وبميله الى كل ما هو انجليزى ، فيحيى مسز شيفلى فى شوق .. وندرك من حديثهما أنهما تعارفا فى برلين منذ خمس سنوات ..

ويلج المكان رب الدار « سير روبرت تشيلترن » ، الذى يبدو أصغر شكلا من سن الاربعين التى بلغها .. انيقا ، حليقا ، وسيم الطلعة ، ذا شخصية ،

يستطيع أن يفصل تماما بين فكره ومشاعره ٠٠ ومع أنه لم يكن مشهورا ، الا انه كان موضع اعجاب فئة من الناس ، ومناط احترام الكثيرين ٠٠ يلوح من مسحة الزهو التى تلاحظ عليه ، انه معتد بما أحرز من نجاح فى الحياة . ويبدو عليه أنه ذو مزاج عصبى ، وانه متعب ، مرهق ٠٠

وتبدى ليدى ماركبى رغبتها فى أن تعرفه بمسز شيفلى ، فيخيل اليه انه على معرفة بالاسم ، فتقول الليدى : ((انها قد وصلت حديثا من ((فيينا)) ٠٠ فهى كثيرة الترحال ، وجعبتها غنية بقصص الفضائح عن اصدقائها !))

واذ تقدمه الى صديقتها ، يقول وهو ينحنى لها : ((كل امرىء يموت شوقا الى معرفة مسز شيفلى الرائعة ٠٠ ان الملحق بسفارتنا فى ((فيينا)) لا يكاد يكتب عن سواها !))

وتشكره السيدة قائلة انها تبينت أن زوجته كانت زميلة لها فى الدراسة ، وكانت تحرز دائما جوائز حسن السلوك !

سير تشيلترن (مبتسما) : وأى جوائز كنت تحرزين ؟

مسز شيفلى : لقد أحرزت جوائزى فيما بعد ٠٠ وما أظن بينهـا جائزة لحسن السلوك ٠٠

سير تشيلترن : اعتقد انها كانت جوائز للفتنة والسحر !

مسز شيفلى : ما عرفت أن النساء يجازين للفتنة ، بل أعتقد أنهن يعاقبن عادة عليها !

ويسألها عما دعاها الى أن تهجر ((فيينا)) بمرحها ٠٠ وهل للسياسة أثر فى ذلك ، فتقول : ((ان السياسة هى ملهاتى الوحيدة ٠٠ فان الشائع اليوم أن ليس للمراة أن تتقبل الغزل ما لم تبلغ الاربعين ، ولا أن تكون عاطفية قبل أن تبلغ الخامسة والاربعين ٠٠ فليس اذن أمامنا — نحن المسكينات اللاتى لم نتجاوز الثلاثين — سوى السياسة وأعمال البر ٠٠ وأنا أوثر السياسة !))

سير تشيلترن : ان الحياة السياسية عمل نبيل ٠٠

مسز شيفلى : أحيانا ٠٠ كما أنها فى بعض الاحيان لعبة بارعة ياسير روبرت ٠٠ لكنها فى أحيان أخرى مصدر ازعاج وضيق ٠٠ لقد كنت أسعى للقائك ، صدقنى ٠٠ انك تعرف فضول المراة ! كنت شديدة الشوق لأن القاك ، وأسألك صنيعا ٠٠ وان كنت لا أراه بالامر البسيط ٠٠

ويسألها عما تبغى ، فترجىء الحديث فى ذلك ، ثم تقول : ((دعنى أجوس خلال دارك الجميلة ٠٠ لطالما قال لى البارون ارنهايم ٠٠))

سير تشيلترن (مجفلا) : هل تعرفينه ؟

مسز شيفلى : أوثق المعرفة ٠٠ وأنت ؟

سير تشيلترن : عرفته مرة ٠٠ كان رجلا ممتازا ٠٠ من عدة وجوه

ويصل اذ ذاك اللورد جورنج ، وهو شاب في الرابعة والثلاثين ـ وان بدا أصغر من ذلك ـ رفيع التربية ، لا غبار على أناقته ، يداعب الحياة ، وينسجم مع الدنيا ٠٠ ويولع بأن يبدو غامضا !٠٠ ويقدمه سير روبرت الى مسز شيفلى ، فتقول : « لقد قابلت اللورد جورنج من قبل ٠٠ ان ذاكرتى مدهشة ٠٠ أو ما زلت أعزب يا لورد ؟ » ٠٠ ويسألها اللورد جورنج عن المدة التى ستمكثها فى لندن فتقول : « ان مداها يتوقف على الجو ، وعلى طريقة طهو الطعام ، و ٠٠ على سير روبرت ! »

ويتسلل جورنج الى حيث كانت « ميبل تشيلترن » شقيقة صاحب القصر ، فيندمج معها فى حديث نلمس منه انهما متحابان ٠٠ ويسالها فجاة : « من الذى أحضر مسز شيفلى الى هنا ؟٠٠ ان هذه المراة لعوب ٠٠ وخبيثة ٠٠ انها عبقرية فى النهار ، وفتنة فى الليل ! »

واذ تخرج « ميبل » يفد اللورد كافرشام على القاعة ، فيأخذ فى لوم ابنه على افراطه فى السهر واللهو ، والشاب يتلقى اللوم فى دعابة ، حتى ينقذه مقدم مدعوة أخرى تدعى ليدى بازيلدون ، التى تبدى دهشة لوجوده قائلة : « ما كان يخطر لى أنك تقبل على حفلات السياسيين ! »

جورنج : بل اننى أعجب بها ٠٠ فانها المكان الوحيد الذى لا يتكلم فيه الناس فى السياسة !

ليدى بازيلدون : اننى أستطيب الحديث فى السياسة ، ولكنى لا أطيق الانصات لحديث غيرى فيها ٠٠

جورنج : ان المرء اذا استمع سهل اقتناعه ٠٠ والرجل الذى يسمح لنفسه بأن يقتنع ، شخص عديم العقل والحجى

ليدى بازيلدون : هذا يفسر كثيرا مما لم أنهمه فى الرجال ، وكثيرا مما لا يقدره الرجال فى زوجاتهم !

فتتدخل مسز مارشموند قائلة وهى تتنهد : « ان أزواجنا لا يقدرون فينا شيئا ، بل علينا أن نسعى الى سواهم ننشد عندهم التقدير !٠٠ لقد تزوجنا من رجال يمثلون الكمال فى الازواج ٠٠ ولهذا حق علينا العقاب »

جورنج : ظننت أن الرجال هم الذين نزل بهم العقاب ٠٠ ما رأيكما فى مسز شيفلى ؟

مسز مارشموند : سمعت أنها قالت فى الاوبرا مساء يوم الاثنين ان المجتمع اللندنى لا يتألف الا من نساء مهملات لمظهرهن ٠٠ ورجال مغالين فى الاناقة !

٠٠ على هذا النحو تدور الاحاديث في السهرة ٠٠ حتى يلتقي سير روبرت

تشيلترن ومسز شيفلى من جديد .. فتؤكد السيدة للديبلوماسى الناجح ان اقامتها فى انجلترا تتوقف عليه !.. وتمضى قائلة : « **أريد أن أتحدث اليك فى موضوع سياسى ومالى عظيم .. موضوع شركة قناة الارجنتين .. اننى اعرف أنك تهتم بمشروعات القنوات الدولية .. ألم تكن سكرتير اللورد رادلى حين ابتاعت الحكومة أسهم قناة السويس ؟** »

ويجيب سير روبرت بأن قناة السويس أتاحت لانجلترا طريقها الى الهند ، فى حين ان مشروع الارجنتين ليس سوى مغامرة ، بل خدعة للعبث بالبورصة ! .. وقد حصلت وزارة الخارجية على كافة المعلومات التى تثبت هذا .. ثم يضيف : « أرجو أن لا تكونى قد ساهمت فى المشروع ..؟ »

مسز شيفلى : بل ساهمت بمبلغ كبير جدا ..

سير تشيلترن : ترى من الذى نصحك بمثل هذا العمل الاحمق ؟

مسز شيفلى : صديقك العريق ، وصديقى : البارون ارنهايم !

سير تشيلترن : أخشى اننى لا أملك ما أنصحك به .. بل اننى سأقدم الى مجلس العموم غدا تقرير البعثة التى أوفدناها للتحرى عن المشروع ..

مسز شيفلى : هذا ما يجب الا تفعله .. لمصلحتك قبل مصلحتى !.. يجب أن تسحب التقرير بزعم أن أعضاء البعثة تحيزوا ، أو تعرضوا لمن ضللهم .. وأن تقول ان الحكومة ستعيد النظر فى المسألة ، وانك تعتقد أن القناة ستكون ذات قيمة دولية كبرى .. اننى جادة فيما أقول ، ولو أنك فعلت ما أسألك .. لدفعت لك الثمن بسخاء !

ويبهت سير روبرت ، ويصر على أنه لا يفهمها فتقول : « **انك رجل على خبرة بالدنيا .. والناس اليوم مضطرون الى الاسراف فى الانفاق .. وارجو أن تكون معتدلا فى الشروط التى تمليها ..** »

وينهض فى أنفة قائلا : « أرجو أن تسمحى لى باستدعاء عربتك لتنصرفى .. اذ يبدو أنك عاجزة عن أن تتبينى أنك تتحدثين الى سيد انجليزى مهذب ! »

مسز شيفلى : بل أدرك أننى أتحدث الى رجل أقام ثروته وحظه على بيع أسرار الوزارة لمضارب فى البورصة !.. **اننى أعرف حقيقة البداية التى بدأت بها ثروتك ومنصبك ، ولدى خطاب كتبته الى البارون ارنهايم حين كنت سكرتيرا للورد رادلى .. خطاب كتب قبل اقدام الحكومة على شراء أسهم قناة السويس بثلاثة أيام ، تخطره فيها بأن يبتاع أسهما هو الآخر .. ما كان أغباك اذ ظننت أن هذا الخطاب قد أعدم .. انه فى حوزتى !.. وانا أعرضه للبيع .. والثمن الذى أنشده هو تأييدك لمشروع قناة الارجنتين ..** يجب أن تساعدنى وأصدقائى على أن نجمع ثرواتنا من هذه القناة ، كما جمعت أنت ثروتك من القناة الاخرى !

سير تشيلترن : لا أستطيع أن أفعل ما تطلبين ٠٠ أنها دناءة ٠٠ هبى أننى أصررت على الرفض !؟

مسز شيفلى : سيكون فى ذلك خرابك !٠٠ ان الأخلاق هى الهواية التى يشغف بها الناس فى أيامنا هذه ٠٠ ولقد كانت الفضائح فيما مضى تضفى على المرء سحرا ، فغدت الآن تقضى عليه !٠٠ وفضيحتك مستهجنة جدا ، فلن يقدر لك أن تنجو منها ٠٠ نعم ، **لو أذيع أنك حين كنت سكرتيرا لوزير كبير فى شبابك ، بعت أحد أسرار الوزارة لقاء مبلغ ضخم ، وان هذا كان أساس ثروتك ومنصبك ، لطردت من الحياة العامة تماما ! ٠٠ أننى الآن غريمتك ، وانى لأقوى منك ، وفى صفى انصار أقوياء ٠٠ كل امرىء مسوق الى ان يدفع ثمن ما أنت يداه ، طال الزمن به أو قصر !** ٠٠ وأنت تعرف صحافتكم الانجليزية يا سير روبرت ٠٠ هب اننى قصدت ــ بمجرد مغادرتى هذه الدار ــ الى احدى الصحف وأفضيت اليها بالفضيحة والبراهين ؟!

سير تشيلترن : كفى ٠٠ سأدفع لك أى مبلغ تطلبين ٠٠

مسز شيفلى : انك لم تؤت من المال ما يكفى لابتياع الماضى !

ويلح عليها ان تمهله حتى يفكر ، ولكنها لا تتزحزح عن موقفهـــا ٠٠ وينتهى الى أن يعدها بسحب التقرير !

ويفد اذ ذاك بعض القوم ، وبينهم ليدى تشيلترن ، فتقول لهـا مسز شيفلى انها استطاعت أن تكسب زوجها الى صف مشروع قناة الارجنتين ، وانه سيتحدث فى مجلس العموم غدا مؤيدا المشروع ، فتقول الليـدى : « اننى واثقة من أن هذا المشروع لا يمكن أن يحظى بتأييد زوجى ٠٠ »

مسز شيفلى : أؤكد لك اننا اتفقنا ٠٠ على أن الامر سيظل سرا مكتوما بيننا خلال الاربع والعشرين الساعة التالية !

وتعثر « ميبل تشيلترن » بعد انصراف مسز شيفلى على «بروش» ثمين على الاريكة ، فيأخذه لورد جورنج ويحتفظ به قائلا لها : « سأسألك رجاء غريبا ٠٠ لا تذكرى لأحد اننى استحوذت على (البروش) ، فان كتب اليـك أحد يسأل عنه فانبئينى ٠٠ ذلك لأننى سبق أن أهديته لسيدة ما ، منذ عام ! »

وتخلو ليدى تشيلترن الى زوجها بعد انفضاض الضيوف ، فتقـول له : « ما أظن من الصحيح يا روبرت أنك ستؤيد تلك المغامرة الارجنتينية ؟٠٠ لقد أنبأتنى بهذا تلك المرأة التى تدعو نفسها مسز شيفلى ٠٠ انها امرأة كانت فى المدرسة كاذبة ، غير أمينة ، ذات تأثير سيىء على كل من تصاحبهن ٠٠ وكانت تسرق ٠٠ بل انها فصلت من المدرسة بسبب السرقة ! »

ويحاول أن يقنعها بأنها ربما تكون قد تغيرت ، لكنها تقول : «محال، ان حاضر المرء هو عين ماضيه ! »

ويسعى الى أن يوهمها بأنه كان على خطأ فيما اتخذ من رأى ازاء المشروع من قبل ، فتهيب به أن يصارحها بما اذا كان صادقا فى قوله ، ولكنه يراوغ ، ويقول إن هذا التغير فى الرأى كان ضرورة ماسة ٠٠ فتقول : « **ما من ضرورة تدفع الى عمل غير شريف !٠٠ والا فما الذى أحببته فيك ؟٠٠ وما هى هذه الضرورة التى طرأت ؟٠٠ ما الكسب الذى تظفر به ؟٠٠ أهو مال ؟٠٠ لا حاجة بنا الى مال ، بل ان المال الذى يأتى من طريق مدنس يتحول الى مذلة !٠٠ أم هو سلطان ؟٠٠ ان السلطان فى حد ذاته ليس شيئا ، ما لم يهدف الى عمل طيب ٠٠ ثم انك لست من أولئك الذين يأخذون الحياة على أنها مغامرة ٠٠ أنت بالذات لست منهم ٠٠ لقد كنت طيلة عمرك طرازا وحيدا ، وما تركت الدنيا تفسدك قط ٠٠ لقد كنت دائما مثلا أعلى بالنسبة للجميع ، كما كنت بالنسبة لى ، فابق كما أنت ٠٠ مثلا أعلى ٠٠ اننا معشر النساء اذا أحببنا عبدنا من نحب ٠٠ واذا كفرنا ، ضيعنا كل شىء !٠٠ لا تقتل حبى لك !٠٠ اننى أعرف أن فى حياة بعض الرجال أسرارا فظيعة ٠٠ فهل فى حياتك سر مشين ؟** »

واذ يؤكد لها ان ليس فى حياته سرا يخفى عليها ، تهيب به أن يكتب لمسز شيفلى بأنه لن ينفذ وعده : « اكتب لها فى هذه اللحظة ٠٠ يجب أن تعرف فورا أنها أخطأت ، وانك لست الرجل الذى يرتكب أمرا وضيعا أو غير شريف ٠٠ قل لها انك تربأ أن تؤيد مشروعها ، وتراه مشروعا غير نظيف ! »

٠٠ ويكتب الخطاب ، فتستدعى الخادم وتأمره بأن يحمله فورا الى مسز شيفلى فى فندقها ، وتتحول الى زوجها بعد انصراف الخادم فتعانقه قائلة : « ان الحب يا روبرت يفتح بصيرة المرء ٠٠ أشعر بأننى أنقذتك الليلة من شىء كان من المحتمل أن ينطوى على خطر لك ٠٠ ما أراك تستبين أنك يا روبرت قد أدخلت على الحياة السياسية فى عصرنا جوا ساميا ، نظيفا ، طاهر المرامى ٠٠ ومثلا عليا رفيعة ٠٠ »

الفصل الثانى

◆ **فاذا** كان الفصل الثانى رفعت الستار عن قاعة الجلوس بدار آل تشيلترن ، وقد جلس فيها لورد جورنج ، فى أبهى أناقته ، بينما وقف سير روبرت صاحب الدار أمام المدفأة ، فى استغراق و هم باديين !

لورد جورنج : هذه مسألة شديدة الاحراج ، وكان ينبغى أن تصارح زوجتك بكل شىء ٠٠ ان كتمان الاسرار متعة لذيذة اذا كان بالنسبة لزوجات الغير ، لا بالنسبة لزوجة المرء ٠٠ فليس لرجل أن يكتم سرا عن زوجته لأنها

لن تلبث أن تعرفه ، فان للنساء غريزة عجيبة تكشف هذه الامور !

سير روبرت تشيلترن : ما كان فى وسعى أن أنبىء زوجتى .. ولو أننى أخبرتها ليلة أمس لأدى ذلك الى انفصال يدوم طيلة العمر ، ولفقدت حب المرأة الوحيدة التى أعبدها فى هذه الدنيا .. فما كانت لتحجم عن أن تتحول عنى فى ذعر .. واحتقار !

جورنج : اذا كانت زوجتك على هذه الدرجة من الكمال ، فخليق بى أن ألقى عليها حديثا جديا عن الحياة .. دعنى أحاول .. وان كنت أحب أن أقول انه كان ينبغى أن تنبئها منذ سنين !

تشيلترن : متى ؟.. أعندما كنا خطيبين ؟.. أفتظن أنها كانت تتزوج منى لو كانت علمت أصل ثروتى ، وأساس منصبى ، واننى ارتكبت عملا أعتقد أن معظم الرجال يصفونه بأنه عار و ضعة ، رغم أنهم يفعلون عين الشىء يوميا .. ورغم ان فى حياتهم أسرارا أسوأ وأبشع !؟.. ثم ، أى انسان أوذى مما فعلت ؟.. لا أحد ..

جورنج : الا .. نفسك !

تشيلترن : أمن العدل أن يشهر فى وجهى الآن ما فعلته منذ ثمانى عشرة سنة تقريبا ؟.. أمن الانصاف أن تدمر حياة رجل لغلطة اوتكبها فى صباه ؟ .. لقد كنت فى الثانية والعشرين من عمرى ، وكان من سوء حظى اننى ولدت من أصل طيب ، ونشأت فقيرا .. وهما صفتان لا تغتفران للانسان فى أيامنا هذه !

جورنج : ان الحياة لا تنصف قط يا روبرت ..

تشيلترن : ان كل رجل طموح مضطر لان يكافح عصره بنفس أسلحته !.. وهذا العصر يقدس الثراء .. المال هو اله هذا القرن .. ولا بد لك من ثروة لكى تنجح !

جورنج : انك تهون من شأن نفسك .. صدقنى انه كان فى وسعك أن تنجح بلا ثروة !

تشيلترن : ربما .. عندما تتقدم بى السن .. عندما أفقد تحمسى للسلطان ولا أستطيع أن أفيد منه .. لقد أردت النجاح فى الشباب .. وما كان بوسعى أن أتريث !

جورنج : ولقد نلته .. صرت وكيلا لوزارة الخارجية فى سن الاربعين !

تشيلترن : واذا انتزع منى الآن ؟.. اذا فقدت كل شىء فى فضيحة بشعة ؟

جورنج : كيف بعت نفسك بالمال يا روبرت ؟

تشيلترن (**منفعلا**) : بل اشتريت النجاح بثمن غال !

جورنج : أجل .. ولكن ما الذى أغراك على ذلك ؟

.. ويعترف بأن البارون ارنهايم هو الذى زين له ذلك : كان رجلا واسع الذكاء والثقافة ، التقى به ذات مساء فى حفلة عشاء لدى لورد رادلى ، فراح يتحدث عن النجاح وكأنه « علم » ذو قواعد محددة .. واسهب فى شرح أفظع الفلسفات : فلسفة السلطان !.. وأخذ يبشر بأروع الرسالات : رسالة الذهب !.. وبعد أيام ، دعاه لمقابلته ، وراح يريه روائع التحف الثمينة التى كان يقتنيها .. واذهله بألوان الترف التى كان يحيا فيها .. ثم أخبره بأن الترف ليس سوى اطار أو « رتوش » للسلطان - السلطان على الغير ، وعلى الدنيا - بما يتبع هذا السلطان من لذة ونشوة !

.. ويمضى السير روبرت مستطردا : « ولقد منحتنى الثروة سلطانا هائلا .. بل منحتنى حرية فى حياتى .. وحرية فى كل شىء !.. انك لم تكن يوما فقيرا ولا طموحا حتى تعرف روعة الفرصة التى أتاحها لى البارون .. فعندما انصرفت ، قال لى انه سيجعلنى واسع الثراء اذا استطعت أن أمده بأية بيانات سرية ذات قيمة حقيقية .. وبهرتنى الفرصة .. وبعد ستة أسابيع ، وقعت فى يدى بعض مستندات سرية .. »

جورنج : مستندات حكومية ؟.. ما كان يخطر لى ببال انك - من دون رجال الدنيا أجمعين - كنت من الضعف بحيث تخضع لمثل اغراء البارون ارنهايم !

ولكن سير روبرت لا يرى فى الخضوع للاغراء ضعفا ، بل ان من الغواية ما يستلزم قوة وشجاعة كى تنساق له !.. ولقد كسب البارون ارنهايم من وراء المعلومات ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات ، فأعطاه ١١٠ آلاف منها !.. ومن ثم استطاع أن يظفر بعضوية مجلس العموم ، ولم تنقض خمس سنوات حتى كان قد انمى ثروته الى ثلاثة أمثالها .. بارشادات البارون ونصائحه !

جورنج : « ولكن ، أخبرنى .. ألم تشعر قط بندم على ما فعلت ؟

تشيلترن : لا ، بل شعرت بأننى حاربت العصر بأسلحته ففزت عليه .. أو تحتقرنى يا آرثر ؟

جورنج : بل أنا شديد الأسف من أجلك ..

تشيلترن : لا أقول اننى عانيت أى ندم .. ولكننى دفعت فى الخيرات قدر ذلك المبلغ عدة مرات !

ويعده اللورد جورنج بأن يساعده بقدر ما فى وسعه .. ويقره على أن الاعتراف بما فعل سيفقده كل مكانة ، ويقضى عليه .. ولكنه يلح عليه أن يفضى الى زوجته بالسر !.. ثم يعترف له بأنه خطب يد « مسز شيفلى » مرة ، ولكن علاقتهما لم تدم لأكثر من ثلاثة أيام .. ثم يسأله عما اذا كان قد عرض عليها مالا ، فيقول سير روبرت انها رفضت ..

جورنج : اذن ، فاغراء الذهب يخفق أحيانا ٠٠ ومن ثم فالغنى لا يستطيع أن يحصل على كل شىء !

تشيلترن : اعتقد انك على حق ، وأشعر بأن ثمة فضيحة عامة ترتقبنى٠٠ قط ما عرفت الذعر من قبل ، وها أنذا أعرفه الآن ٠٠ لكأنه يد من جليد تطبق على قلب المرء !٠٠ ولكن ، أليس من حقى أن أستعمل أى سلاح أجده فى صراعى ضد مسز شيفلى ؟٠٠ سأبرق بالشفرة الى سفارتنا فى « فيينا » للتحرى عن أى شىء يشينها !

جورنج : ما أخالها الا كسيدات عصرنا اللائى يجدن فى الفضيحة « مودة » يسعين اليها !

وبيادر سير روبرت الى ارسال البرقية ٠٠ ولا تلبث أن تقبل ليدى تشيلترن ٠٠ فينسحب زوجها ، بينما تتحدث هى الى لورد جورنج عن مسز شيفلى وعن اصرارها فى الليلة الماضية على أن يسحب زوجها وعده لتلك المراة !٠٠ وتضيف : « ان وفاءه بهذا الوعد كان خليقا بأن يكون اول وصمة فى حياة خلت دائما من كل شائبة ٠٠ يجب أن يبقى روبرت فوق كل ما يشين ! »

وفى لباقة وحذر ، يشرع لورد جورنج فى الحديث عن النجاح وكيف يضطر بعض الناس الى أن يخوضوا الوحل فى سبيل الوصول اليه ٠٠ وعن النفس البشرية وكيف انها لا تخلو قط من ناحية من نواحى الضعف ٠٠ وعن الانسان وكيف انه لا ينجو دائما من الخطأ والحماقة ٠٠ !

ثم تقبل عليهما « ميبل تشيلترن » ، وقد بدت آية فى الاناقة والبهاء ٠٠ وبعد حديث عابر ، ينصرف اللورد جورنج ٠٠ وتفد ليدى ماركبى مستصحبة مسز شيفلى ، ويتضح أنهما أقبلتا تسألان عن « بروش » ظنت مسز شيفلى أنها نقدته فى الدار فى الليلة السالفة ٠٠ فتستدعى ليدى تشيلترن كبير الخدم ، ولكنه يؤكد بأنه لم يعثر على حلية كهذه فى أية قاعة بالدار ٠٠

وبعد حديث تافه مما يدور بين النساء فى كل مجتمع ، تستأذن ليدى ماركبى فى الانصراف ، تاركة مسز شيفلى ٠٠ فما أن تخلو اليها ليدى تشيلترن حتى تجمع أمرها ، وتستجمع شجاعتها وتقول لها : « أعتقد أن لى أن أخبرك بصراحة تامة بأننى لو كنت عرفت تماما حقيقتـــك لما دعوتك الى دارى ليلة أمس ! »

وتبتسم مسز شيفلى فى رباطة جاش وتجيبها : « لم يتغير فيك شىء بعد كل هذه السنين ٠٠ كأنما لم تعلمك الحياة شيئا ! »

ليدى تشيلترن : بل علمتنى أن الشخص الذى يرتكب اثما أو عملا غير مشرف مرة ، قد لا يتورع عن ارتكابه مرة ثانية !

مسز شيفلى : أو تطبقين هذا على كل انسان ؟ .. اذن ، فكم آسف من أجلك ياجرترود .. أتعرفين اننى لا أحفل البتة بما تقولينه فى الاخلاق ، فليست الاخلاق سوى المسلك الذى نتخذه ازاء الناس الذين نكرههم .. وانى لأدرك تماما أنك تكرهينني .. ومع ذلك فقد جئت لأؤدى لك خدمة ..

ليدى تشيلترن : كتلك التى أردت أن تؤديها لزوجى ليلة أمس ؟ .. لقد أنقذته منها والحمد لله ..

مسز شيفلى : اذن فاحمليه على أن يفى بوعده .. وسأمهلكما حتى صباح الغد .. لا أكثر .. اننى أقبض على زوجك فى يدى ، فاذا كنت عاقلة ، فدعيه يفعل ما أنبئه به !

فتسير اليها ليدى تشيلترن قائلة : « وما شأن زوجى بامرأة مثلك ؟ »

مسز شيفلى (فى ضحكة لاذعة) : ان الطيور على أشكالها تقع .. ولولا ان زوجك محتال وضيع ما انسجم معى .. ان بينك وبينه ثغرات سحيقة .. أما هو وانا فأكثر تقاربا من أى صديقين حميمين .. اننا عدوان ارتبط كل منهما بالآخر .. ربطتنا خطيئة واحدة !

ليدى تشيلترن : اخرجى من بيتى ، فانت غير أهل لان تلجيه !

ويقبل سير روبرت اذ ذاك من خلفهما ، فيجمد فى مكانه ويغيض لونه ، بينما تقول مسز شيفلى : « **بيتك !.. بيت ابتيع بثمن العار .. بيت دفع ثمن كل شىء فيه بالغش ..** (وتلمح سير روبرت فتمضى قائلة) : **سليه عن أصل ثروته .. دعيه يخبرك كيف باع سرا من أسرار الوزارة الى سمسار فى البورصة !.. انظرى اليه .. هل ترينه يستطيع انكارا ؟** »

تشيلترن : اخرجى حالا .. لقد ارتكبت أسوأ أفعالك ..

مسز شيفلى : لم أفرغ من كليكما بعد .. سأمهلكما الى ظهر الغد !

واذ تنصرف ، تقف ليدى تشيلترن مذهولة ، وكأنها فى حلم رهيب .. وتتطلع الى زوجها بنظرات غريبة ، كما لو كانت تراه للمرة الاولى ، ثم تسأله فيما قالته تلك المرأة ، فيقول : « انك لا تدركين كيف أغويت .. دعينى أروى لك كل شىء »

ويقترب منها فتصيح : « **لا تقربنى .. اننى أشعر كانك لطختنى الى الأبد ! .. اى قناع كنت ترتديه كل هذه السنين !.. بعت نفسك بالمال .. أواه !.. ان اللص العادى افضل من ذلك .. كذبت على الدنيا كلها ، ومع ذلك تزعم انك لن تكذب على ؟.. لا تتكلم !.. ان صوتك يوقظ ذكريات قاسية .. ذكريات كانت حبيبة فاصبحت فظيعة .. لقد كنت اعبدك .. كنت ارى فيك مخلوقا فوق مستوى الدنيا .. طاهرا ، نبيلا ، امينا .. بلا شائبة .. ما اقسى ان**

أفكر فى اننى جعلت من رجل مثلك .. مثلى الأعلى .. المثل الاعلى فى الحياة كلها ! »

تشيلترن : وهنا كانت غلطتك .. الخطأ الذى ترتكبه كل النساء .. لم لا تحبنا النساء كما نحن ، بأخطائنا ؟.. اننا معشر الرجال حين نحب النساء ، نحبهن ونحن نعلم بنواحى ضعفهن ، وبحماقاتهن ونزواتهن ، وبنقائصهن ، فلا يزيدنا هذا الا حبا لهن .. ان المخلوق الناقص - لا الكامل - هو الذى يحتاج الى الحب !.. انما ننشد الحب حين نكون جرحى - بأيدينا او بأيدى سوانا - ليشفى جراحنا .. والا فاى نفع للحب ؟.. ان الحب يجب أن يغفر كل الذنوب ، اللهم الا الذنب الذى يوجه اليه بالذات !.. هـذا هو حب الرجل .. أقرب الى الطبيعة الانسانية من حب المرأة ، فالنسـاء يخلن أنهن يجعلن من الرجال مثلا عليا ، ولكنهن فى الواقع لا يجعلن منهم سوى اصنام زائفة !.. وقد جعلت منى صنمك الزائف ، فلم اجد الجراة كى أهبط الى مستوى البشر ، واطلعك على جراحى ، واخبرك بنواحى ضعفى .. أنت التى منعتنى .. فلتكف النساء عن اتخاذ مثل عليا من الرجال ، والا دمرن حياتهم كما دمرت أنت - أنت التى شغفت بها حبا - حياتى ! »

ويغادر الحجرة .. وتندفع زوجته نحوه ، ولكن الباب يغلق قبل أن تبلغه .. فتلقى بنفسها الى جوار أريكة ، وتنخرط فى البكاء كالطفل ..

الفصـل الثـالث

◆ فاذا كان الفصل الثالث ، فقـد جلس لورد جورنج فى غرفة مكتبه بداره ، متأهبا للانطلاق الى سهرته .. واذا هو يتلقى رسالة عرف من خطها أنها من ليدى تشيلترن ، وقد كتبت فيها : « انا فى حاجة اليـك .. واعتمد عليك .. وسآتى اليك » .. وأدرك انها قد عرفت كل شىء عن زوجهـا .. فعول على اقناعها بأن تقف الى جوار زوجها ، لأن الافراط فى تقدير الخلق هو الذى يقضى على الزيجات بالفشل !

ولكن أباه يفد على غير توقع ، ويصر على أن يتحدث اليه فى أن الوقت قد حان لكى يتزوج ويكف عن حياة العزوبة والانطلاق !.. ويضرب له بسير روبرت تشيلترن مثلا يجب أن يحتذى .. ويصمم على أن ينتزع منه موافقة على الزواج !

ويظل اللورد الشاب يتلطف الى ابيه حتى ينتقل به الى غرفة التدخين ، خشية أن تفد ليدى تشيلترن فجأة فيراها .. ويصـدر امره مشددا الى

الخادم بأن يقود السيدة عند وصولها الى حجرة الجلوس ولا يسمح لأى مخلوق آخر بالدخول أو بمقابلته ..

وفجاة تصل مسز شيفلى على غير انتظار ، فتعجب اذ يقول لها الخادم ان اللورد كان فى ارتقابها - فلقد اخطأ الخادم لان اللورد لم يذكر له اسم التى كان يرتقبها ! - ولا تلبث مسز شيفلى أن تعثر على رسالة ليدى تشيلترن على المكتب ، فتلمع عيناها بالفوز ! واذ تهم بسرقتها يدخل الخادم ، فتدس الرسالة تحت نشافة فضية على المكتب .. ويدعوها الخادم الى حجرة الجلوس فتتبعه .. ولكنه لا يكاد يغادرها ، حتى تتسلل نحو المكتب ، واذا بها تسمع صوتى لورد جورنج وابيه ، ينبعثان من وراء باب قاعة التدخين ، وهما يتجادلان فى أمر الزواج !

ولا يكاد اللورد جورنج يفرغ من أبيه ويودعه ، حتى يفاجأ بمقدم سير روبرت تشيلترن ، فيرتبك .. وبينما يبادره سير روبرت بأنه قد جاءه فى محنة ، اذ اكتشفت زوجته كل شىء عن سره .. وينبئه بأن الرد الذى تلقاه من « فيينا » لم يتضمن شيئا ضد مسز شيفلى ، أكثر من أن البارون ارنهايم قد ترك لها الشطر الاكبر من ثروته ..

ويظن لورد جورنج أن ليدى تشيلترن هى التى فى غرفة الجلوس ، فيقود سير روبرت الى قاعة التدخين وقد اعتزم أن يدير دفة الحديث بحيث تجد فيه زوجته ، اذ تسمعه ، الدرس الذى أراد أن يلقيه عليها !.. وعلى هذا الاعتبار يسأله : « ألست تحب زوجتك يا روبرت ؟ »

تشيلترن : أحبها أكثر من أى شىء فى العالم .. كنت أظن أن الطموح أعظم من كل شىء فى الدنيا ، ولكنى وجدت أن الحب أعظم الاشياء !.. بيد اننى هويت فى نظرها ، وأصبحت بيننا هوة واسعة .. وهى امرأة فاضلة ، ولذلك فلا هوادة لها فى الكمال .. انها لا ترحم ضعفا ولا تغفر خطيئة !

ويحاول لورد جورنج أن يصرفه ، ولكنه يقول له : « يجب أن أقرر ماينبغى أن أفعله الليلة فى مجلس العموم .. ان مناقشة مشروع قناة الارجنتين ستبدأ فى الساعة الحادية عشرة ! »

وفجاة ، يهوى مقعد فى الغرفة المجاورة ، فيحاول اللورد جورنج ان يقنع سير روبرت بأن لا احد هناك ، ولكن الرجل يخشى ان يكون ثمة من استرق السمع وعرف سره .. فيندفع الى الغرفة المجاورة ، ثم يعود وفى عينيه نظرة ناقمة !.. ويهتف لورد جورنج وهو يظن ان الزائرة هى ليدى تشيلترن : « اقسم لك بشرفى انها لا تحمل شائبة ولا وزرا .. انها ما جاءت الى هنا الا من أجلك .. لتحاول انقاذك .. انها تحبك انت .. ولا احد سواك ! »

ويغادر سير روبرت الدار ناقما وهو يصيح : « لقد كذبت بما يكفى لتشويه كلمة الشرف ! »

ويفاجأ لورد جورنج بمسز شيفلى تنفذ الى الغرفة ، معترفة بأنها شغوف باستراق السمع خلال الابواب .. ثم تباغته بأنها جاءت تبيعه خطاب روبرت تشيلترن مقابل شرط واحد !.. وندرك هذا الشرط حين تروح تذكره بحبهما القديم ، وبالخطوبة التى كانت بينهما والتى فسخها اذ فاجأها فى « غزل عنيف » مع رجل آخر !

جورنج : يخيل الى أن محامى قد سوى هذه المسألة تحت شروط .. أمليتها بنفسك !

مسز شيفلى : كنت اذ ذاك فقيرة .. وكنت غنيا .. لكنى اليوم سئمت الحياة فى الخارج ، وأريد أن أعود الى لندن .. وعندما رأيتك أمس لدى آل تشيلترن أيقنت أنك الشخص الوحيد الذى حفلت به ، ان كنت حفلت بأحد .. ففى الصباح الذى يعقد فيه قرانك على ، أسلمك خطاب روبرت تشيلترن .. بل اننى أعطيكه فى الغد ان وعدت بأن تتزوجنى !

واذ تشتم أنه رافض ، تقول : **« اذن فانت تؤثر أن تسلم صديقك الحميم روبرت تشيلترن ، على أن تتزوج من امرأة ما زالت تحتفظ بكثير من الجاذبية ؟ .. اننى على استعداد لان أنزل عن أروع ما فى حياتى لأكون زوجة لك ! .. ولكنك ترفض .. حسنا .. اذا لم يؤيد السير روبرت مشروع الارجنتين فسوف أفضحه ! »**

واذ ذاك يريها « البروش » الذى وجد على الاريكة التى كانت تجلس عليها فى دار تشيلترن فى الليلة السالفة ، ويحيط به معصمها .. ثم يرميها بأنها سرقت هذه الحلية منذ عشر سنوات من ابنة عمه ، وكان قد أهداها اياها عند زواجها !.. فتجيبه : « لا تستطيع أن تتهمنى .. لسوف أنكر كل شىء .. سأقول اننى لم أر هذا الشىء المنحوس قط ! »

وتحاول ان تنزع الحلية من حول معصمها ، ولكنها كانت قد اعتادت ان تستعملها كبروش ، ولم تكن تدرك انها تصلح كسوار ، ومن ثم لم تكن تعرف تثبيتها ونزعها ! .. واذ تخفق فى التخلص منها ، تسأله عما ينتوى ان يفعل .. فيقول لها فى هدوء : « سأطلب الى خادمى ان يدعو البوليس ! »

وينهار جلدها اذ تسمع ذكر البوليس ، فتسأله عن الثمن الذى يبغيه لتجنيبها الفضيحة .. فيقول : « اعطينى خطاب روبرت تشيلترن .. لا تكذبى فهو معك ! »

وتسلمه الخطاب وقد شحب وجهها ، فيروح يفحصه بدقة ، ثم يحرقه .. واذ ذاك تسأله ان يناولها كوب ماء .. وفيما هو موليها ظهره ، تسرق رسالة ليدى تشيلترن .. واذ تتاهب للانصراف ، تقول له : « سأسدى لروبرت تشيلترن خدمة كبيرة .. سأرسل له الخطاب الغرامى الذى ارسلته لك زوجته الليلة ! »

ويدرك ما تعنى .. فيهرع نحوها لينتزع الخطاب منها بالقوة ، لكنها تكون قد ضغطت على زر الجرس فيحضر الخادم على الأثر .. واذ ذاك تلتفت اليه قائلة فى هدوء : « لقد استدعاك سيدك كى تصحبنى الى الباب .. طاب مساؤك يالورد جورنج ! »

الفصل الرابع

◆ **فاذا** كان الفصل التالى ، رأينا لورد جورنج واقفا الى جوار المدفأة فى قاعة الجلوس بدار تشيلترن ، وقد بدا عليه التأفف والسأم .. واذا هو يفاجأ بوالده يلج القاعة وهو يقول : « ماذا تفعل هنا ؟ .. اظنك تضيع وقتك كالمعتاد ؟ »

جورنج : ان المرء حين يزور انسانا يابت العزيز ، فانما يسعى الى اضاعة وقت ذلك الانسان لا وقته هو !

ويعود اللورد كافرشام الى اثارة موضوع زواج ابنه ، ويمهله حتى موعد العشاء ليقطع بأمر .. ثم يسأله : « **هل قرات « التايمز » هذا الصباح ؟ .. هل رأيت افتتاحيتها عن الحياة السياسية لروبرت تشيلترن ؟ » ..** (ويجزع الابن ، ولكن الأب يمضى قائلا :) **لقد كان خطابه عن مشروع قناة الارجنتين ليلة أمس من اروع ما ألقى فى مجلس العموم من خطب .. لقد فضح المشروع ، وكشف كل الفساد السياسى الجديث ! »**

ويعيب لورد كافرشام على ابنه اخلاده لحياة الدعة والترف والخمول .. ولا تلبث ان تفد عليهما « ميبل تشيلترن » فتتعمد تجاهل لورد جورنج فى دلال .. وسرعان ما ينصرف اللورد المسن ، فتتبين أن « ميبل » غاضبة من الشاب لأنه لم يوافها فى موعد كانا قد إتفقا عليه ليتريضا على جواديهما .. ولكن لورد جورنج يفاجئها بأن يسألها ان ترضى به زوجا .. فتبتهج وتقول : « الآن ، يجب ان أرى جرترود »

جورنج : اذن ، اخبريها بأننى اريد ان اتحدث اليها فى امر ذى بال .. وقد مكثت هنا طيلة ضحى اليوم على امل أن القاها أو القى روبرت ..

وتفد ليدى تشيلترن ، فتلاحظ « ميبل » انها شديدة الشحوب .. ولا يلبث لورد جورنج ان يخلو الى زوجة صديقه فيطمئنها الى انه أحرق الخطاب الذى كان يدمغ زوجها بالعار ، وانه لم يعد ثمة من هو مهدد بخطر سواها ، اذ سرقت مسز شيفلى رسالتها اليه وأعدت خطة لاستغلالها !.. ويقترح ان يسبقاها الى روبرت فيطلعاه على جلية الامر .. فتقول له : « أتريدنى على ان انبىء روبرت بأننى المرأة التى كنت تتوقع زيارتها لك وليست مسز شيفلى .. وانى التى كنت تظنها مختبئة فى الغرفة الأخرى فى الساعة العاشرة والنصف مساء ؟ .. لا .. لا استطيع ! .. وانما يجب ان نحول دون وصول خطاب مسز شيفلى اليه .. ولكن سكرتيريه يفضون رسائله ، ولست أجرؤ على ان اسأل الخدم ان يحضروا لى خطاباته .. أواه ! .. لم لا ترشدنى الى ما افعل ؟ »

وفيما هما يتجادلان ، يصل سير روبرت ، وفى يده رسالة زوجته ، يقرأها وهو يتقدم نحوها غير منتبه الى وجود لورد جورنج ، قائلا : « أنا فى حاجة اليك .. واعتمد عليك .. وسآتى اليك » .. أواه ، ياحبيبتى .. احق هذا ؟ .. احقا تعتمدين على وتحتاجين الى ؟ .. ان خطابك هذا يا جرترود يجعلنى اشعر بأن ليس فى الدنيا ما يستطيع ان يمسنى بضر الآن ! »

ويشير اليها لورد جورنج كى تجاريه .. بينما ينسحب من الغرفة .. **ويحتويها سير روبرت بين ذراعيه قائلا : « لقد فض سكرتيرى الخطاب دون ان يفطن الى خط يدك على الغلاف ، ثم دفعه لى فقرأته .. اواه ! .. لم اعد أحفل بعار أو عقاب .. بل لم اعد افكر الا فى انك تحبيننى ! .. لكم يسرنى اننى القيت ذلك الخطاب فى مجلس العموم ليلة امس .. القيته وأنا أتوقع ان تكون نتيجته فضيحة عامة .. ولكن هذا لم يحدث »**

ليدى تشيلترن : بل جاءت نتيجته تكريما عاما !

تشيلترن : وهذا ما اخشاه .. فمع اننى فى مأمن الآن من اى قرينة تكشف زلتى ، الا اننى اعتقد ياجرترود ان من واجبى ان اعتزل الحياة العامة ..

وتنبهه الى وجود لورد جورنج ، فيسير الى حيث كان لورد جورنج ، قائلا انه لا يدرى كيف يشكره ، فيهم اللورد بأن يذكر له ان خير ما يقدمه من شكر ان يوافق على زواجه من اخته « ميبل » .. ولكن مقدم اللورد كافرشام يقطع عليهما الحديث .. **ويفاجىء اللورد المسن رب الدار بأن رئيس الوزراء قرر ان يعينه وزيرا ، وانه قد حمل اليه خطاب التعيين بنفسه ! .. ويقرأ سير روبرت الخطاب ، ويهم بأن يقبل ، لولا ان يلمح زوجته توجه اليه نظرة ذات معنى ، فيقول : « لا استطيع ان اقبل المنصب .. لقد جمعت امرى على ان ارفضه .. اننى اعتزم اعتزال الحياة العامة فورا .. »**

وتستبد الدهشة باللورد كافرشام حتى تحمله على الغضب ، فينحى باللائمة على سير روبرت ، ويلجأ الى ليدى تشيلترن يستعين بها على اقناع زوجها ، لكنها تجيبه وهى ممسكة بيد زوجها : « اننى اوافقه على مسلكه .. بل أعجب به ! قط ما اعجبت به قدر ما انا معجبة الآن » .. وتجذب زوجها الى غرفة المكتب ليكتب الاعتذار .. فيسائل اللورد كافرشام ابنه عما أصاب الزوجين ، فيقول : « انه ما نسميه اليوم اسرافا فى الجرى وراء المثل العليا الخلقية ! »

ويسأل الابن اباه ان يلحق بميبل فى الحديقة فيحدثها عنه .. ولا تلبث ان تفد ليدى تشيلترن ، فيقول لها اللورد جورنج : « لماذا تنفذين مآرب مسز شيفلى .. لقد حاولت أن تهدم زوجك ، اما بالعمل على أن يطرد من الحياة العامة ، أو بحمله على اتخاذ موقف غير مشرف .. ولقد أنقذته من النكبة الاخيرة ، ولكنك تدفعينه الان الى اعتزال الحياة العامة ! »

وتحاول ان تبرر مسلكها ، ولكنه لا يلبث ان يكشف عن الفلسفة القابعة وراء مظهره الانيق العابث : « **لقد كتبت لى انك تعتمدين على وتريدين معونتى.. وهذا هو الوقت الذى تمس فيه المعونة ، ويلزم فيه ان تعتمدى على ، وان تثقى فى مشورتى وحكمى .. انك تحبين روبرت ، فهل تريدين أن تقتلى حبه لك ؟.. اى وجود ينعم به اذا هو حرم ثمار طموحه ؟.. ان النساء لم يخلقن ليحكمن علينا ، وانما ليغفرن لنا اذا ما احتجنا نحن الى غفران .. ان رسالتهن هى العفو لا العقاب .. ان روبرت على استعداد لان يفعل اى شىء ، لان يهدم حياته ، كى لا يفقد حبك ! .. انه يضحى من**

اجلك ، فاستجيبى لنصحى وارفضى التضحية ٠٠ اننا لم نخلق - معشر الرجال والنساء - ليتقبل كل منا تضحيات الفريق الآخر ! .. ثم ان روبرت تلقى من العقاب ما فيه الكفاية .. »

ويلج سير روبرت اذ ذاك ليطلع زوجته على ما كتب ، ولكنها تمزق الخطاب قائلة : « ان حياة الرجل اثمن من حياة المرأة ٠٠ ان له مهاما اعظم ، ومجالا اوسع ، وآمالا اسمى ٠٠ لن افسد عليك حياتك ، ولن اراك تفسدها كتضحية من اجلى ٠٠ انس كل شيء ٠٠ فما اسهل ما ينسى الرجال ٠٠ ولسوف أغفر لك ، فهذا هو أسلوب النساء فى بذل العون للمجتمع ٠٠ »

ويدرك الدور الذى لعبه لورد جورنج ، فيقبل عليه يشكره ٠٠ ولكن هذا يجيبه : « انك الوصى على اختك يا روبرت ، وانا انشد موافقتك على زواجى منها ! »

وتغتبط ليدى تشيلترن ، بينما يقول روبرت : **« آسف يا ارثر ، فالأمر ليس موضع تردد .. انبى مكلف بأن ارعى سعادة اختى ، ولا اظن ان سعادتها ستكون بمأمن بين يديك .. ان الزواج الذى لا يقوم على حب ، فظيع ٠٠ وافظع منه الزواج الذى يقوم على حب ، من احد الجانبين فقط ٠٠ وعلى اخلاص وثقة من احد الجانبين فقط ! .. ان احد القلبين لن يلبث ان يتحطم بكل تأكيد .. انك لا تستطيع ان توفر لميبل الحب الذى تستحقه ! »**

ويذكره - امام ليدى تشيلترن - بالمفاجأة والظروف التى وجد مسز شيفلى فيها عنده ليلة امس ! - وقد حسبها عشيقته - فلا تتمالك ليدى تشيلترن أن تصارح زوجها بأنها الضيفة التى كان لورد جورنج يتوقعها ، وبأنها كانت تريد ان تراه لتسأله ان يساعدها على علاج الموقف ٠٠ ولكن مسز شيفلى زارته فجأة ، وسرقت خطابها اليه !

وينجلى الموقف .. ويوافق روبرت على زواج اخته من لورد جورنج ٠٠ ويدخل الخادم معلنا العشاء ، فيخرج الجميع ٠٠ **لكن سير روبرت يبقى ثم يتهالك فى احد المقاعد مستغرقا فى التفكير ٠٠ ولا تلبث ان تعود ليدى تشيلترن لترى ما عاقه ، فيتناول يدها ويسألها : « أهو حب ذاك الذى تحسين به نحوى ياجرترود ، ام مجرد عطف ؟ »**

فتجيبه وهى تقبله فى هيام : « بل هو حب يا روبرت ٠٠ حب ، ولا شىء غير الحب .. ان حياة جديدة تنفتح امام كلينا »

٠٠ ويسدل الستار الاخير

الحياة قصة

روائع القصص العالمي

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية قصص :

- اموك : لستيفان زفايج
- مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى
- قلب عذراء : جون جالزورثى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام : فيكتور هوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- ايام بومباى الاخيرة : ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- عندما تحقد المراة : اونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين : سنكلير لويس
- الشيطان على الارض : رسل
- رسالة من مجهولة : زفايج
- تاييس : اناتول فرانس
- بلاد العميان : ه.ج. ويلز
- نادى الانتحار : ستيفنسون
- كوخ العم توم : ستو
- البوهيمية : هنرى موجيه
- فتاة لها ماض : بورجيه
- شيرى : كوليت
- الجريمة والعقاب : دستويفسكى
- لحن كرويتزر : تولستوى
- اميرة مصر : جورج ايبرز
- الامطار : سومرست موم
- افروديت : بييرلويس

واليوم اقدم لك هذه القصة العصرية للأديبة الفرنسية ((كوليت))

جيجي

قصة كبرى للروائية الفرنسية "كوليت"

المراهقة التى قاومت الدنس .. وانتصرت !

◆ ارادت أمها وجدتها وخالتها ان تدفعن بها فى نفس التيار الذىجرت فيه حياتهن .. فتعيش عمرها لاهى بالعذراء ، ولا بالزوجة ! .. ورحن يدربنها على فنونهن .. لكن فنها الساذج ، البرىء ، غلب كل فنونهن ، رغم كل مغريات البيئة .. والمال .. والترف .. والشهرة .. والمتع على اختلافها ! .. وبدلا من ان ينالها الرجل الذى ارادها ، كعشيقة ، اثرت روحها الصافية فى روحه فبدلته وغيرت مجرى حياته .. وحياتها هى !

تلك هى القصة المشهورة التى اقتبست منها مسرحية ((جيجى)) التى قدمتها فرقة الكوميدى الفرنسية على مسرح دار الاوبرا منذ اسبوعين بنجاح كبير .. وقد رايت لهذه المناسبة ان اقدم اليك فيما يلى قصة ((جيجى)) كما اصدرتها مؤلفتها الأديبة الفرنسية ((كوليت)) فى سنة ١٩٤٢ فى صورة كتاب ، قبل ان تقتبس للمسرح :

— ١ —

– لا تنسى انك ذاهبة الى خالتك ((اليسيا)) يا جيلبيرت .. تعالى هنا لاكوى لك شعرك .. هل تسمعينني ؟

–أو لا أستطيع الذهاب الى هناك دون كى شعرى ياجدتى ؟

وتناولت « مدام ألفاريز » مكواتين مما يستخدم فى كى الشعر وأخذت تحميهما على اللهب الازرق المنبعث من مصباح كحولى .. وعادت الفتاة تقول :

– الا تتركين شعرى مسدلا فى تموجات على جانب راسى ياجدتى .. لمجرد تغيير المنظر ؟

– لا سبيل الى ذلك ، فالشعر المجعد فى حلقات هو أجمل ما يلائم فتاة فى سنك !

وطوت اليافعة ابنة الخمسة عشر ربيعا ساقيها الطويلتين تحتها ، فتكشفت أطراف قميصها عن جوربين من القطن لا يكادان يتجاوزان الركبتين ، اللتين لم تفطن صاحبتهما الى جمال استدارتهما .. بينما لم تكن جدتها « مدام ألفاريز » تلقى نظرها على الساقين الملفوفتين ، والركبتين البديعتين ، الا وتتحسر على أن حفيدتها لم تدرس الرقص وتحترفه ! .. ولكنها الآن لم تكن تفكر الا فى شعر حفيدتها الأشقر الخفيف ، الذى راحت

أصابعها الناعمة تعمل فيه بمهارة وصبر .. بينما جلست الفتاة ساكنة ، وقد أثقلت حواسها رائحة المكواتين الساخنتين ، والورق الرقيق المحترق .. كانت تدرك أن المقاومة لا تجدى ، وكانت لا تكاد تحاول قط أن تتمرد على السلطة التى تفرضها الاسرة عليها !

وقالت أخيرا : « هل ستغنى ماما أغنية فراسكيتا اليوم ؟ »

- أجل ، وستغنى فى السهرة أغنية « لو كنت ملكا » ! .. لقد طالما قلت لك أن تبقى ركبتيك متضامتين ، وتميليهما معا فى اتجاه واحد اذا ما جلست على مقعد منخفض ، من أجل تناسق المنظر ..

- أعرف ذلك ، فكثيرا ما قالته لى خالتى « أليسيا »

- ما احتجت يوما الى معونة أختى فى ارشادك الى مبادىء السلوك !

جيجى .. كما مثلتها «انى فيليير» فى دار الاوبرا اخيرا

- ألا تدعيننى أمكث اليوم معك يا جدتى ، على أن أذهب لزيارة الخالة « أليسيا » يوم الاحد المقبل ؟

فأجابت الجدة فى أنفة : « **وماذا أيضا ؟ .. هل لديك اقتراح آخر ؟** »

- أجل .. لتكن ثيابى اطول قليلا مما هى الآن ، حتى لا اضطر الى أن أنحنى فى جلستى .. ان ثيابى قصيرة حتى اننى أظل أخشى أن تكشف عن ..

- اخرسى ! .. الا تخجلين ؟

وكانت عينا الفتاة الجميلتان تومضان من تحت شعرها بوميض أزرق، داكن، حبيب .. بينما استطردت الجدة :

- لو طالت ثيابك لكان من الحرج لأمك ان تظهر معك .. ففى حرفتها ينبغى دائما أن لا تبدو أما لفتاة كبيرة ..

- وما الداعى لذلك اذا كنت لا أخرج قط مع أمى ؟

وما ان استوت جيلبيرت على قدميها ، حتى بدت فى طول جدتها التى اختارت اسم « مدام ألفاريز » وفاء لعشيق « اسبانى » توفى ! .. والتى ما زالت تحتفظ بصفاء بشرتها ، وامتلاء صدرها ، وجمال شعرها الذى

تعالجه حتى الآن (بالبريانتين) .. ولقد حذت أسرتها حذوها : فاذا ابنتها غير المتزوجة « أندريه » تقنع بعد أن هجرها والد «جيلبيرت» بالعمل كمغنية من الدرجة الثانية فى مسرح خاضع للاشراف الحكومى ، وتؤثر هذه الحياة على ما كان خليقا بحياة الغوانى أن تدره عليها من ثراء وترف .. كما كانت الخالة « أليسيا » – التى يبدو أن أحدا من عشاقها لم يعرض عليها الزواج – تعيش وحيدة على دخل كانت تزعم أنه متواضع .. وكانت الاسرة تعتز بآراء « أليسيا » ، وتعجب بحليها ومجوهراتها .

وأخذت « مدام ألفاريز » تصعد بصرها فى حفيدتها ، ثم قالت : **« ألا تعرفين كيف تضمين ساقيك معا ؟ .. ان نهر «السين» ليملك أن يجرى بينهما وأنت تقفين هكذا ! .. ثم انك لا بطن لك ، ومع ذلك فانت تصرين على أن تبرزى بطنك بطريقة وقوفك .. وارجو أن لا تنسى قفازيك..»**

كان كل شىء فى مظهر «جيلبيرت» يخضع لتهاون الطفولة البريئة ، فكانت تبدو أحيانا كالولد ، وأحيانا أخرى كالملاك .. ولكنها نادرا ما كانت تبدو كفتاة يافعة .. وكانت مدام ألفاريز لا تفتأ تسائلها : « كيف ترجين أن ترتدى ثيابا طويلة وأنت لم تؤتى بعد ادراك الطفلة التى فى الثامنة ؟» .. فكانت أندريه – الأم – تتنهد قائلة : « ان جيلبيرت لا تسر الخاطر .. »

لكن الفتاة كانت لطيفة ، وقد ارتضت حياة البيت والحرمان من رؤية الناس .. أما قسمات وجهها فلم تكن تنبىء بشىء عما سوف تستقر عليه فى النهاية .. كان فمها واسعا يتكشف عن أسنان جميلة ، قوية ، بيضاء .. وكان ذقنها يتلاشى اذا ضحكت . وبين وجنتين عاليتين يبدو أنف كانت أمها لا تفتأ تقول عنه : « يالله ! .. من أين لها هذا الزر ؟ » .. فكانت مدام « ألفاريز » تهمس لها : « اذا لم تعرفى جواب سؤالك هذا يا ابنتى ، فمن يعرفه ؟ »

✣

◆ ودوى رنين جرس الباب ، فهرعت جيلبيرت – أو « جيجى » كما اعتادت ان تدلل – لتفتح للقادم ، وما لبثت أن صاحت من الدهشة : « انه العم جاستون ! »

وعادت الى الحجرة متعلقة بذراع رجل طويل ، فى مقتبل الشباب ، وهى تثرثر له فى سذاجة الطفولة :

– مما يرثى له يا « تونتون » اننى مضطرة الى أن أتركك ، فان جدتى تصر على أن أزور الخالة «أليسيا» .. فى أية سيارة جئت اليوم ؟ .. أفى السيارة الجديدة ذات السقف المتحرك ؟ .. سمعت انها سهلة القيادة .. ياالهى ! ..ما أجمل هذين القفازين ياتونتون ! .. أحقا تخاصمت مع « ليان» ؟ ..

وصاحت جدتها مؤنبة : « جيلبيرت .. مالك وهذا ؟ »

- ان كل امرىء يعرفها ياجدتى .. لقد نشرت صحيفة ((جيل بلاس)) القصة كلها • وقد أرهقتنى فتيات المدرسة أسئلة عن حقيقة الامر ، لما يعرفنه من معرفتى بتونتون •• على اننى أطمئنك الى أنه لا توجد فى المدرسة فتاة تنحاز الى صف ((ليان)) .. كلهن يجمعن على ان مسلكها مزر يدعو للخجل !))

وأهابت الجدة بحفيدتها أن تستحى ، ولكن ((جاستون لاشيل)) - وارث مصانع السكر - تنهد قائلا : ((دعى الطفلة المسكينة وشأنها ، فهى لا ترمى الى ضرر •• وصحيح حقا ان كل ما بينى وبين ليان قد انتهى !•• أذاهبة أنت الى الخالة ((أليسيا)) ياجيجى ؟•• خذى سيارتى ، وارسليها لى بعد وصولك•»

وندت عن جيلبيرت صرخة فرح ، وأخذت تقفز وتحتضن جاستون فى غبطة ثم انطلقت الى الخارج .. بينما قالت جدتها للشاب : ((انك تفسدها بالتدليل ياجاستون !))

ولكنها لم تكن صادقة فى هذا .. فما كان جاستون ليعرف كيف ((يفسد)) أحدا .. ولا نفسه .. كان ثراؤه واسعا ، حتى غدت مظاهر الترف لديه عادات مألوفة : سيارات ، وقصر منيف فى ((بارك مونسو)) ، ومنحة شهرية لليان ، ومجوهرات لها فى عيد ميلادها ، وشمبانيا و ((بكاراه)) فى ((دوفيل)) فى الصيف ، وفى ((مونت كارلو)) فى الشتاء .. وكان من وقت الى آخر يبعث بمبلغ ضخم للمبرات الخيرية ، أو يمول صحيفة يومية جديدة ، أو يبتاع يختا ليبيعه سريعا الى أحد ملوك أوربا الوسطى .. ولكن شيئا من هذا لم يكن يدخل البهجة على نفسه .. وكانت ضخامة أنفه ، وكبر عينيه السوداوين ، يوحيان للغوانى بأنه صيد سهل ، ولكن غريزته التجارية التى فطر عليها، والحذر الذى يداخل أصحاب الثراء، أكسباه مناعة ضد المحتالات !

وراقب ((جيجى)) خلال النافذة ، حتى اختفت بها السيارة ، ثم هتف : ((ماميتا •• هلا أعددت لى قدحا من البابونج ؟))

ونزلت له عن مقعدها الوثير ، فاستقر فيه بينما أعدت هى ((البابونج)) •• ثم أقبلت تقول : ((ما أبدع القماش الذى صنعت منه بدلتك .. انه عين القماش الذى كان أبوك يعجب به !))

قط لم تكن مدام ((ألفاريز)) تثير ذكرى أحد من كبار آل ((لاشيل)) أكثر من مرة واحدة فى أى حديث ، كى يتسع لها مجال تناول كل منهم بتعليق ؟ •• ولم تكن تنشد من ذكر علاقاتها القديمة بالاسرة أكثر من التقرب الى ((جاستون))، ومتعة مراقبة شاب غنى وهو يستمرىء كرم المتواضعين ، ويبدى الالفة والاستمتاع بزيارتهم .. والواقع أن الاناث الثلاث اللاتى كن يقمن فى تلك الدار ، كن الوحيدات - بين من عرف من اناث - اللاتى لم يسألنه جواهر،

ولا ماسات !.. وكن يعرفن كيف يعالجن فى لباقة وحذر أنباء الفضائح .
وكانت ((جيجى)) تعرف آخر فضائح المجتمع .. ولقد قطعت علاقاتها مختارة باحدى زميلاتها فى المدرسة - وتدعى ((ليديا بوريه)) - بعد أن أرتها الفتاة خاتما ذا ((فص)) ماسى من ((السوليتير)) أهداها اياه البارون ((افرايم)) ! .. وحين أنبأت جدتها بالقصة ، صاحت مدام ألفاريز مذهولة : ((سوليتير.. لفتاة فى الخامسة عشرة ؟.. لابد أن أمها مجنونة .. ان أبسط قواعد الادراك كانت كفيلة بأن توحى للام بأن تودع الخاتم خزانة فى المصرف وتنتظر ..))

- ولماذا لا تودعه صندوق مجوهراتها ؟

- لانها لا تدرى ما قد يجرى ، سيما وان البارون رجل متقلب .. فاذا أفصح عن نواياه نحو الابنة ، سحبتها أمها من المدرسة .. على أننى أرجو أن لا تسيرى مع الفتاة ، الى أن ينجلى الموقف ..

❖

◆ وعادت مدام ((ألفاريز)) تقول : ((مسكين ياجاستون .. صحيح اذن أنك تخاصمت مع ((ليان)) ؟ .. قد يكون هذا خيرا لك من ناحية ، ولكنى متأكدة من أنه ولابد قد ساءك !))

وكان يرشف البابونج وهو ينصت ، وقد أشعره طعم الشراب بشىء من الراحة .. واخذ يجوس ببصره فى المكان : كانت ثمة صورة على المعزف لجيلبيرت وهى فى الشهر الثامن ، ولوحة زيتية لأمها اندريه فى ثياب دورها فى أوبرا ((لو كنت ملكا)) .. وكانت الوداعة الاليفة التى تسود جو المسكن تهدىء أعصاب المليونير الذى يعيش وحيدا ..

وعادت مدام ((ألفاريز)) تقول : ((لا أريد أن أكون متطفلة ، ولكن .. كيف حدث الامر كله ؟ .. لقد قرأت ما نشرته الصحف ، ولكن من يصدقها ؟))

فأصلح جاستون شاربه الانيق ، ومسح بيده على شعره وهو يجيب : ((انها القصة المألوفة : انتظرت حتى حصلت على هدية عيد ميلادها ، ثم هربت !.. والى أين ؟ .. الى جحر حقير فى (نورماندى) .. ما كان أغبانى !.. أى أحمق كان يستطيع أن يكتشف ان الفندق لا يضم أكثر من حجرتين ، شغلت ((ليان)) احداهما ، وشغل الأخرى معلم للرقص على الجليد من ((باليه دوجلاس)) يدعى ((ساندومير)) ؟ .. لقد أعطيتها حبلا من الجواهر .. أجل ، قلادة مؤلفة من سبع وثلاثين جوهرة ، أوسطها فى حجم ابهامى !))

ورفع يده البضة ذات الاصابع المزدانة بالطلاء ، وأشار بابهامه تعزيزا لكلامه .. فقالت مدام ((ألفاريز)) : ((انك تعرف كيف تحسن التصرف ، ولا غبار عليك فى المسألة ياجاستون .. ولو اننى كنت فى موقفك لأوليتها ظهرى ، ولعلقت بسيدة من سيدات المجتمع ..))

ـ هذا دواء مخدر ، موقوت المفعول !

ـ اننى أسلم بأن من الدواء أحيانا ما يكون أسوأ من الداء ..

ومد يده بقدحه فارغة ، فملأتها له من جديد بالبابونج .. واذ ذاك سألها عن الخالة « أليسيا » فقالت :

ـ ان أختى « أليسيا » كالعهد بها دائما ، أريبة محنكة ذات مزاج خاص ، تعرف كيف تعيش فى عزلتها .. وهى تؤثر أن تعيش فى ماض رائع ، عن أن تبقى فى حاضر كئيب !.. ثم انها شديدة الاهتمام بجيجى ، اذ تشعر انها متأخرة الفطنة بالنسبة لعمرها ، فتحاول أن تدربها على حسن التصرف والسلوك .. سيما وهى تعتقد أن الجهل بآداب المائدة قد قضى على كثير من البيوت السعيدة بالخراب ! .. وهذا ما يوافق هوى « جيجى » ، فهى شرهة .. ليت عقلها يعمل بقوة فكيها ! .. والآن قل لى ، ماذا أعددت من خطط رائعة لمعركة الزهور ؟

واذ ذكر انه لن يشترك فى المعركة ، صاحت وهى تعصر راحتيها : « لا ياجاستون ، ما ينبغى ان تفعل ذلك .. انك لن تدع لواء الظفر لاشخاص مثل « فاليرى شنياجوين » ، سيما وانها تستعمل فى المعركة زهورا رخيصة ! »

وهتف الشاب فجأة : « يا الهى .. لقد أتيت على حلوى العرقسوس ! .. سوف تغضب جيجى »

واقتحمت جيجى الحجرة اذ ذاك ، فقالت جدتها :

ـ هل عدت بهذه السرعة ؟ .. ما معنى هذا ؟

ـ معناها ان الخالة « اليسيا » ليست على ما يرام ، وانني ذهبت وعدت فى سيارة « تونتون » .. امتع نزهة فى حياتى !

وانفرجت شفتاها عن ابتسامة حلوة .. ثم طوحت بقبعتها الى اقصى الحجرة ، وتركت شعرها يتهدل على جبينها وخديها ، وقفزت الى مقعد عال .. ثم جلست القرفصاء مسندة ذقنها الى ركبتيها ، وقالت تخاطب الشاب :

ـ كأنى بك يا « تونتون » تختنق مللا .. ما رأيك فى مباراة بالورق .. اليوم الاحد ، وماما لا تعود بين حفلتى النهار .. ولكن ، من أتى على حلوى العرقسوس ؟.. كيف طاوعك قلبك ياتونتون ؟.. ان أقل ما تفعله هو أن تحضر لى كمية أخرى !

وصاحت جدتها : « جيلبيرت .. انتبهى لتصرفاتك ! .. ابسطى ركبتيك ! هل اطردها من الحجرة ياجاستون ؟ »

ولكن الشاب كان فى حاجة الى من يسرى عنه ، فقبل أن يلعب الورق مع الفتاة ، قائلا : ((سألاعبك على عشرين رطلا من السكر !))

- ان سكرك لا يغرينى ، وأوثر عليه الحلوى ..

- واذا غلبتنى ياجيجى ، فماذا تريدين ؟ .. زوجا من الجـوارب الحريرية ؟

- انها تؤذى ساقى .. بل اريد ((كورسيه)) ذا اطراف موشاة ..لا ، بل اوثر عليه حقيبة عليها رسوم موسيقية ، اضع فيها كتبى كما تفعل صديقاتى .. ليوهمن الناس بانهن طالبات فى ((الكونسرفاتوار)) !

وصاحت مدام ألفاريز : ((جيلبيرت !))

فقال الشاب : ((فلتكن لك الحقيبة .. والعرقسوس))

واستغرق وريث ((مصانع لاشيل للسكر)) فى اللعب .. وانهمكت الفتاة .. وسادهما صمت لم يكن يعكره سوى عبارات ساخطة هامسة ، تصدر من المغلوب الى الغالب .. وفطن جاستون أخيرا الى ان الظلام يرخى سدوله ، فهتف صائحا بانه على موعد للعشاء مع بعض معارفه ، وبينهم ((فيدو)) !

وتساءلت الفتاة : ((من يكون ((فيدو)) هذا ؟))

فهتف : ((يا للعُجب ! .. انها لا تعرف فيدو الممثل الشهير .. ألا تذهبين الى المسرح ؟))

- لا ، فان جدتى والخالة ((أليسيا)) تقولان ان الذهاب الى المسرح يصرف المرء عن التفكير فى النواحى الهامة من الحياة .. لا تقل لجدتى اننى قلت هـذا .. وأكثر من هذا ان جدتى لا تفتأ تقول : ((لا تقرئى الروايات ، فانها لا تبعث فى النفس سوى الهم .. ولا تضعى ((البودرة)) على وجهك ، فانها تفسد البشرة .. ولا تتسكعى وتتأملى نوافذ المتاجر اذا كنت تسيرين وحيدة .. ولا تتعرفى على اسرات زميلاتك فى المدرسـة ، وخاصة الآباء الذين ينتظرون بناتهم عنـد انصرافهن .. وفوق هذا تنحو الخالة ((اليسيا)) منحى آخر ، اذ تقول اننى قد بلغت السن التى يجب ان البس فيها ((كورسيه)) ، واننى يجب ان اتلقى دروسا فى الرقص والسير والحركة .. اف ، ان رأسى يضيق بكل هذا !))

واذ انصرف جاستون ، تحولت مدام الفاريز الى حفيدتها قائلة : ((هل لك الآن ان تخبرينى عن سر عودتك المبكرة من عند خالتك اليسيا ؟))

- ليس فى الامر سر ياجدتى .. لقد وجدتها متوعكة المزاج .. وقالت لى ((استريحى خمس دقائق)) ، فقلت لها ان لا داعى للاستراحة لاننى وصلت فى سيارة ((تونتون)) ، وقد استبقيتها لأعود فيها .. وبهذه المناسبة

تلت لها انه قد قطع علاقته بليان ، فقالت : « انني لم أضع قدمي بعد على حافة القبر ، ومن ثم فما زلت على دراية بما يجري من أحداث هامة ٠٠ »

ـ صه ! كل ما ينبغي أن تعرفيه هو ان مسلك مدام « ليان ديكسيلمان » يناقض كل ذوق ٠٠

✥

◆ وكانت جيلبيرت قد نامت ، حين عادت من المسرح أمها « أندريه الفار »ـ كما يكتب اسمها بحروف صغيرة فى اعلانات « الأوبرا كوميك »

ـ ووجدت مدام ألفاريز ساهرة فى ارتقابها كعادتها ٠٠ فأنبتها على ذلك فى رنق ، من قبيل المجاملة ـ كعادتها هى الأخرى !

وسألتها امها عن غنائها فى تلك الليلة فقالت :

ـ لقد أجدت الغناء ، ولكن ما الجدوى ؟ ٠٠ ان « تيفين » تستأثر بكل التصفيق ٠٠ أواه ٠٠ ما اظنني أقوى على المضى فى هذه الحياة !

ـ انت التى اخترتها ٠٠ وفى وسعك ان تحتمليها لو اتخذت صديقا ، فان وحدتك تؤثر على اعصابك ٠٠

ـ أواه يا اماه ! ٠٠ لا تعودى الى هذا الحديث ٠٠ ما انباؤك !

ـ كل الناس تتحدث عن القطيعة التى حدثت بين جاستون و ((ليان)) ٠٠ واعتقد انه شديد الحزن ٠٠ تصورى انه ظل حتى الساعة الثامنة الا الربع جالسا فى نفس مقعدك يلعب الورق مع ((جيجى)) ! ٠٠ انه يقول انه لن يشترك فى معركة الزهور ٠٠ ولو صمم على ذلك لأثار لغطا كثيرا ، ومن ثم نصحته بأن يفكر مرتين قبل ان يقرر ٠٠

ـ سمعتهم يتحدثون فى المسرح عن ان احدى راقصات الصالات تسعى لاستغلال فرصة خصامه مع ليان !

فقلبت مدام ألفاريز شفتها ازدراء وقالت : « يا له من سخف ! ٠٠ ان جاستون لاشيل لم ينحدر الى هذا الدرك ٠٠ من الانصاف ان تقرى انه ـ كشاب أعزب ـ لم يتصل بغير أرقى سيدات المهنة ٠٠ وهذه الصالات هى خير ما يليق به ريثما تسنح له زيجة طيبة ! ٠٠ آه ، لو رأيته وهو يسألنى قدحا من البابونج ٠٠ رغم ثرائه الفاحش ! »

ـ لك ان ترثى له ٠٠ ولكننا مذ عرفناه لم نره يقدم لنا شيئا غير ثقته !

ـ انه غير مدين لنا بشىء ! ٠٠ ثم اننا بفضله نحظى دائما بوفرة من السكر للمربى ، وبطيور من مزرعته ، وباشياء كثيرة يقدمها للفتاة ٠٠

ـ انه فيما يتعلق بنا ، يتصرف وكأنه لم يؤت تلك الثروة الفاحشة ٠٠ هبى أننا فى ضائقة فعلا ، فهل تظنينه يهب لنجدتنا ؟

ـ أوثق من ذلك ، وان كنت أوثر ان لا اسأله ..

وتأملت « اندريه » صورة « ليان » ـ عشيقة جاستون السابقة ـ فى احدى الصحف ، ثم قالت : « لو تأملتها مليا لرأيت ان ليس فيها شيئا ممتازا ! »

ـ تخطئين فى هذا .. بل انها فذة ، ولولا ذلك ما اصابت هذا الصيت ، فان النجاح والشهرة ليسا مجرد حظ ..

ـ هل ذهبت الطفلة الى الخالة اليسيا ؟

ـ اجل .. وفى سيارة جاستون ! .. كأنما حلقت فى السماء السابعة !

ـ يا للحمل الوديع ! .. ترى ماذا سيكون نصيبها فى الحياة .. انها متأخرة .. عندما كنت فى سنها ..

ـ لا تسرفى فى المباهاة ، فما زلت اذكر جيدا ، انك كنت تسخرين من مسيو منيسون ومطاحن الدقيق التى يملكها .. ورغم انه كان مستعدا لأن يهبك ثروة ، فانك هجرته الى معلم للموسيقى متعوس !

فقبلتها اندريه قائلة : « لا تلومينى الآن فانى مثقلة بالنعاس .. فعمى مساء ياماه ! .. عندى « بروفة » فى الساعة الواحدة الا ربعا بعد ظهر غد ، وسآكل فى محل الالبان ، فى فترة الاستراحة ، فلا تشغلى بالك بى .. »

ودلفت الى الغرفة التى تنام ابنتها فيها ، فلم تتبين فى الظلام سوى كومة من الشعر على الوسادة . ورغم ان الوقت كان متأخرا ، فانها دلفت الى الحمام ..

❇

◆ وكانت آخرهن فى الايواء الى مضجعها ، هى أولاهن فى الاستيقاظ .. اذ كانت مدام ألفاريز تنام على أريكة فى قاعة مشتركة للجلوس والمائدة ، فاذا ما دقت الساعة معلنة النصف بعد السابعة ، نهضت لتفتح الباب للخادم والصحيفة واللبن .. وما ان تحين الثامنة ، حتى تكون قد مشطت ورتبت شعرها المحتفظ بجماله .. وقبيل التاسعة بعشر دقائق تنطلق «جيجى» الى المدرسة نظيفة ، أنيقة ، مرجلة الشعر .. وتبدأ جدتها منذ الساعة العاشرة فى « التفكير » فى الغداء ، فترتدى معطفها الواقى من المطر ، وتحمل الشبكة التى تضع فيها مشترياتها ، وتنطلق الى السوق ...

وفى هذا الصباح ، أيقظت مدام ألفاريز حفيدتها ، فلما اقبلت كالزهرة اليانعة ، هتفت بها : « نادى أمك ياجيجى ، فقد انتحرت (ليان ديكسلمان) ! »

فشهقت الفتاة مذهولة ، ثم اردفت في لهفة : « وهل ماتت ؟ »

- انها تعرف كيف تدبر حيلتها .. لقد تعاطت كمية من صبغة الافيون . وفى رأيى انها استمرأت هذه اللعبة ، بعد أن جربتها مع عشيقها السالف . ولكنها لن تلبث أن تناف معدتها !

وصرفت الجدة حفيدتها الى المدرسة ، ثم تحولت تنادى ابنتها وتزجى اليها نبأ الانتحار .. وأقبلت أندريه مشعثة الشعر ، وهى فى ثياب النوم ، فقالت مدام ألفاريز : ((ان شكلك ينطق بأن ليس ثمة رجل الى جوارك يابنيتى .. فان وجود رجل فى البيت يبرىء المرأة من أن تتنقل بين الحجرات فى ثياب النوم !))

وابتسمت أندريه فى سخرية وقالت معلقة على الانتحار ((لقد أصبحت المسألة مبعث سأم .. انها اعتادت تعاطى صبغة الافيون كما لو كانت زيت الخروع ! .. على ان هذه أول امرأة فى حياة جاستون تحاول الانتحار ، وما أراه الا سيمتلىء زهوا !))

❊

◆ كان مسلك جاستون لاشيل خلال الاسبوع التالى لانتحار مدام ديكسيلمان متناقضا بعض الشىء : فلقد استأجر كواكب الاكاديمية الموسيقية القومية ليرقصن فى حفلة أقامها فى داره فى منتصف الليل .. وأغرى مطعم «بريه كاتالان» بأن يفتح أبوابه قبل موسمه المعتاد بأسبوعين ليقيم فيه مأدبة كبيرة ، لعب فيها اثنان من المهرجين ، وسارت حسناء على صهوة جوادها بين الموائد فى ثوب من ((الدانتيل)) لا يكاد يستر شيئا من مفاتن جسمها .. على أنه لم تنقض أربع وعشرون ساعة ، حتى نشرت صحيفة «جيل بلا» وصف الحفلة بصورة كادت تفقدها المعونة المالية التى تتلقاها من جاستون لاشيل .. ونشرت مجلة «بارى آن آمور» اشاعة أخرى تحت عنوان مبتكر : ((مليونيرة أمريكية لا تخفى ولعها بسكر البنجر الفرنسى !))

وكان صدر مدام الفاريز المكتنز يهتز ضحكا وهى تقرأ هذه الشائعات ، لانها كانت تعرف الحقيقة من جاستون نفسه ، اذ زارها مرتين خلال الايام العشرة الاخيرة ، وكان ينسى همومه فى مقعدها الوثير وبين يديه قدح البابونج .. كما أحضر لجيجى حقيبة جلدية ذات قفل فضى ، واثنين وعشرين صندوقا من حلوى العرقسوس .. وحمل الى مدام الفاريز - اذ دعا نفسه للعشاء - ست زجاجات من الشمبانيا .. وجلس يثرثر مع ((جيجى)) حول مدرستها ، ثم لعب معها الورق ، فكسبت منه قلما ((رصاصا)) ذهبيا .. واسترد مرحه فراح يضحك وهو يقول لمدام الفاريز : ((هذه خير رفيقة لى !)) .. والمرأة تنقل عينيها الاسبانيتين بينه وبين جيجى المتضرجة الوجنتين..

ثم راح يشد شعر الفتاة فى عبث .. وعندما عادت «أندريه» لم تقل شيئا، بل تقبلت قدحا من الشمبانيا ، أتبعته بثان .. وبعد الكأس الثالثة قادتها أمها الى مخدعها .

ولم يتحدث أحد من الاسرة فى الصباح التالى عن سهرة الامس ، اللهم الا «جيجى» التى استعرضت الذكرى المرحة فصاحت فيها جدتها : «حسبك يا جيجى .. حاولى أن تكونى أكثر رزانة ! »

وانقضى أسبوعان لم يظهر فيهما جاستون لاشيل ، بل كانت أسرة ألفاريز تتعرف أنباءه من الصحف ، التى نشرت أنه رحل الى مونت كارلو « لسبب عاطفى » !

وقالت جيجى : « هل تصدقين ياجدتى .. لقد قالت ليديا بوريه فى درس الرقص ان « ليان » سافرت فى نفس القطار الذى أقل «تونتون» ، ولكن فى مقصورة أخرى ! »

– وكيف لآل بوريه أن يعرفوا الحقيقـــة ؟ .. ومع ذلك ، فكم يكون طريفا لو تزوج جاستون من عشيقته !

– وهل تظنين انهما رحلا فى قطار واحد ليتزوجا ؟

فتشاغلت عنها مدام ألفاريز بالتطلع خلال النـافذة ، ثم قالت : « لا ، على ما أعرف .. يجب أن أتحدث الى أليسيا .. تعـالى معى يا جيجى حتى دارها ، ثم عودى ، فلسوف ينعشك الهواء .. »

ولم تعد مدام ألفاريز الى الدار الا فى ساعة متأخرة من تلك الليلة ، فبادرتها جيجى متسائلة :

– ماذا قالت لك ؟

– قالت انك ستنالين « الفستان » الصيفى الذى وعدتك به .. وانها أيضا تريدك على أن تتناولى الغداء معها يوم الخميس .. فى الساعة الثانية عشرة مساء!

– هل سأذهب معك ياجدتى ؟

فتفرست مدام ألفاريز فى وجه الفتاة وقالت : « لا .. بل وحدك ! »

❖

◆ كان منزل الخالة « أليسيا » يبعث فى نفس « جيجى » شعورا خفيا بالترف .. وكان البساط والسجاجيد الفارسية تكاد تستحيل الى أجنحة تطير بها ، فهى لا تكاد تحس لقدمها على الارض وطأ .. ! على ان حجرة المائدة كانت أكثر الحجرات اجتذابا لاعجابها ، حتى لقد قالت يوما فى سذاجة : « سأبتاع لنفسى حجرة كهذه يوما ما ! »

غروب الشمس .. فى « البندقية »

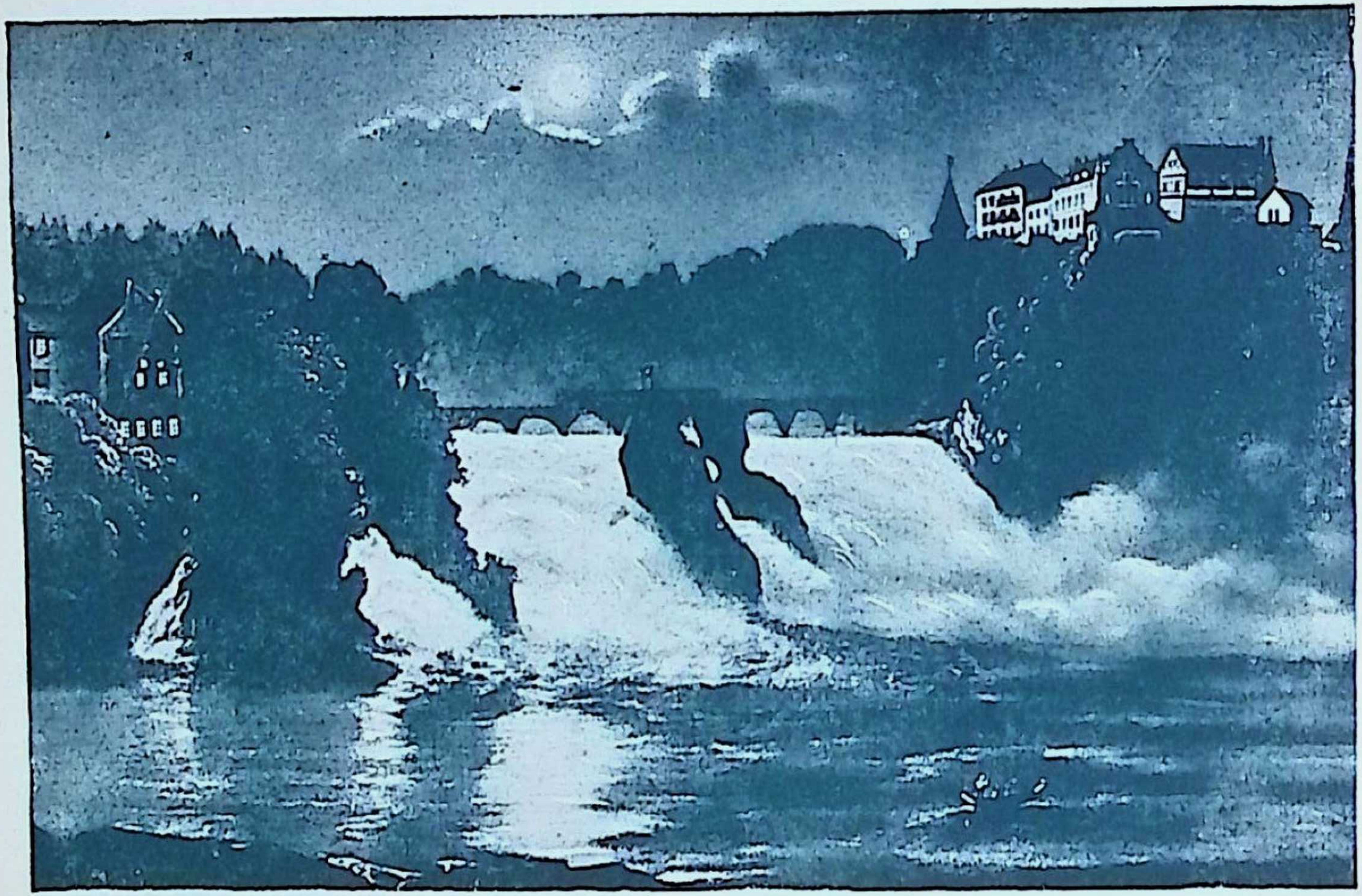

مساقط نهر الراين (فى مدينة « شافهاوس » ، بسويسرا)

المؤلفة : « كوليت »

وافتر فم الخالة أليسيا - الشبيه بقوس كيوبيد - عن ابتسامة أومض خلالها بياض أسنانها .. كانت رغم كهولتها ذات ذوق أنيق يبين فى كل مكان ، لا سيما فى حجرة النوم ذات اللون الفضى الداكن ، وذات الاوعية الصينية الحمراء .. وفى الحمام الابيض الضيق ، الدائم الدفء .. وفى صحتها القوية التى تخفيها باصطناع الوهن والرقة !.. **وكان رجال زمنها اذا حاولوا ان يصفوها ، أعياهم البحث عن كلمات دقيقة التعبير .. كما كان الوثيقو المعرفة بها يلوحون بصورها ! لكن الشبان لم يكونوا يرون فيها شيئا فذا ، فى حين كان المعجبون القدامى يتاملونها فى استغراق ورجعة الى الماضى يتذكرون فيها ذلك الساعد البض ، الناعم ، الملتف كانه عنق بجعة ، وذلك « البروفيل » البديع ، الذى يتبدى فيه جمال شكل الفم ، واتساع المقلتين، وانسدال الاهداب الطويلة .. الخ**

وقبلت « جيجى » شقيقة جدتها ، الجميلة العجوز ، التى سرعان ما دفعتها الى حجرة المائدة فى جلال ، وكأنها - بصوتها العذب « الشاب » ، رغم سنها ، والطلاء الوردى الخفيف الذى وارت به تجعدات وجهها ، والشال «الدانتيل» الذى أسبلته فوق شعرها الابيض - كأنها ماركيزة من ماركيزات المسرحيات ! .. وكانت جيجى تجلها وتهابها ، فاذا ما جلست الى المائدة فى حضورها ، شدت من أطراف ثوبها ، وضمت ركبتيها ، وقربت مرفقيها من جانبيها ، واعتدلت بحيث يستقيم كتفاها ، حتى تبدو فى أكمل صور الشابات الراقيات .. وكانت تتذكر كل ما لقنتها خالتها : فتقطع الخبز بسرعة ، وتأكل بفم مغلق ، وتراعى عند تقطيع اللحم الا تمس أصبعها الصغرى نصل السكين .. الخ

وتأملتها الخالة « أليسيا » بعينين سوداوين جميلتين ، فلم تر عليها أى غبار أو عيب .. وفجأة سألتها : «كم عمرك؟ »

نفس ما كان عليه حين سألتنى منذ أيام : خمسة عشر عاما ونصف العام! .. ولكن ، ما ما رأيك يا خالتى فى حكاية «تونتون» جاستون ؟

– لماذا ؟ .. أيهمك أمره ؟

– طبعا .. انه يقلقنى ، فلو ان تونتون علق بسيدة لائقة لما جاء ليلاعبنى الورق ، وليشرب البابونج !

ومضت الخالة أليسيا تتفرس فى الفتاة بنظرات فاحصة ناقدة ، ثم سألتها : « هل تجهدين نفسك فى الدراسة ؟ .. ومن أصدقاؤك ؟ .. استمرى فى الاكل وأنت تجيبين عن أسئلتى ، ولكن لا تتكلمى وفمك محشو !

– لا أصدقاء لى ياخالتى ، فان جدتى لا تسمح لى بتناول الشاى فى بيوت زميلاتى ..

– هذا صواب .. ولكن ، أليس ثمة من يتعقبك وأنت فى الطريق .. كاتب صغير ، أوتلميذ .. أو رجل مسن ؟

وتطلعت جيلبيرت الى الوجه الجليل المشرق وقالت :

– لا يا خالتى .. هل وشى أحد لك ببعض المفتريات ؟ .. اننى دائما فى حالى ! .. ولكن ، لماذا تحرمنى جدتى من قبول دعوات الزميلات ؟

– انها على صواب .. للمرة الوحيدة .. اذ أنها دعوات من قوم عاديين .. لا جدوى من ورائهم !

– أو لسنا قوما عاديين نحن أيضا ؟ .. ما الذى يفرقنا عنهم ؟

– انهم أوتوا عقولا ضعيفة ، واجسادا منحلة ، مترهلة .. ثم انهم أسرات يربطها الزواج .. ما اظنك تفهمين !

– بل أفهم .. فنحن لا نتزوج !

– ان الزواج غير محرم علينا ، ولكنا احيانا نؤثر ان نتزوج «فى النهاية» بدلا من أن نتزوج بسرعة .. مبكرات

– وهل هذا يحرمنى من أن أزور فتيات فى مثل سنى ؟

– أجل .. هل تسأمين البيت ؟ .. ان السأم لا يضير ، بل يساعد على البت فى الامور ..

وامسكت الخالة أليسيا كأسها بثلاث أصابع رشيقة تزينها ماسات ذات بريق ، وقالت : « فى صحتك وصحتى ياجيجى ! .. ستنالين سيجارة مصرية مع القهوة ، على شريطة أن لا تبللى طرفها بريقك ، ولا أن تنفثى الدخان على طرف لسانك .. كذلك سأعطيك رسالة الى البائعة الاولى فى متجر « بيشوف دافيد » .. لسوف تتغير مقتنياتك من الثياب منذ الآن .. على أن لا يكون منها ما هو خارج عن الحشمة أو مفرط فيها .. »

وشهقت الفتاة فى ذهول ، فاستطردت الخالة تقول :

- انني أرثى لك ٠٠ ترى ما ذوقك ؟
- انني لا أرتدى سوى ما يصنع لى فى البيت ٠٠ ولكنني أعرف ما يلائمنى ياخالتى ٠٠ لقد رأيت ثوبا موشى بمئات من ((الكرانيش)) من الحرير ((الموسيلين)) اللامع ٠٠
- كفى ، كفى ٠٠ أرى ان خيالك يحملك على أن تظهرى فى ثياب الممثلات الهزليات ٠٠ تعالى وصبى القهوة دون أن تتركى بقية منها تتقاطر على المفرش ٠٠

ولم تشعر جيلبيرت بمرور الساعة التالية اذ أحضرت الخالة اليسيا صندوق مجوهراتها ، وراحت تعرض عليها ما فيه من أحجار ، وتعلمها أسماءها الحقيقية ٠٠ الاسماء التى تعرف بها فى المجتمع الراقى ، لا بين المتواضعين !

وأرتها حجرا جميلا من الزمرد ، فتجاسرت جيلبيرت على أن تسألها : ((من أهداك اياه ياخالتى ؟))

فأجابت ببساطة : ((**ملك**))

- ملك عظيم ؟
- **لا ، بل ملك صغير ، فان عظماء الملوك لا يقدمون احجارا بديعة ٠٠**
- اذن ، فمن الذى يقدم أحجارا كبيرة ؟
- **الخجول ، والمغرور ، والدعى ، لانهم يرون فى ذلك مظهرا يوحى بحسن المنبت ٠٠ والنساء أحيانا ، ليذللن الرجل ! ٠٠ لا تستعملى قط احجارا من الدرجة الثانية ، ولا تتزينى بأحجار حتى تقدم لك انواع جيدة ٠٠**

وكانت وهى تتكلم تتحسس وجه الصبية الشاب براحتها ، وتتأمل أسنانها ٠٠ ثم قالت :

- لك فك لطيف يابنيتى ٠٠ لو كانت لى أسنان كهذه لسيطرت على باريس وبقية الدنيا ٠٠ ما هذه ؟ ٠٠ شامة ؟ ٠٠ ما كان ينبغى أن تكون لك شامة صغيرة بجانب الانف ٠٠ وهذه ؟ ٠٠ هل عبثت بحبة من ((حب الشباب)) ؟ ٠٠ ليس لك أن تعبثى بها ، وسأعطيك بعض العطر المطهر ٠٠ ولا تأكلى لحما سمينا ٠٠ هل تذهبين الى ٠٠ الاماكن اياها - المشارب - بانتظام ؟ ٠٠ دعينى أشم رائحة أسنانك ، وان كنت قد فرغت لتوك من الغداء ٠٠ ألا انتبهى لما أقول جيدا : **انك قد اوتيت المقدرة على الارضاء والاسعاد ٠٠ صحيح ان قسماتك ليست كلها بالجميلة ، ولكنك تستطيعين بعينيك ، واهدابك ، واسنانك ، وشعرك ، أن تغزى القلوب ، اذا لم تكونى غبية !**

ووضعت يديها على ثديى جنيجى الصغيرتين وقالت ((لقد صيغتا فى شكل بديع ٠٠ لا تكثرى من اكل اللوز ، فانه يزيد من ثقل الثديين ٠٠ آه ، ذكرينى بان اعلمك كيف تختارين السيجار))

- لماذا ؟

فربتت خد الفتاة واجابتها : « لاننى .. لا اعمل عمـلا دون ما سبب وجيه .. اذا تعهدتك ، فيجب أن أعنى بكل شىء .. واذا أدركت المرأة ذوق الرجل – حتى فى السيجار – وأدرك الرجل ما يرضى المرأة ، حق القول بأنهما سيسيران معا على وئام .. »

وتحولت تكتب على ورق أنيق رسالة الى مدام هنرييت ، كبيرة البائعات بمتجر « بيشوف » .. بينما أخذت «جيلبيرت» تتأمل كل التحف الصغيرة المتناثرة فى أرجاء الغرفة .. وأخيرا هتفت الخالة : «اجرى الآن ياصغيرتى.. لسوف أدعوك عما قريب .. لا تنسى أن تطلبى الى الخادم فيكتور الفطيرة التى ستحملينها معك الى البيت .. واذكرى دائما اننى ارقبك وانت تغادرين البيت ، وويل لك لو سرت فى مشية العسكرى ، أو جررت قدميك خلفك..»

❖

◆ وشهد شهر مايو عـودة جاستون لاشـيل الى باريس وقد أحضر لجيلبيرت ثوبين بديعى الطراز ، وسترة خفيفة وعددا من القبعات والاحذية المختلفة .. وقد اضافت جيجى الى هذه من عندها بضع خصلات من شعرها أسبغتها على جبينها ، وراحت تسير أمام جاستون رائحة غادية ، مزهوة بخصرها النحيل ، ومعتدة بالثياب الانيقة .. فقال جاستون : « لشـد ما تذكريننى بالقرد .. لقد كنت أكثر اعجابا بك فى ثوبك القـديم .. ألا تأملى شكلك ! »

وتطلعت الى المرآة ، وفى شدقها قطعة ضخمة من الحلوى ، وقالت : «لقد سمعت عنك الكثير ياتونتون ، ولكنى لم أسمع قط ان لك ذوقا فى الثياب ..»

فحملق مأخوذا فى الفتاة التى تريد أن تسبق عمرها ، وقال لمدام الفاريز: « ما أجمل الاخلاق التى علمتها ! »

ثم غادر المنزل ، فعصرت مدام الفاريز يديها وهتفت : « أنظرى ما سببته لنا ياجيجى ! »

– ولماذا يسخر منى ؟

– فكرى فيما فعلت أيتها التعسة .. يالله ! .. متى تتعلمين كيف تفكرين .. لقد أسأت الى الشاب فى الوقت الذى نبذل فيه قصارى جهدنا لنجعل منك شابة لطيفة راقية !

بيد ان مدام الفاريز لم تبد دهشة حين أقبل جاستون فى اليوم التالى طروبا ، وهتف : « ارتدى ثيابك ياجيجى ، فسأصحبك لتناول الشاى .. »

فصاحت الفتاة جذلة ، وهرعت الى جدتها فى المطبخ تزجى اليها النبأ .. ولكن العجوز حالت بين ذراع جيلبيرت وذراع جاستون فى هدوء قائلة : ((لا ياجاستون ... اذهبى الى حجرتك يا جيجى ، فانى احب ان اتحدث الى مسيو لاشيل فى أمر خاص ..))

وما أن اختفت الفتاة فى الغرفة ، حتى التفت الشاب الى العجوز يحدق فيها مبهوتا ، ثم قال : ((ما معنى هذا ياماميتا ؟ .. اننى ألاحظ تغيرا ما بين اليوم والبارحة !))

فجلست فى مقعدها الوثير ، وأشارت له الى مقعد ذى مسند عال ، ومسحت على جدائل شعرها ، ثم عقدت يديها فى حجرها ، وظلت صامتة برهة وكأنها تتمالك نفسها ، ثم قالت :

- ليس فى وسعك ياجاستون أن ترتاب فى صداقتى ..

وارسل لاشيل ضحكة مقتضبة ، بينما مضت تقول :

- اقصد فى صداقتى وعرفانى بجميلك .. ولكن هذا لا يجب أن ينسينى أن فى رعايتى نفسا أؤتمنت عليها ، فليس لدى اندريه - كما تعرف - وقت ولا ميل للعناية بالفتاة .. ولم تؤت صغيرتنا جيلبيرت بعد ، الاستعداد لتسير وحدها فى الحياة .. فهى لا تزال طفلة ..

- فى السادسة عشرة ؟

- لقد ظللت سنين تهديها الحلوى واللعب ، وهى تعزك الى درجة انها تقسم باسمك .. وحدك .. ومع ذلك فأنت تريد أن تصحبها فى سيارتك لتناول الشاى .. وأقسم لك ياجاستون ان الامر لو كان مقتصرا عليك وعلى ، لقلت لك : ((خذ جيلبيرت أينما شئت ، فانا أثق بك ثقة عمياء)) .. ولكن للناس عيونا وآذانا وألسنة .. ولو رأوك وحدك ..

ففقد صبره وصاح : ((حسنا .. فهمت .. فأنت تعتقدين انها اذا رؤيت تتناول الشاى معى ، نزلت من عيون المجتمع واعتبار الناس !))

- لنقل انها ستوصم بسمعة تشين ، فانت رجل معروف ياجاستون ، والفتاة التى تخرج وحيدة معك لا تعود فتاة عادية ، محترمة - ان شئت الصراحة ! - وبالنسبة لك لن تكون المسالة أكثر من قصة أخرى تضاف الى قصصك الحافلة .. ولكننى لن أبتهج اذا قرأتها فى ((جيل بلا))

ونهض يذرع الحجرة .. وسرح بصره قليلا خلال النافذة ، ثم قال : ((حسنا ياماميتا .. استبقى طفلتك الغالية .. ولكن لا ادرى ، لمن تستبقينها ! ..

الكاتب لا يزيد دخله عن مائة فى السنة ، يتزوجها ويولدها أربعة أطفال فى ثلاث سنوات ؟ »

– اننى أعرف واجبى ، ولن أكلها الا الى رجل قادر ، يتعهـــد بأن يكون مسئولا عن مستقبلها ..

وانصرف ٠٠ وما ان خلت مدام ألفاريز الى نفسها ، حتى مسحت جبينها، وسارت الى حجرة جيلبيرت ، وسألتها : « أكنت تسترقين السمع ياجيجى؟ »

– لا ياجدتى ٠٠

– بل كنت ٠٠ ما ينبغى لك أن تسترقى السمع ، فانك لن تسمعى الحديث واضحا ، فتتلقينه مشوها ! ٠٠ والآن ، سأذهب لأزور أليسيا ، ويحسن بك أن تغسلى عينيك بالماء البارد ، ما دمت من الحماقة بحيث كنت تبكين ٠٠

– اسمعى ياجدتى ٠٠ أى ضير ترينه فى أن أخرج مع «تونتون» ، فى ثوبى الجديد ؟

– اخرسى ! ٠٠ انك لا تفهمين شيئا ، فدعى هذه الامور لمن يستطيعون أن يستخدموا عقولهم لمصلحتك ..

*

خيم الصمت على دار « ألفاريز » طيلة الاسبوع التالى ، فلم يعكره سوى زيارة مفاجئة من الخالة « أليسيا » ، قضتها فى حديث هـــام – متكتم ! – مع اختها .. فلم تول جيلبيرت اكثر من لحظة طبعت خلالها قبلة عابرة على خدها ، ثم انصرفت ..

وسألت جيلبيرت جدتها : « ماذا كانت تبغى ؟ »

– لا شىء .. كانت تروى لى تقرير اخصائى القلب الذى عالج مدام « بيفترى » ..

– ياله من تقرير طويل !

وفيما كانت منهمكة ذات صباح فى تنظيف حذاءيها ، دخل جاســتون لاشيل دون ان يدق جرس الباب .. فصاحت : « اوه ! .. لا بد ان جدتى نسيت المفتاح فى ثقب الباب ! »

وأخذ جاستون يحدق فيها دون ان ينبس ببنت شفة .. فشرعت الدماء تتصاعد الى وجهها ، وجذبت اطراف ثوبها لتغطى ركبتيها .. ثم قالت أخيرا : « اذن فقد تسللت كاللص يا « تونتـــون » ؟ .. مالى أراك هزيلا ؟ .. ان الهزال يبدى عينيك اكبر مما هما ، وانفك اطول من حقيقته ! »

فقاطعها قائلا : « لدى حديث مع جدتك . اجرى الى غرفتك يا جيجى .. »

وجمدت لحظة مذهولة ، ثم قفزت عن مقعدها ، وقد نفرت عروق رقبتها غضبا وصاحت : « اجرى الى غرفتى ! .. أتظن ان لك هنا امرة على ؟ .. حسنا ، لن ابرح غرفتى طالما كنت انت فى المنزل ! »

وصفقت باب الغرفة خلفها .. وسمع صوت الرتاج ، فأقسمت جدتها لتجعلنها تعتذر اليه ، ولكنه لم يكن يصغى اليها ، بل راح يحملق فى الباب المغلق !

❈

◆ **كانت** الخالة « أليسيا » لا تزال فى فراشها ، حين وصلت مدام ألفاريز شاحبة الوجه ، ومالت على السرير تروى لها ما جرى : « لقد قال انه سيؤمن مستقبل جيجى ضد أى سوء ، وضد نفسه .. بـ « بوليصة » تأمين .. وانه طالما اعتبر نفسه كأب روحى لها ! .. وأضاف : « **لن اتعجل الزمن .. اننى قبل كل شىء ، خير زميل لجيجى ، ولسوف امنحها كل الوقت اللازم كى تألفنى وتستسلم لى .. فما اريد ان تحس بانها ستعيش مع وحش ، وانما اريدها ان تشعر باننى انسان مهذب .. اكمل تهذيب** » .. وكانت الدموع تترقرق فى عينيه »

– حسنا .. وهل فاتحت الصبية فى ذلك بصراحة ؟

– كما يتطلب الواجب ، فليس هذا بالوقت المناسب لمعاملتها كطفلة .. اجل ، حدثتها بصراحة ، وصورت جاستون لها كمعجزة .. كملاك !

– لا ، لا .. بل كان ينبغى ان توضحى لها الصعاب ..

– هل تخالينها مثلك ؟ .. انها ابعد من ان تحسب وتقدر وتفكر .. ليس لها مطمع أو هدف .. **بل لقد ذهلت ، ولم يبد عليها اى اثر من استجابة او اعراض .. لا صيحات فرح ، ولا دموع انفعال .. كل ما قالته : « هذا تواضع منه ! » .. ثم قالت فى النهاية انها – لظروفها الخاصة – ستجيب مسيو لاشيل بنفسها ، وستناقشه فى الامر وحدها .. فهو شانها الخاص ، وليس لسواها ان يتدخل فيه ! »**

– اخشى ان تغالى فى طلباتها .. واذا صحت معرفتى به فهو لن يرضخ .. هل هو قادم فى الساعة الرابعة ؟ .. وهل ارسل شيئا ؟ زهورا ، أو هدية ؟ .. لا ؟ .. هذا ما كان متوقعا .. أعنى ما هو جدير بمظهر الطفلة وثيابها !

✥

- انك لم تصيبى من الطعام شيئا يا جيجى ؟

- لست جائعة يا جدتى .. هل استطيع ان انال مزيدا من القهوة ؟ .. ما « البروفة » التى أخرت ماما فى الخارج حتى الآن يا جدتى ؟ .. اتظنين ان هناك « بروفة » حقا ؟ .. يخيل الى - شخصيا - انها لا تحب تناول الاكل هنا !

ونهضت لتزيل عن المائدة بقايا الطعام ، فسألتها جدتهـا ان تدع تلك المهمة لها ، ولكنها قالت وهى تسدد بصرها اليها بشكل جعل العجوز تغض من بصرها : « ولماذا يا جدتى ؟ .. اننى اؤديها بحكم العادة »

- ولكن الساعة قاربت الثالثة ، ولم ترتدى بعد ثيابك .. يجب ان تستجمعى رباطة جاشك يا جيجى ..

- لا تشغلى بالك ياجدتى .. واذا دق جرس الباب فلا تحفـلى به ، سأذهب بنفسى لأفتحه ..

وفى تمام الساعة الرابعة ، دق جاستون لاشيل الجرس ثلاث مرات .. فأطل من باب المخدع وجه صغير ، ساذج ، مربد ، واخذت جيلبيرت تنصت ، حتى اذا انبعثت ثلاث رنات جديدة ، متعجلة ، تقدمت الى منتصف الردهة وهى لا تزال فى ثوب البيت البالى وفى جوربيها القطنيين .. وفركت خديها بقبضتى يديها ، ثم أسرعت تفتح الباب وهى تقول : « سعدت مساء ياعم جاستون »

- أو تراك لم تكونى راغبة فى السماح لى بالدخول ايتها الشقية ؟

واصطدم كتفاهما فى الردهة ، فأجفلا ، ثم ضحكا فى حرج .. وقالت : « تفضل بالجلوس ياتونتون .. اتعرف اننى لم اجد وقتا لتغيير ثيابى ؟ »

وجلست فى مواجهته ، وجذبت اطراف ثوبها تغطى ركبتيها .. واخذ كل يتفرس فى الآخر .. ورويدا ، تسرب اعتداد جيلبيرت وثقتهـا فى جرأتها .. وتولاها وجوم وشعور غريب ، جعل عينيها الزرقاوين يبدوان فى ضعف حجمهما الطبيعى .. فقال لها متلطفا :

- ماذا بك يا جيجى ؟ .. قولى شيئا .. اتعرفين لم جئت ؟

فهزت رأسها بالايجاب .. واذ ذاك اردف متسائلا ، فى صوت خفيض : « **وهل ترغبين .. أو لا ترغبين ؟** »

فسوت خصلة نافرة من شعرها ، واستجمعت جرأتها ، وقالت : « **لست راغبة !** »

فبرم لاشيل طرفى شاربيه ، وأشاح لحظة عن عينيهـا الزرقاوين ،

ووجنتيها المتوردتين ، واهدابها الطويلة المتناسقة ، وفمها الذى لم تكن تدرى قوة سحره ، وشعرها الذهبى الخفيف ، وعنقها البديع ، وانوثتها القوية الخالية من اية مجوهرات تزينها .. وعادت جيلبيرت تقول : ((لست ارغب فيما ترغب فيه .. لقد قلت لجدتى ..))

فلوى شفتيه وقال : ((أعرف ما قلت لها .. فقـولى لى ما الذى لا ترغبينه ؟ .. نبئينى بما تريدين ، أتحه لك ..))

ـ أصادق انت فى وعدك ؟

فهز رأسه . وراقبت فى دهشة ما بدا عليه من امارات الارهاق والضيق، ثم قالت : ((تونتون .. لقد قلت لجدتى انك تريد ان تدبر لى ثروة ..))

ـ وانها لثروة رائعة ..

ـ ان رضائى عنها هو الذى يكسبها روعتها .. لقد ظلوا يرددون لى اننى متخلفة عن سنى ، ولكننى رغم ذلك ادرك معانى الكلمات .. انها تعنى ان اذهب معك واغادر هذا البيت .. وان انام معك فى فراشك !

ـ جيجى ! .. ارجوك ..

ـ وماذا فى حديثى اليك عن ذلك ؟ .. هل تحرجت انت من ان تحدث جدتى فيه ؟ .. حتى هى لم تتحرج عن الكلام معى فى الامر .. لقـد شاءت ان تحملنى على ان لا ارى سوى الجانب البراق منه ، ولكننى اعرف اكثر مما اخبرتنى : أعرف تماما انك اذا دبرت لى حظى فى الحياة ، فلا بد من ان تظهر صورتى فى الصحف ، وأن اذهب الى مهرجان الزهور ، والى السباق فى ((دوفيل)) .. فاذا ما تخاصـمنا ، نشرت ((جيـل بلا)) القصة كلها ! .. واذا نبذتنى بعد كل شىء ، كما فعلت و ((بارى آن آمور)) بـ ((جنتيان ديه سيفين)) حين مللتها ..

ـ هل سمعت بذلك ؟ .. هل ملأوا رأسك بهذه القصص العتيقة ؟

ـ لقد اطلعتنى جدتى والخالة اليسيا على ان لك سمعة عالمية .. وانى لأعرف ايضا ان ((ماريز شوكيه)) قد سرقت رسائلك فاوقفتها امام القضاء ! .. وان ((الكونتس باريفسكى)) تشاجرت معك لأنك رفضت ان تتزوجها وهى مطلقة ، وقد حاولت اطلاق الرصاص عليك ! .. الخ

فوضع يده على ركبتها وقال : ((ليست هذه بالأمور التى يحسن ان نتحدث عنها ونحن معا يا جيجى ! .. انها قد اصبحت فى ادراج الماضى .. وقد ولى الماضى وفات))

ـ ولكنه لا يلبث ان يعود اذا ما تكرر الامر .. ليس ذنبك ان لك سمعة فى العالم كله ، ولكننى لم أوت ميلا للسمعة العالمية .. فهى لا تروق لى !

وجذبت أطراف ثوبها ، وهى تزيح يده متظاهرة بأن الحركة غير متعمدة .. ثم قالت : « ان الخالة اليسيا وجدتنى فى صفك ، ولكن الامر يخصنى نوعا ما ، ومن ثم ارى من حقى ان تكون لى فى الموضوع كلمة .. وكلمتى هى انه لا يروق لى ! »

— احب ان اعرف ما اذا كان جوابك هذا مجرد ستار تخفين وراءه انك تكرهيننى ؟ .. فاذا كان الأمر كذلك فخليق بك ان تصرحى به فورا ..

— اوه ، لا ياتونتون .. لست اكرهك اطلاقا ، بل اننى ابتهج دائما برؤيتك .. وليس أدل على ذلك من اننى اقترح عليك ان تظل تتردد علينا كالعادة ، وان تمضى صداقتنا على ما كانت عليه .. ان هذه ولا شك تكون حياة بهيجة ! .. حياة خالية من عبء النوم فى فراشك ، والمام كل امرىء بالمسالة ، وتضحيتك بالهدايا والقلائد اللؤلؤية ، والتقاط الصور لنا فى كل مناسبة ، والتزام الحرص والحذر ..

فقاطعها قائلا : « ولكنك تنسين يا جيجى ، اننى .. احبك »

فصاحت : « اوه ! .. انك لم تنبئنى ابدا بهذا ! »

وبدا عليه القلق ، بينما ظلت واقفة امامه صامتة ، وقد أخذت انفاسها تتلاحق بسرعة .. ولم تحاول ان تخفى دهشتها ، فقد كان نهداها يرتفعان وينخفضان فى عنف ، ووجهها شديد التضرج ، وشفتاها ترتجفان فى انفعال .. وصاحت أخيرا :

— هذا امر آخر .. ولكنك عجيب ! .. انك تحبنى وتريد مع ذلك ان تدفعنى الى التردى فى حياة لا اجنى منها سوى الهموم ، حياة يتناول فيها كل امرىء سواه بالشائعات ، وتنشر الصحف اقبح القصص ! .. تحبنى ومع ذلك لا تحفل بأن تزج بى الى كافة انواع المغامرات .. التى لا تنتهى الا الى فراق ، وخصام ، وتشهير ، ومسدسات و .. صبغة الافيون السامة ! »

وانفجرت تبكى بكاء مريرا ، بصوت عال .. فطوقها جاستون بذراعه ، وحاول أن يجذبها نحوه ، ولكنها أفلتت منه ، ولاذت بركن ضيق بين الحائط والمعزف « البيانو » ، وهى تصيح : « أبدا !.. مستحيل !.. لا اريد ان أراك ثانية !.. ما كنت لاصدق عنك هذا .. انك لا تحبنى .. بل انت رجل شرير »

ووضعت يديها على عينيها تحجب صورته عنهما !.. وحاول أن يصل اليها ، ولكن شفتيه لم تبلغا منها سوى ذقن مبللة بالدموع .. واقبلت جدتها على صوت بكائها ، فقالت : « يا الهى !.. ماذا جرى لها ياجاستون ؟ »

— جرى !.. كل ما هنالك أنها غير راغبة ..

– غير راغبة ؟٠٠ ماذا تعنى ؟

فقالت جيجى منتحبة : « لست راغبة ! »

– انك تكادين تسلمينى الى الجنون ياجيجى ٠٠ ولكن الله شهيد ياجاستون على أننى ٠٠

– على أنك أنبأتها أكثر مما ينبغى !

وألقى نظرة على الفتاة المحزونة ، الباكية ، ثم اندفع الى الخارج ، وصفق الباب خلفه ٠٠

❖

◆ فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى ، دلفت الخالة أليسيا الى مسكن أختها فى هدوء ٠٠ وابتدرتها اذ استقرت داخل المسكن : « أين الطفلة ؟٠٠ وكيف حالها ؟ »

– انها فى غرفتها ٠٠ فى أتم هدوء

– اتم هدوء ؟ لقد هدمت السقف على رؤوسنا ، ومع ذلك فانت تجلسين ساكنة !٠٠ ماذا تعتزمين أن تفعلى ؟

– ماذا ؟ اننى لا أستطيع طبعا أن أوثق كتافها ٠٠ تصورى أن لاشيل اندفع مغادرا المسكن فى حنق ، حتى لقد نسى قبعته هنا ٠٠

– اننى لن اعجب لو سمعت انه خطب فتاة ، او انه يسعى للعودة الى « ليان » ٠٠ ومع ذلك ، فماذا قلت « لأميرتك الغالية » ، وكيف عاملتها ؟

– لقد حدثتها حديثا معقولا ٠ كلمتها عن الأسرة وحالها ، وحاولت أن أبين لها أننا اما أن نفرق معا ، أو نطفو معا !٠٠ وعددت لها كل ماتستطيع أن تفعل من أجل نفسها ومن أجلنا ٠٠

– اى هراء هذا الذى قلته ؟٠٠ الم تحدثيها عن الحب ، والأسفار ، وضوء القمر فى ايطاليا ؟٠٠ الم تضربى لها على كل وتر يثير العواطف والاحلام والخيال ؟٠٠

– كلا يا أليسيا ٠٠ لست بارعة فى ذلك ٠٠

واستردت اليسيا مظهر المهابة والجلال حين أقبلت « جيجى » ٠٠ وما لبثت أن قالت لها مرحبة : « ماهذا الذى سمعت ؟٠٠ أحقا انه صار لك عشيق ؟٠٠ وأى عشيق ! انها ضربة موفقة فى أول مغامرة لك ! »

ونكست جيلبيرت راسها ، وابتسمت فى تحفظ ، وقد اضفى لون عينيها – الذى امتزجت فيه الزرقة بالبنفسجية – ولون شفتيها الاحمر ، على وجهها جمالا ٠٠

واستأنفت الخالة أليسيا حديثها قائلة : « ويبدو أنك اتخذت دور الفتاة الغبية ‥ وانك أنشبت أظافرك فى مسيو لاشيل ‥ مرحى !‥ يا لفتاتنا الباسلة ! »

وتطلعت اليها جيلبيرت غير مصدقة ، فاستطردت : « أجل ‥ برافو !‥ ان هذا لن يزيده الا سعادة حين تتلطفين معه فى المرة المقبلة ! »

– ولكنى لن أتلطف معه يا خالتى . كل ما هنالك ، اننى ‥ لست راغبة !

– أجل ، نحن نعرف ! لقد جعلته ينصرف من هنا ليذهب الى مصانع السكر ‥ هذا جميل !‥ ولكن لا تضطريه الى أن يذهب الى الشيطان ، فهو على استعداد لذلك ‥ ألست تحبينه ؟

فهزت الفتاة كتفيها فى حركة صبيانية وقالت : **« بل أنا شديدة الميل اليـه ‥ »**

– هذا عين ما قلت : انك لا تحبينه ! – ولو أنه لا ضير فى هذا ، فانه يجعلك حرة فى أن تفعلى ما يروق لك ! – ولكن ، آه لو كنت مدلهة فى حبه ‥ ان لاشيل من ألطف الشبان مظهرا ، ويكفى أن تتأملى جمال جسمه فى الصور التى التقطت له بثوب السباحة فى (دوفيل) ‥ انه مشهور بجمال جسمه ‥ أجل ، لشد ما أنا آسفة لأجلك يا جيجى ! آسفة اذ تضيعين الفرصة فى أن تبدئى حياتك بحب مشبوب ، وتذهبا وحدكما الى الجانب الآخر من الكرة الارضية ، حيث تنسين كل شىء فى أحضان رجل يحبك ‥ وتنصتين الى أنشودة الحب فى ربيع أبدى !

– فاذا ما انتهى الربيع الأبدى ، هجرنى مسيو لاشيل مع سيدة أخرى !‥ أو هجرت أنا مسيو لاشيل ، فيبادر الى فضح القصة كلها ‥ ثم لا ألبث أن لا أجد بدا من أن أندس فى سرير رجل آخر ! ‥ لا ، لست أبغى هذا ‥ لست بفطرتى متقلبة !

وعقدت ذراعيها على صدرها وهى ترتجف ، وقالت لجدتها :

– أريد أن آوى الى سريرى ‥ اننى أشعر ببرد ‥

فانفجرت الخالة أليسيا صائحة : **« أيتها الحمقاء ‥ انك لاتستحقين سوى أن تكونى زوجة بائع خردوات ، أو كاتب صغير فى مصرف ‥ »**

وتحسست مدام ألفاريز جبين الفتاة ، وسألتها : « أتحسين بوعكة ؟ »

– اننى بخير يا جدتى ، ولكننى محزونة ‥

وألقت رأسها على كتف جدتها ، وأغلقت عينيها – للمرة الاولى – فى أسى وحيرة المرأة الواعية ‥ فتبادلت الاختان النظرات ، ثم قالت مدام ألفاريز :

« يجب أن تعلمى ياحبيبتى جيجى ، اننا لا نبغى أن نعذبك الى هذا الحد .. اذا كنت حقا غير راغبة .. »

– **أعرف يا جدتى .. ومع ذلك فانا محزونة ..**

ونطقت الاختان فى وقت واحد : « ولماذا ؟ »

وانحدرت دمعة من عينى الفتاة ، ولكنها لم تجب .. او تجففها .. ودوى اذ ذاك رنين جرس الباب فى الحاح جعلها تقفز واقفة ، وهى تهمس : « لابد انه القادم .. أنه .. هو !.. لااريد أن أراه ياجدتى !.. خبئينى ياجدتى ! »

وأسرعت الخالة أليسيا تفتح الباب ، ثم عادت .. وقد أقبل خلفها جاستون لاشيل بعينين محتقنتين .. يقول :

– نهارك سعيد يا ماميتا ! .. نهارك سعيد يا جيجى ! .. أرجو أن لا تتجشما عناء القيام .. لقد جئت لأسترد قبعتى ..

ولم تنبس احدى النساء الثلاث ببنت شفة ، فبدأ يفقد هدوءه المصطنع .. وأردف : « لا أقل من أن تجبن على تحيتى !؟ »

فتقدمت جيجى خطوة نحوه وقالت : **« لا .. لم تات لتسترد قبعتك ، ففى يدك واحدة أخرى .. وما كنت لتابه لقبعة .. انما جئت لتزيد شقوتى وبؤسى ! »**

فصاحت مدام ألفاريز غاضبة : « حقا !.. هذا أكثر مما أحتمل ياجيجى.. »

– أرجوك يا جدتى .. دعينى أفرغ ما لدى .. لحظة واحدة ..

وبحركة غريزية مدت يدها فسوت من ثوبها ، وسارت الى جاستون قائلة : « لقد كنت أفكر يا جاستون طيلة الوقت .. والواقع اننى فكرت كثيرا .. »

فقاطعها ليوقفها عن قول ماكان يخشى : « اقسم لك ياحبيبتى .. »

– لا .. لا تقسم .. لقد فكرت ، فوجدت اننى أوثر أن أكون تعيسة معك ، على أن أكون تعيسة بغيرك ، ومن ثم ..

وتلعثمت .. ولكنها قاومت وأكملت : « ومن ثم .. فاهلا بك ياجاستون ! » وصعرت له خدها ليقبلها كالمعتاد ، فأطال قبلته أطول مما اعتاد .. حتى احس بعضلاتها تتراخى ، وشعر بها تهدأ بين ذراعيه !.. وهمت مدام ألفاريز بأن تجرى اليها ، ولكن أليسيا أمسكت بها وهمست :

– دعيهما وشأنهما .. لا تتدخلى .. ألا ترين أنها بعيدة عن أى تأثير لنا ؟

وأشارت الى جيجى التى كانت قد أسندت رأسها ذا الشعر الذهبى الغزير على كتف لاشيل ، فى اطمئنان ..

وتحول الرجل السعيد الى مدام ألفاريز يقول : **« ماميتا .. هل تولينى الشرف ، والسرور الغامر الذى لا حد له ، فتمنحيننى .. « يد » جيجى .. لتكون زوجة لى ؟ »**

نحن وأكبادنا

البيت والعائلة والطفل

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى اعداد سالفة عددا من القصص الكلاسيكية ، المبسطة خصيصا كى يقراها الصبيان ، او يقراها الكبار ثم يحكونها لاطفالهم ..

وابتداء من العدد (٣١) قدمت لك فى هذا الباب مادة من نوع آخر .. فهى ليست للاطفال ، وانما عنهم .. ذلك ان علم النفس الحديث قد فتح آفاقا فسيحة لمحاولة اتاحة اكبر قسط ممكن من السعادة للانسان فى مختلف مراحل حياته ، عن طريق فهم ومعالجة نفسيته منذ نعومة أظفاره ، ومن ثم تربيته التربية الصحيحة التى تكفل له نفسا سليمة من العقد والمنغصات وامراض الشخصية .. كما تكفل له جسما سليما من العلل والامراض البدنية

وفى الصفحات التالية اقدم لك المحاضرة الرابعة من سلسلة محاضرات اعدها خصيصا للامهات والآباء نفر من اشهر الاخصائيين الفرنسيين فى علم « تربية الطفل »

مدرسة الآباء - ٢

الطفل والأسرة

للدكتور اندريه بيرج
الإخصائي في تربية النشء

ترجمة الاستاذ كليم أبو سيف

دستور التربية

وهذه محاضرة جديدة من سلسلة محاضرات « مدرسة الآباء » بجامعة باريس ، نتابع بها هذه السلسلة القيمة التى لاقت نجاحا هائلا عند القائها فى العاصمة الفرنسية ، وتلقى اليوم نجاحا مماثلا منذ اخذنا فى نشرها على صفحات « كتابى » ابتداء من العدد (٣١) ، كما يتضح من رسائل وتعليقات القراء الاعزاء التى تلقيتها فى هذا الصدد من كثيرين من الآباء والامهات .

الطفـــل .. وأبواه

◆ **ان** « مهنة الوالدين » لمهنة محفوفة بالصعاب . وليس فى الاستطاعة أن يؤدى الوالدان عملهما ارتجالا ، بل عليهما ان يستعدا لدورهما استعدادا كبيرا . **وما من شك فى ان أخطاء كثيرة ترتكب فى تربية كل طفـــل .. ولكن مهما تكن هذه الاخطاء ، فان هناك حقيقة ناصعة تبقى على الايام ، وهى انه « من حسن حظ الطفل أن يكون له أبوان ! »**

.. هذا بالطبع اذا كان الوالدان يفيضان حنانا على ابنائهما ، ويبذلان من ذات روحيهما للعناية بهما والسهر عليهما وعلى تربيتهما وتنشئتهما تنشئة صالحة صحيحة . اما اذا كان الأمر على العكس ــ وكثيرا ما يكون ــ فقد حقت على الوالدين تلك الكلمة التى تتدفق مرارة ، وتنزف دما ، التى قالها « يوال دي كاروت » وهو يتلوى من الألم من سوء معاملة والديه ، وقسوتهما .. فقد قال ذلك التعس « لم يرزق كثير من الاطفال « نعمة » اليتم مع الاسف الشديد ! »

والدور الأول والرئيسى الذى يقع على عاتق الابوين هو أن يسدا حاجة أولادهما من الحنان ، والامان .. والرعاية !

فالحاجة الى الرعاية : تستدعى ان يمكنا لابنهما من أن يؤدى العمل الذى يوائم طبيعة تكوينه !

والحاجة الى الأمان : لازمة لان الطفل الصغير يبحث عن قوة تحميه من ضعفه ومما يحيط به من أخطار مادية ، ونفسية ، وعاطفية !

والحاجة الى الحنان : يتطلبها الطفل من والديه قبل ان يتطلبها من اى مخلوق آخر .. فهو يحتاج ، لكى يطرد نموه ، الى جو مشبع بهـــذا

الحنان . وقد أجرى الطبيب الامريكى المشهور الدكتور « سبيتز » تجارب عديدة فى نيويورك ، أثبتت عمليا أن الطفل لا ينمو ولا يتقدم صحيا الا بعد أن « يتعاطى » كمية غزيرة من حنان أبويه ! **.. كما أجرى عدة تجارب أخرى عن الاثر الذى يتركه فقد الأم – أو فقد الشخص الذى يعنى بالطفل يحنو عليه – فى السنة الاولى من حياته** ، (وهى الفترة التى يكون الطفل فيها أشد حاجة الى الحنان والرعاية منه فى أية فترة أخرى من حياته ، لانه بعد انقضاء هذه الفترة يدخل فى فترة أخرى اكثر نشاطا ، يستطيع خلالها أن ينمو معتمدا على نفسه) **..نقول ان التجارب المذكورة أثبتت وجود فارق كبير فى النمو والتطور بين الطفل الذى حرم من الحنان ، والطفل الذى تربى فى اعطافه ! وقد اجريت هذه التجارب على اطفال من جميع الاجناس ، فكانت النتيجة واحدة بالنسبة للجميع !**

والملاحظ ان الطفل الذى يحرم من أمه يقضى الشهر الاول بعد فراقها ، هادئا .. ثم يأخذ بعد ذلك فى البكاء كلما دنا منه شخص غريب ، وتنطبع علامات الألم على وجهه شيئا فشيئا ، ويتعلق بمن يحمله بين ذراعيه تعلق اليائس ! .. وبعد انقضاء شهرين يكف الطفل عن البكاء ، ويستعيض عنه بمواء كمواء القطط .. ويصبح هؤلاء الاطفال المحرومون – وهم فى فراشهم – اشبه بكلاب الصيد ، فى انطوائهم وتحفزهم .. كما لوحظت كثرة اصابتهم بالحوادث : كأن يصطدموا بالاشياء المحيطة بهم ، أو يصيبوا انفسهم بجروح **.. بل ان ذلك الطفل الذى كان فى البداية بادى النشاط والذكاء والمرح ، يصبح بعد خمسة أشهر من حرمانه العاطفى وقد اخذت تظهر عليه علامات اقرب الى بوادر البلاهة !**

.. فاذا انقضى عام آخر ، ازداد ألم الطفل – من ناحية الوعى والادراك – وقل ألمه الجسمانى .. بمعنى ان نمو جسمه يأخذ فى الاضطراد بصورة طبيعية ..

هذه المشاهدات المؤلمة تسلط النور على حقيقة تبدو فى ظاهرها طبيعية ، لكن قليلين من الآباء يقدرون اهميتها العظمى ، وهذه الحقيقة هى « ان الطفل فى حاجة قصوى الى ان يكون محبوبا » .. ذلك ان هذه المحبة ضرورية للغاية لاضطراد نموه العادى : الجسمانى والنفسانى على السواء !

العناية النفسانية الزم للطفل من العناية الجسمانية !

◆ **وقد** يلاحظ شىء من التناقض احيانا بين العناية الصحية بالطفل ، والعناية المعنوية : فالاولى تكفل له أقصى ما يحتاج اليه من عناية للمحافظة على صحته من الناحية الطبية .. أما الثانية فتتجه الى ضرورة توفير الحنان

له . وقد شوهد ، بما لا يقبل الشك ، ان الاطفــــال المدللين يتقدمون ويزدهرون اكثر من اولئك الذين شبوا فى جو محروم من الحب والحنان ، (ولو توفرت لهؤلاء الاخيرين العناية الوافرة بصحتهم، من الناحية الطبية !) .. ذلك لأن الاتصال المباشر « الشخصى » بالطفل هو الضمان لازدهاره ونموه الجسمانى ، نموا يزيد على مقتضى سنه .. بل هو الضمان الوحيد لنموه النفسانى ايضا !

ولقد لوحظ بعد تجارب ومشاهدات عديدة ، ان العناية النفسانية بالطفل اعظم اهمية بالنسبة له من العناية الطبية ، حتى لو بلغت هذه الاخيرة اكمل صورها واتمها .. ففى بعض المستشفيات التى ضمت بعض الاطفال المرضى ، بلغت العناية الطبية بهم ذروتها من حيث التعقيم والتطهـــير والعلاج واتباع الشروط الصحية الدقيقة معهم ومع المشرفين على تمريضهم على السواء .. ومع ذلك فقد سجلت الاحصاءات نسبة فى وفيات الاطفال فى تلك المستشفيات تفوق نسبتها فى مستشفيات اخرى كانت العنــاية الطبية فيها بالاطفال المرضى اقل دقة وصرامة ! .. ثم تبين ان الممرضات المشرفات على العناية بالاطفال فى الأخيرة ، يغالين فى احاطتهم بالحنــان والعطف والتدليل ، ولو على حساب الشرائط الصحية فى بعض الاحيان ..

والذى لا شك فيه ان « الافراط » و « التفريط » كلاهما مضر .. لكن من الامثلة المشاهدة ان الاطفال الذين يمرضون الى حد التعرض للخطر ، قد تكون فرص نجاتهم - اذا كانوا محاطين بعطف بالغ - أكبر بكثير مما لو استخدمت فى علاجهم كل الوسائل الطبية والعلمية بدون الالتفات الى تلك الناحية النفسانية الرئيسية ، ذات الأثر الفعال فى حياة الطفل المريض ، وهى ناحية توفير « جرعات » غزيرة له من الحب والعطف والحنان !

وعليه فالطفل يتلقى دروسه الأولى فى الحب عن والديه ، فهما واسطة اتصاله الاول بالبشرية .. ومن هنا كانت أهمية الوالدين وتأثيرهما فيه ؛ فهما بالنسبة له القوة الحارسة المسعفة ، التى تعوضه عن الضعف الذى يستشعره فى نفسه !

ويمكن أن نقسم العلاقات بين الآباء والأبناء الى ثلاثة اقسام ، تختص كل منها بفترة معينة من فترات تطور الطفل :

فالقسم الأول يختص بالفترة التى تكون فيها الأم بالنسبة له «كل شئ» .. ويمكن ان نسميها فترة « حكم الأم » !

والقسم الثانى يختص بالفترة التى يكتشف فيها الطفل حقيقة كانت مجهولة بالنسبة له الى ذلك الحين ، وهذه الحقيقة هى : أبواه «الزوجان» !

والقسم الثالث يختص بمسلك ثالث للطفل . وهذه الفترة هى التى

تكون أثناءهـــا شخصيته ويكتسب فيها بعض الأســـتقلال ، مع احتفاظه بالعلاقات الوثيقة التى تربطه بوالديه . وهذه المرحلة هى التى يمكن ان نسميها مرحلة « انتقال السلطات » .. اذ يتعين على الآباء فيها ان يسلموا أولادهم وبناتهم أعنة الحكم ليديروا دفة « حكوماتهم » بأنفسهم !

الفترة الاولى : حكم الام

◆ فى هذه الفترة يشترك الطفل اشتراكا « كليا » فى حياة أمه .. وهذا يفسر التأثير المفجع الذى يطرأ عليه اذا فقد أمه اثناءها . وقد أجرى « الدكتور سبيتز » سلسلة من الأبحاث عن مدى تأثير الأم فى الطفل فى هذه الحقبة من الزمن ، ودرس بصفة خاصة « هوايات الطفل » ، فلاحظ أن بعض الأطفال يغرم فى تلك الفترة غراما كبيرا بالأراجيح ، فهم لا يتعبون من التأرجح ساعات طويلة .. والبعض يستغرق استغراقا كليا فى بعض اللعب الفنية حتى لتنسيه كل شىء عن العالم الخارجى المحيط به ! .. وهكذا تمكن الدكتور سبيتز من أن يقيم الدليل على وجود صلة بين نزوات الطفل هذه وبين خلق الأم ومسلكها نحوه فى هذه المرحلة . وأثبت ان اللعب الفنية التى يستغرق فيها الطفل بكلياته وجزئياته ان هى الا تعويض له عن ابتعاد أمه عنه وتركها اياه وعدم حنوها عليه ، لأن هذه الأم - بدورها - قدتتعاقب عليها هى نفسها أزمات متقطعة من الفتور والحماسة ..

كذلك وجد البحاثة أن رفض الاطفال تناول غذائهم ، له صلة بمسلك الأم نحوهم فى كثير من الأحيان .. فقد لا يمتنع الطفل عن تناول غذائه اذا تناوله من يد شخص آخر غير يد أمه ! .. وهو يمتنع عن تناول طعامه من يدها لأنه بالفريزة يحس بالألم الذى تستشعره هى من خشيتها ان لا يتناول هذا الطعام ! .. فتصرف الطفل فى هذا الأمر يفصح بوضوح عن حقيقة تصرف الام : فاذا أبدت الام عدم اكتراثها به اذا هو لم ياكل ، اقبل فى اغلب الأوقات على الأكل .. والعكس صحيح . وهذا الاحساس الغامض عند الطفل هو ما يسميه الانجليز ((الافراط فى الحماية)) !

الفترة الثانية

اكتشاف الطفل حقيقة أبويه ((الزوجين)) !

◆ والمشكلة هنا تتناول علاقة الطفل بجميع من يحيطون به ، وليس بأمه فقط . ففى هذه الفترة يلاحظ الطفل انه ليس الوحيد فى حياة أمه ،

بل ان هناك « صلة » بين أمه وأبيه ! ويحس انه كان لا يساوره شك فى تلك الصلة الى هذه اللحظة ، ولكنها الآن آخذة فى الاتضاح له يوما بعد يوم ! .. ورد الفعل الذى يبدو عليه عند ما يرى أبويه يقبل أحدهما الآخر ، يتميز بطابع خاص : فهو يظهر شيئا من « عدم الرضى » .. ثم يحاول ان يقف حائلا بين الاثنين ليتلقى هو قبلة من كلا الجانبين ! .. ثم يأتى الوقت الذى ينحاز فيه لأحد والديه انحيازا واضحا لا يتردد فى الافصاح عنه . ولهذا الانحياز ظاهرتان : فالظاهرة الأولى تنحصر فى انجذاب الطفل الى أحد والديه (هذا الأنجذاب الذى يكون عادة نحو الأب اذا كان الطفل بنتا ، ونحو الام اذا كان الطفل ولدا) .. بينما يبدأ عداؤه « للولد الآخر » فى النمو بقدر ما يبديه هذا الوالد الآخر من تعلق بالطفل الآخر ! .. ويخطىء الوالدان اذا قلقا من هذه الظاهرة ، فهى على العكس علامة «النمو الطبيعى» المرغوب فيه عند الطفل ! .. ولن يلبث الطفل أن يجتازها الى فترة أخرى تبدأ فيها العرى بينه وبين أمه فى الانفصام ..

والظاهرة الثانية هى أن الحب المطلق الذى يبديه الابن نحو أحد والديه فى تلك المرحلة يجعله يتطلب انفصال الوالدين ، الزوجين ، أحدهما عن الآخر ! وهنا يأخذ الابن فى الطغيان ، فهو يصمم على أن يظل باب حجرة نوم والديه مفتوحا أثناء الليل .. وهو لا يريد أن يرى صلة بينهما أو رابطة أخرى تربطهما الا هو ، ولا شىء غيره ! .. فهى مأساة الغيرة والحب اللتين يضطرم بهما ضمير الطفل . ويجب الا نغفل حقيقة غريبة هنا : هى ان الوالد الذى لا يحبه الطفل كزوج لأمه ، يظل يحبه مع ذلك كأب ! ولا شك أنه من سوء حظ الابن أن يلتقى حبه وكراهيته فى شخص واحد .. وعلى هذا النحو !

ومن السهل أن نعرف مشاعر الطفل فى تلك المرحلة ، فنحن نسمعه يقول مثلا : « عندما أكبر .. سأتزوج أمى ! » .. وهو بذلك قد ألغى وجود الوالد هنا الغاء لا تكلف فيه ، ولا ينم عن أى خبث أو شر ! .. وفى كتاب «قصص لويزا دبس » سجلت المؤلفة تسجيلا رائعا ، المسلك الخاص بكل طفل حسب شخصيته ، فى القصة الآتية :

كان هناك عش للعصافير فى احدى الغابات . وكانت تقيم فى هذا العش أسرة من العصافير مكونة من : العصفور الاب ، والعصفورة الام ، والعصفور الابن .. فهبت عاصفة طار على أثرها العصفور الاب الى شجرة ، كما طارت العصفورة الام الى شجرة أخرى .. فماذا يصنع العصفور الابن ؟!

وجهت لويزا هذا السؤال الى عدد من الاطفال ، فتلقت اجاباتهم عنها .. ومنها تتضح شخصية الطفل ، وميوله على حقيقتها ..

فقد أجاب فريق بقوله : « يطير العصفور الابن الى الشجرة التى عليها

ابوه ! »(وهذا فريق الاطفال المنحازين الى الاب !)

.. **واجاب فريق آخر بقوله** : « يطير العصفور الابن الى الشجرة التى عليها أمه ! » (وهذا فريق الاطفال المنحازين الى الام !)

وأجاب فريق ثالث بقوله : « يطير العصفور الابن الى شجرة ثالثة (وهذا فريق يتميز باستقلال الشخصية !)

واجاب فريق رابع بقوله : « يظل العصفور الابن على الارض حتى يأتى من يبحث عنه ويحمله معه» (وهذا فريق يتميز بضعف الشخصية وعدم القدرة على الاعتماد على النفس .. اى أنه فريق سلبى !)

ومن هذا نرى أنه يمكننا أن نميط اللثام عن شخصية الطفل وحقيقة مشاعره بدون أن نوجه اليه أسئلة مباشرة تتعلق به ..

والآن ، كيف السبيل الى تسوية هذه المشكلة تسوية حسنة ؟

يعمد بعض الآباء الى تجاهل وجودها ! ولكن تجاهلها لا يحلها . ومن ناحية أخرى فان الغيرة لا تتعارض مع الحب الحقيقى ، فالمشكلة فى كثير من الاحوال قد تكون داخلية .. ولهذا فهى أحوج ما تكون الى حل يجنبنا متاعب مختلفة قد تظهر فيما بعد ! .. **فاذا حدد الطفل مشاعره ـ سواء كانت حبا او بغضاء ـ نحو أحد والديه ، تحديدا عميقا ، فقد يكون ذلك راجعا الى أن احد الوالدين يتخلى عنه أو يظهر عدم اكتراث بانفعالاته العاطفية : وذلك بأن يتباعد ويتعالى على ابنه ، أو يقسو عليه ، أو لا يعرف كيف يعالج الامور معه .. وهناك خطر من هذا « التركيز العاطفى » لمشاعر الطفل على الأب أو الام ... لان من شأنه أن يعوق تقدم الطفل فى المجتمع ..**

فما هو العلاج ؟!

العلاج هو أن نتجنب « الافراط » معه فى كل شىء : كالافراط فى الحنان مثلا ! .. والافراط فى اظهار الحب أو الخلافات الزوجية أمامه ـ فلا شك ان سر العلاقة بين الابوين ، وتفسير الطفل لهذه العلاقة ، لهو من العلامات المميزة فى حياة الطفل فى هذه الحقبة الحساسة من حياته ..

وقد روت « لويز دبس » القصة التالية فى هذا الصدد ، وهى تبين لنا « غور » حساسية الطفل بازاء والديه : كان اليوم يوافق عيد زواج الوالدين، فأقاما حفلة سمحا لابنهما بحضورها .. وفى أثناء الحفلة ترك الابن مكانها وذهب الى ركن فى الحديقة ظل فيه وحيدا .. **فلما سئل عن السبب أجاب اجابة تميط اللثام عن حقيقة ومدى حساسيته بالنسبة لعلاقة أبويه «كزوجين» ،اذ جاهر بأنه «غير راض» عن هذا الزواج ! .. وقال أحد شهود الحفل ان الطفل لم يكن موضع العناية الكافية اثناءه .. الى حد جعله « مشمئزا » من المناسبة كلها !**

أهى الغيرة التى بدأت تستيقظ فى الطفل مع الغريزة الجنسية ؟! ان كثيرين من الاولاد يحاولون اسدال قناع على حقيقة شعورهم فى أمثال الحالات السابقة ، فلا يجيبون مثل هذه الاجابات الصريحة .. بل يقولون مثلا . « لقد تركنا الحفلة لنقطف بعض الزهور فى الحديقة ! »

وهذا يأتى بنا الى الحقيقة التالية ، وهى اننا لكى نضع الابن فى مكانه الصحيح ، يجب علينا ان نفهمه أولا وقبل كل شىء حقيقة « جنسه » .. وان نجعله يتصرف وفقها تماما . **فهناك آباء « مخنثون » فى شعورهم ، يحبون أبناءهم حب الامهات !! كما ان هناك أمهات مسترجلات فى هذا الشعور ، يحببن أولادهن حب الآباء ! .. وهذا الاختلال فى المشاعر يجعل الابناء فى حيرة من معرفة مركزهم بالنسبة للجنسين .. ودورهم الحقيقى او وظيفتهم فى الحياة ! ولنتجنب اهمال اراحة ذهن الطفل من هذه الناحية ، فالطفل المهمل يتعذب كما يتعذب الطفل الذى يعامل بالشدة والقسوة .. بل كما يتعذب الطفل من فرط ما يلاقيه من « حنان غشوم! » .. وهناك أولاد يتعذبون مما يلاقونه من مسلك آبائهم « غير الطبيعى » بازائهم** : مثال ذلك الطفل الذى يجد نفسه ، بفضل مسلك أبويه المعيب ، قد احتل فى المنزل - لا مكان الابن - بل مكان أحد الابوين ! .. فهذا يضايقه لانه يخرجه عن الاطار الذى يحب أن يرى نفسه فيه . واسوأ من ذلك مثال الابن «الوحيد» الذى ينتهى به الامر الى أن يرى نفسه بفضل تصرفات أمه وقد احتل فى المنزل مكانة « أكبر » من مكانة أبيه ! .. وعندما تركز الام عواطفها نحو ابنها بشكل عنيف ، يحدث للطفل « اختلال نفسانى » قد تكون له مضاعفات شديدة عليه فى المستقبل !

وعلى العموم ، لا خطر على الاولاد من الناحية الجسمانية أو النفسانية أو العاطفية ما دام كل من الاب والام يؤدى وظيفته الطبيعية بازائهم ، بحيث يظل الاثنان متعاونين متحدين فى أداء دورهما فى الاسرة بلا اختلال . ولكن هناك خطر على حياة الاولاد الجسمانية والنفسانية والعاطفية اذا ظهر اختلال أو شذوذ فى حياة الزوجين أو تصرفاتهما !

الفترة الثالثة

الفترة الشخصية والاجتماعية : «مرحلة انتقال السلطات» !

◆ وهذه فترة دقيقة فى علاقات الطفل بأبويه ، لانه بالرغم من بقائه ملتصقا بأبويه أثناءها ، الا انه يأخذ فى اكتساب شخصية مستقلة بالتدريج ، ويأخذ أفقه فى الاتساع الى أبعد من مدى أفق الاسرة !

وفى العادة يتخذ الابن اباه انموذجا فى هذه المرحلة ، فهو يقلده فى كل ما يعمل ـ كما تكون الام أنموذج البنت ـ وتقليد الابن لابيه يحوى فى ثناياه قبولا مؤقتا من الابن لتفوق الانموذج الذى يحتذيه .. الا ان هذا القبول لا يلغى المنافسة بينهما ! فالابن يريد اولا ان يعمل مثل ابيه . ولكنه يريد بعدئذ أن يفوق أباه فيما يعمل اذا أمكنه ذلك ! وواجب الاب ان لا يضع العراقيل أمام ابنه فى هذا السبيل ، كما انه يتعين عليه ان لا يحاول مساعدة ابنه بطرق صناعية !

وأثناء هذه الفترة التى تسبق البلوغ عادة يكون الابن قد تجمع لديه من التجارب ما يريد الاستفادة منه . فعلى الآباء أن يقبلوا زوال صفة «الالوهية» عنهم بازاء أبنائهم فى هذه المرحلة . وعليهم كذلك ان يساعدوهم على نبذ خرافة « عصمة الوالدين » ! ولكن بدون ان يصدموهم . فمن الصعب جدا ان تحكم على انسان أو تنتقده دون أن ينقص انتقادك له من حبه اياك .. فعلينا ان نجمع هذين النقيضين ـ وان نفهم شدة وقع هذا فى نفس بعض الابناء ـ فنجعل أبناءنا يحبوننا دون ان يكونوا مكرهين على هذا الحب ! .. ذلك لان الابناء الذين يرزحون تحت عقيدة « تفوق الآباء » يقعدون عن التقدم ، لان حصولهم على تفوق مماثل لتفوق آبائهم يبدو لهم بعيد المنال !

هذه الازمة التى يجتازها الابناء هى فرصة لانبثاق كثير من المشاعر وتفاعلها .. فوجود بعض الشحناء بين أعضاء الاسرة الواحدة هو الضريبة الحتمية التى تدفعها الاسرة ثمنا لاتحادها الحقيقى العميق .. ولنضرب مثلا بأسرة متحدة « اتحادا شاذا » ـ اذا صح هذا التعبير ـ أى انه لم يحدث بين أفرادها اشكال أو شحناء قط ، فالانسجام بين أفرادها تام شامل لا نشاز فيه ، فقد حدث أن سئل أفراد أسرة من هذا الطراز ، كل على حدة ، عن الزواج .. فكان ردهم جميعا يدعو الى العجب : ان كل فرد منهم يحلم بالزواج خارج بلاده !.. فما معنى هذا ؟ معناه ان الشحناء المكبوتة بين أفراد هذه الاسرة ، والتى لم تظهر ، بدأت تعبر عن وجودها فى قالب آخر، وهو « الرغبة فى الفرار » ! الفرار من هذا السكون المطبق ، و «الانسجام الخانق » ، والركود العاطفى الآسن !

والخلاصة ، ان الحب «الحقيقى» الذى يضمره الفرد لاهله وذويه ليس هو ذلك « الخضوع العاطفى الصارم » لهم .. بل ان على الآباء أن يوفروا على الابناء الألم الذى يستشعرونه من هذا الخضوع ، حتى يحرروهم منهم تحريرا عاطفيا طبيعيا .. هذا التحرير العاطفى الذى يعتبر المظهر الصحيح لنمو جسمانى ونفسانى متجانس متسق !

وفى العدد القادم تقرأ المحاضرة التالية فى هذا البحث الممتع

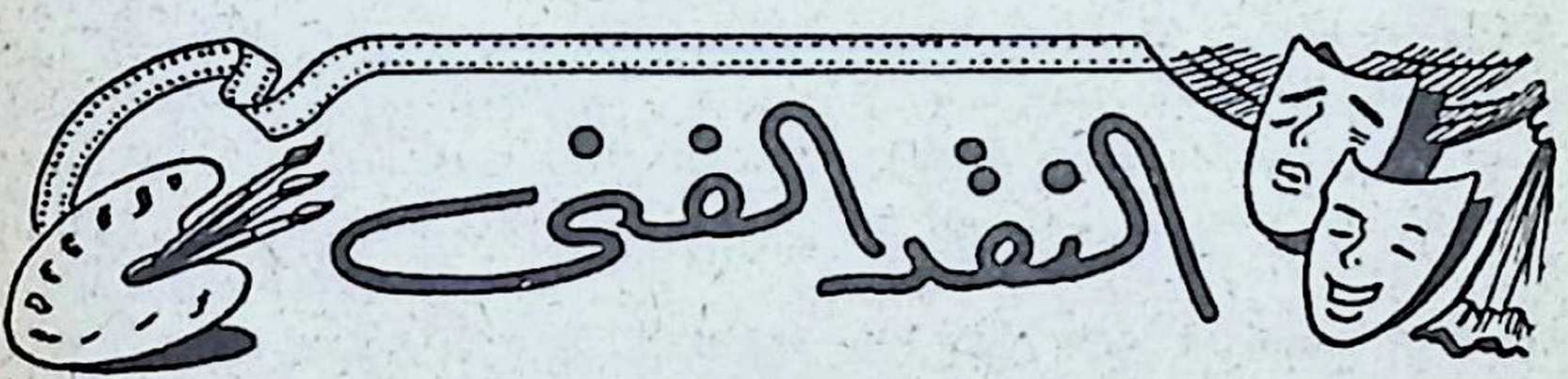

موسم الاوبرا
برنامج حافل

◆ .. بل انه برنامج فنى نادر المثال، هذا الذى وفق الفنان الكبير الاستاذ عبد الرحمن صدقى - مدير دار الاوبرا - الى تنظيمه لرواد الدار فى هذا الموسم ، تمشيا مع سياسة تخصيص أشهر الشتاء الثلاثة لتقديم ألوان ممتازة من الفن المسرحى العالمى - التمثيلى والغنائى والراقص - لعشاق هذه الانواع الثلاثة من خاصة المصريين ، والاجانب ، وزائرى القاهرة من السائحين الوافدين عليها من كافة أنحاء العالم ..

وقد قسم البرنامج الى ست فترات

الاولى (من ١٥ ديسمبر الى ٥ يناير) : خصصت للتمثيل الفرنسى

والثانية (من ٧ - ١٢ يناير) ستحييها - لاول مرة فى مصر - فرقة أوبرا من الامريكيين السود ، تتألف من ٧٥ مغنيا من ذوى الاصوات الجبارة

والفترة الثالثة (من ١٩ - ٢٤ يناير) : خصصت لفرقة باليه « ايفيت شوفيريه » الراقصة الاولى بأوبرا باريس ، وزميلها العالمى « جان بابيليه »

والفترة الرابعة (من ٣٠ يناير الى ١٣ مارس) : خصصت لفرقة الاوبرا الايطالية ، التى ستقدم فى هذا الموسم أوبرات : عايدة ، مدام بترفلاى ، شهر زاد ، توراندوت ، فتاة الغرب الذهبى ، التروفاتورى .. فضلا عن « السمفونية التاسعة » لبيتهوفن ، التى ستعزف فى مصر لاول مرة

ثم تلى ذلك **الفترة الخامسة** من برنامج الموسم، (من ١٥ مارس الى ٤ أبريل)، وفيها تشاهد القاهرة للمرة الثانية فرقة باليه المركيز دى كويفاس التى لاقت نجاحا كبيرا فى الشتاء الماضى ..

أما **الفترة السادسة** والاخيرة فسوف تقدم فيها دار الاوبرا لروادها مجموعة أخرى من المسرحيات الفرنسية الدسمة

و «كتابى» لا يسعه الا ان يهنىء الاستاذ عبد الرحمن صدقى بتوفيقه فى حشد كل هذه العناصر الممتازة فى موسم واحد ، ويشكره على المجهود الضخم الذى بذله كى يتيح لهواة هذه الفنون من سكان القاهرة وزائريها متعة اشباع مشاعرهم الفنية بتذوق هذه البرامج التمثيلية والموسيقية العالمية ..

الممثلة الفرنسية القديرة « ميشيل الفا » نجمة الفرقة المسرحية وبطلة رواية « أمل »

وحرصا من المحرر على اشراك قرائه معه فى الاستمتاع بهذه الفنون الرفيعة ، يخصص كتابى صفحات من كل عدد - ابتداء من الآن حتى نهاية الموسم - لتقديم عرض موجز لما يقدم للجمهور خلال الشهر من هذه البرامج .. وفيما يلى عرض للمسرحيات التى قدمتها فرقة الكوميدى الفرنسية ابتداء من منتصف ديسمبر المنصرم :

أمـــل !

◆ هو عنوان مسرحية الافتتاح ، وهى من تأليف الكاتب الفرنسى الفحل « هنرى برنشتاين » - الذى يعرفه قراء العربية من كثرة ما لخص من مسرحياته بالعربية خلال ربع القرن المنصرم - وهذه المسرحية تعالج مشكلة هامة معروفة من مشكلات الاسرة فى كل بلد وكل جيل ، هى مشكلة تفريق الامهات فى معاملة بناتهن ، تبعا لاختلاف الآباء !

والام فى هذه القصة هى « تيريز » ، وهى امراة أنيقة ذات خلق «مجرح» ، مات زوجها الاول فى حادث سيارة - بعد أن انجبت منه ابنة هى «كاترين» - فتزوجت من رجل نبيل من مستشارى الدولة ، هو مسيو « جواناد » ، الشريف ، الثرى ، الذى يكبرها فى السن ويخلص لها الحب .. لكن نكبته هى ضعف شخصيته وخضوعه لسيطرة زوجته ! .. ورغم انه انجب من زواجه ابنة هى « سولانج » - التى تشبه أمها فى كل طباعها ، و «خفتها» ، وحبها للسهرات والحفلات وقضاء نصف حياتها خارج البيت ! - الا أن الزوج يحب الابنة الاولى لزوجته ، وهى كاترين ، اكثر من حبه لابنته التى

من صلبه ، ولحمه ودمه ! ·· وهو يحب كاترين لانها انعكاس لخلقه وشخصيته: هادئة ، نبيلة ، مهيضة الجناح ، تشعر بأن أمها تفضل عليها اختها الجديدة سولانج ، فتنطوى على نفسها ، وتجتر أشجانها فى صمت ! ·· بل يبلغ من اجرام أمها انها تعطل كل مشروع زواج لها ، وتنفر خطابها بشتى الحيل ، حتى باتت التعسة فريسة لليأس الممض من أن توفق يوما الى زوج ··

ويتقدم شاب ممتاز هو «تيبرى» فيخطب أختها سولانج ، التى جذبته بأناقتها ومرحها وروحها الرياضية ، لكنه لا يلبث ان يكتشف حقيقة «الروح» التى تعيش خلف هذا المظهر الخلاب ·· فيستدير عنها مشمئزا الى الاخرى: كاترين ! ·· وتثور ثائرة الام لهذه «الكارثة» ، فتحاول عرقلة هذا الحب النبيل بشتى الطرق ، وتسوق زوجها الضعيف الى تهديد الشاب بشتى الأسلحة كى يعود الى «صوابه» ! ·· لكن نبل الزوج يتغلب ، فيعترف للفتى بأنه يفضل ابنة زوجته على ابنته ! ·· واذ تفشل كل حيل الام يتفاقم بغضها لابنتها الكبرى ، فتطردها من البيت ·· واذ ذاك يتبعها الشاب ويتزوج منها، فيؤسسان عشهما السعيد بعيدا عن الجو الملوث ·· وتنتهى الرواية بالام وزوجها يعيشان بقية حياتهما «منفصلين» – وان ظلا تحت سقف واحد ، محافظة على «المظاهر» ! – وحسب الزوجة أن تنشد العزاء بين ذراعى عشيقها الشاب الماجن المخمور « انطوان فلاميرى » ··

وهكذا تنتهى القصة ، بلا نهاية – كالحياة نفسها – فنرى الزوجين المنفصلين يتبادلان تحية المساء «طابت ليلتك» ، ويمضى كل منهما الى مخدعه ·· كى يستانفا حياتهما فى اليوم التالى، على نفس الوتيرة ·· وتهبط الستار !

مدرسة الغانيات

◆ وهذه كوميديا من ثلاثة فصول ، عالج فيها مؤلفاها «أرمون وجربيدون» حياة فتاة فقيرة من حى «مونمارتر» ، اكتشفها أحد قناصى « السكفاءات » – ويدعى « الكونت ستانيسلا دى لافيرونيير » – فتوسم فيها الصلاحية لأن تصير غانية يترامى عند قدميها

الممثل الفرنسى «موريس اسكاند» سكرتير الكوميدى فرانسيز ، ومدير الشعبة التى حضرت الىمصر

النجمة « أليس فيلد » الممثلة بالفرقة الفرنسية المسرحية التى وفدت الى مصر

الرجال ! .. وبالفعل ، أخذ الرجل بيدها ومضى يلقنها الدرس ، ويرسم لها الطريق ، ويصعد بها السلم ، المفروش بالمتع والاشواك ، نحو القمة .. وبعد ثلاثين شهرا من ((الدراسة)) المتواصلة بلغت ((جينيت)) القمة المنشودة : غدت غانية باريس الاولى ، التى تتنافس الصحف على نشر صورها وتتلهف على انبائها ! .. لكنها فى سماء مجدها احست بانها شقية حتى أعمق أعماق روحها .. شقية الى درجة انها تحسد زميلتها القديمة فى مونمارتر ، التى قنعت من الحياة بان تكون خادمة لها!.. نعم ، ان نفسها حزينة حتى الموت ، ولا تجد لها عزاء الا فى الدموع .. !

.. لكن راعيها الكونت ستانيسلا يذكرها – فى غطرسة – ((بواجبها)) ، فتنهض .. وتلبس ثياب ((دورها)) .. وتكف عن الشكوى من نصيبها المحتوم، ومن افتقادها السعادة المنشودة ، دون جدوى ! .. وتتعلم من الحياة هذه الحكمة الخالدة : ((ينبغى أن تتركى السعادة لاخواتك فى الانسانية ، اللواتى لم ينجحن !))

جيجى

◆ مسرحية من فصلين وستة مناظر ، أعدتها للمسرح مؤلفتها ((كوليت)) بالاشتراك مع ((أنيتا لوس)) ، اقتباسا عن القصة المكتوبة التى قدمتها لك فى مكان آخر من هذا العدد ..

و((جيجى)) صبية مراهقة ، تجتاز سن الانتقال من اليفاعة الى الانوثة الناضجة .. وهى تعيش فى باريس فى نهاية القرن الماضى ، فى عهد العربات الحنطور والقبعات العريضة والازياء الطويلة الفاخرة .. تعيش فى كنف جدتها ، العاشقة القديمة التى خلعت على نفسها اسم ((الفاريز)) تذكارا لعشيق أسبانى كانت تحبه فى شبابها .. وأمها ، المغنية التى هجرها عشيقها – والد جيجى – فاعتزلت دنيا الرجال .. ثم خالة متصابية لها تدعى ((انيسيا دى سانت ايفلام)) ، وهى غانية متقاعدة ! .. والثلاثة يأخذن على عاتقهن مهمة اعداد ((جيجى)) لمستقبل باسم ، وتقع أعينهن

الفاحصة على صديق الاسرة الشاب الثرى الانيق « جاستون لاشيل » ، صاحب مصانع للسكر ، فيتولين نصب الشباك له ٠٠ سيما بعد أن يعلمن ان عشيقته « ليان » قد هجرته !

لكن جاستون لا يرى فى جيجى غير صبية ، لا امرأة ٠٠ صبية يلاعبها ويتسلى معها كما يلاعب صديق الاسرة طفلة فى البيت ! ٠٠ وهى بدورها تعجب به لان اسمه يظهر فى الصحف ومغامراته النسائية تلوكها الالسن فى المجتمعات ٠٠ ولكن شيئا فشيئا تتغير نظرة كل منهما للآخر ٠٠ وحين تتآمر الظروف على القاء جيجى بين ذراعى جاستون ، ترفض فى اباء أن تكون له عشيقة ٠٠ وعندئذ فقط يتبين الشاب مبلغ حبه لها ، ومبلغ اختلافها عن « الاخريات » ٠٠ فيتقدم الى جدتها طالبا يدها !

رجل ٠٠ كالآخرين

◆ **كوميديا** من ثلاثة فصول ، ألفها « أرمان سالاكرو » عضو أكاديمية «جونكور» الادبية ٠٠ وكأنه قد ارتدى معطف الصيادلة الابيض ، ووقف وسط مجموعة من أنابيب الاختبار ، والاوانى المستطرقة المعوجة ، التى تختلط فيها المحاليل الملونة ، والقوى الغامضة ، والسموم ٠٠ وفى هذا المعمل الكيميائى الهائل ، توصل المؤلف الى عزل ميكروب ٠٠ الحب !

بل انه عزله وسط بهو من مرايا «لونابارك» المقعرة والمحدبة ، التى تشوه الخلقة وتغير معالم الوجوه والاجسام !

٠٠ وها هو الحب يبدو لنا على صقال كل امرأة مرتديا قناعا مختلفا!٠٠ ألف صورة لمشكلة واحدة.. ألف عرض لحمى واحدة .. ألف انحناء ومنعرج تؤدى كلها الى خط واحد مستقيم !

بل لكأن المؤلف نصب نفسه دليلا من أدلاء الجبال يقود السائحين التائهين ٠٠ وأمام جدران مغارات الجبل أطلق صرخة هائلة : اليكم باب الحب ! ٠٠ وها هى جدران المغارة القريبة والبعيدة، تردد اصداء صرخته ٠٠ اصداء

الفتى الاول فى الفرقة «روبرت مونكاد » ممثل دور «جاستون» فى رواية « جيجى »

متتابعة مختلفة النغم والمدى ، بعضها اجش وبعضها حاد ، بعضها قصير وبعضها طويل ، لكنها جميعا ترديد لصرخة واحدة : الحب !

الف ضجيج تختلط وتتشابك ويعتريها التشويه ٠٠ لكن مقاطعها واحدة ، وحروفها واحدة ٠٠ الف صدى لصوت واحد فريد !

رجل كالآخرين ؟٠٠ اى مثلك، ومثلى ؟٠٠ فهل نحن جميعا سواء فى موقفنا من افلاس الاخلاق وفوضى الغرائز ؟

نعم ، رجل كالآخرين ! ٠٠ لاننا وسط بهو المرايا قد نتعـرف فيه على صورتنا ٠٠ وبين آلاف الاصداء قد نتبين فى صوته نغم صوتنا نحـن ، ولهجتنا !

اختبر نفسك

هل تجرى وراء السراب ؟

◆ ومنذا الذى لا يحلم ، ويجرى وراء السراب ؟٠٠ ان الحياة تغدو كئيبة ، لا تطاق ، اذا لم نلجأ فى بعض الاحيان الى الفرار منها ، فنلوذ باحلام اليقظة ، ونتعلق ببضعة آمال متعذرة المنال ، أو « غير عملية » !

على أن الحياة تتطلب من معظمنا سلوك طريق وعرة ، مليئة بالعقبات ، فى سبيل الوصول الى أهدافنا ٠٠ واذا كان من المستعذب ان نمتطى أجنحة الخيال فرارا من ضجيج الحياة اليومية ومتاعبها ، الا أنه من غير المأمون ان نمضى فى تحليقنا بعيدا أو أطول مما ينبغى ٠٠ والا هوينا فجاة من عل وارتطمنا بالارض !

فهل ترى التفاؤل المشرق يحلق بك بعيدا لتنتقم مما تلقى من خيبة أو استياء ؟ .. وهل تراك تخلط التفكير بالحقائق ، وتمزج الاحـلام بالواقع ؟ .. أم تعتقد ان الصورة التى تراها لنفسك - من حيث المظهر ، والشخصية ، والكفاءة - صورة صادقة ؟

ان الاختبار التالى يمكنك من معرفة ذلك ، اذا حرصت على الصراحة والدقة فى الاجابة :

١ - هل أفسدت - فى أكثر من مناسبة - فرصة سنحت لمشروع ، بسبب اسرافك فى التسرع ؟

٢ - هل تسرف فى أكثر الاحيان فى تقدير وقتك ، أو طاقتك ، أو كفاءتك ، فلا تلبث أن تجد نفسك رازحا تحت مسئوليات فوق ما يمكنك الاضطلاع به ؟

٣ - هل تصر على المضى فى عمل ينبئك الكثيرون بأنه خارج نطاق استعدادك ، أو فوق مواهبك ؟

٤ – **هل** تقامر بقسط كبير من مكاسبك على أمل أن تفوز بربح كبير ، رغم انك خسرت حتى الآن أكثر مما ربحت ؟

٥ – **هل** تعمد الى صقل القصص التى ترويها لسواك، واضفاء رونق عليها.. رغم تساؤلك عن سر هذا الميل فى نفسك ؟

٦ – **هل** رسمت لنفسك من المثل العليا ، والمؤهلات ، والصفات ، مايجعلك تبدو عاجزا عن أن تجد شخصا من الجنس الآخر يتمشى معك فيها ؟

٧ – **أأنت** من ذلك الصنف الذى يغرق دائما فى خيالات الحب الشاعرية، وفى أحلام المجد ؟

٨ – **انك** قد ترسم خططا رائعة للمستقبل الذى تريده لنفسك ولأسرتك ، ولكن هل ترى – على ضوء سيرك الحالى فى الحياة – ان لابد لتحقيق هذه الآمال من عدة معجزات ؟

٩ – **هل** تشعر بخيبة مريرة لانك فى كثير من الاحيان ترفع الناس فوق أقدارهم، ثم تصدم بأن تتبين أنهم ليسوا كما تصورتهم ؟

١٠ – **هل** تقبل على مشروعات الكسب السهل ، والاعلانات التى توحى بصفقات مدهشة ، أو بنتائج مغرية من وراء استثمار مبلغ صغير ؟

◆ قدر لنفسك درجة عن كل سؤال تجيب عنه بنعم :

فاذا أصبت ٧ ((نعم)) أو أكثر ، فأنت فريسة أحلام صبيانية وآمال غير واقعية . وبذلك تتعرض لخيبة تحطم معنوياتك ، ما لم تتعلم كيف تقدر الوقت الذى ينبغى أن تواجه فيه الحقائق بشجاعة وحكمة ..

أما اذا كان مجموع اجاباتك بـ ((نعم)) يتراوح بين ٢ و ٦ ، فأنت معرض لان تنساق فى كثير من الاحيان وراء الخيال والأمانى غير العملية .. فخذ الحذر لنفسك !

واذا لم تجب بـ ((نعم)) على الاطلاق ، أو اجبت بها مرة واحدة ، فهذا دليل على أنك وان جريت وراء أمل غير عملى أو أملين ، تعرف متى تفطن الى أنك تجرى وراء السراب ، ومن ثم فانك تتحول عن الجرى ، بحكمة ، وتغير طريقك !

مجلس بنى مزار البلدى – اعلان

تقبل العطاءات حتى ظهر يوم ١٩٥٥/١/٢٥ عن توريد مواسير وقطع زهر . وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليما للنسخة بخلاف اجرة البريد . وكل عطاء لايرفق به تامين ابتدائى قدره ٢٪ من قيمة العطاء لا يلتفت اليه .

٩٦٤٩

مجلس بلدى الزقازيق
قلم المشتريات

تقبل العطاءات بمجلس بلدى الزقازيق حتى ظهر يوم ١٩٥٥/١/٣١ عن عمل غرف تفتيش لمحابس المياه بالشبكة العمومية وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ١٥٠ مليما وبالبريد ٢٠٠مليم وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢٪ من قيمته لايلتفت اليه .

٩٦٨٥

مجلس بلدى الزقازيق
قلم المشتريات

تقبل العطاءات بمجلس بلدى الزقازيق حتى ظهر يوم ١٩٥٥/١/٣١ عن توريد ادوات للمياه وعدد للصيانة وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ١٠٠ مليم وبالبريد ١٥٠ مليما وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢٪ من قيمته لا يلتفت اليه

٩٦٨٤

مجلس بلدى ابو تيج

يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٥٥ — عن توريد مجموعة للكسح ومكونة من عربة مركب عليها خزان سعة ١٠٠٠ لتر للكسح وعربة مركب عليها مجموعة تفريغ هواء .

وتطلب الشروط من المجلس على ورقة دمغة فئة ٥٠ مليما نظير دفع مبلغ ٣٠٠ مليم للنسخة بما فى ذلك اجرة البريد وكل عطاء غير مرفق به تأمين قدره ٢٪ من قيمته لا يلتفت اليه .

يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٥٥ — عن توريد قطع غيار لازمة لماكينات محطة الكهرباء .

وتطلب الشروط من المجلس على ورقة دمغة فئة ٥٠ مليما نظير دفع مبلغ ٣٠٠ مليما للنسخة بما فى ذلك اجرة البريد وكل عطاء غير مرفق به تامين قدره ٢٪ من قيمته لا يلتفت اليه .

٩٦٧٨

وزارة التربية والتعليم

تقدم العطاءات بعنوان السيد مدير عام التعليم الفنى بالمجمع (الدور التاسع) بميدان التحرير بالبريد الموصى عليه او بوضعها باليد بمعرفة مقدميها فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى الادارة المذكورة لغاية الساعة الثانية عشر من يوم الثلاثاء الموافق ١٥ فبراير سنة ١٩٥٥ عن توريدماكينات والات الصناعية لعام ١٩٥٥/٥٤ .

ويمكن الحصول على الشروط وقائمة المناقصة المذكورة من الادارة العامة للتعليم الفنى نظير دفع الثمن وقدره جنيهان خلاف اجرة البريد .

٩٦٩٤

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
افتتاحية العدد	٧
رأيت وسمعت لك فى ايطاليا : مشاهدات وتعليقات للمحرر	١١
ظمأ قلب : قصة مصرية للاستاذ محمد بدر الدين خليل	٣٩
جوهان وولفجانج ((**جيته**)) : حياته وكفاحه الادبى ...	٤٧
عندما يحب الشيوخ : من قصص العباقرة فى حياتهم الخاصة ، للكاتب النمسوى الاشهر ((**ستيفان زفايج**))	٧٣
الرغبة فى الحياة : كتاب علم النفس ، للدكتور « ارنول هتشنكر »	٨٣
اقنعة الحب السبعة (**القناع الاول**) قصة الاميرة دى كليف ، لمدام دى لافاييت ، تلخيص وتعليق الكاتب الفرنسى الكبير ((**اندريه موروا**))	١١١
زوج مثالى : المسرحية الخالدة للكاتب الانجليزى الساخر ((**اوسكار وايلد**))	١٣٥
جيجى ، (المراهقة التى قاومت الدنس .. وانتصرت) قصة للروائية الفرنسية الشهيرة ((**كوليت**)) ...	١٥٥
الطفل والاسرة (من محاضرات «مدرسة الاباء» بجامعة باريس) للاخصائى الفرنسى ((**اندريه بيرج**)) ...	١٨٣
النقد الفنى : عرض وتلخيص موجز للسرحيات التى قدمتها فرقة الكوميدى الفرنسية على مسرح دار الاوبرا	١٩٢
اختبر نفسك: هل انت تجرى وراء السراب ؟	١٩٧

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

الصبى المتسول

لوحة للرسام « موريللو » ، (١٦١٧ - ١٦٨٢) بمتحف اللوفر

السيدة « مادلينا ستروزى »

لوحة للرسام الخالد « رفاييل » ، بمتحف (بورجيزى) بروما

كتابي

عاصفة .. فى قلب !

« .. اتذكر تلك الليلة ؟! .. كنا جالسين فى الخميلة القائمة فى الطرف الأقصى من حديقة دارى وقد امتدت أمامنا صحراء مصر الجديدة إلى آخر حدود البصر ، وبسط ضوء القمر عليها ستارًا من فضة وذهب .. وخيل إلى أننى بدوية من الرعاة تجلس إلى جوار الفارس الذى اختطفها من مضارب قبيلتها ، وسباها برجولته ، فبدلا من أن تناصبه العداء ، ألفت نفسها صريعة هواه !

وجاشت العواطف المكبوتة فى أعماقى ، جيشان الحمم فى قلب بركان .. وصرخ قلبى بين جوانحى ، فاذا بى أميل نحوك متعمدة أن يحتك شعر رأسى بوجهك فينفذ شذاه إلى صدرك .. وثبّت بصرى فى بصرك أحاول أن أصل إلى أعماقك .. وأخذت المناظر التى كانت تحيط بنا تتلاشى لتحل محلها رؤى من عالم آخر لا يضم سوانا ، أنا وأنت !.. وعصفت الرغبة الجامحة بارادتى فوجدتنى أهم بأن أطوق عنقك بذراعى ، وأجذب وجهك نحوى لتلتقى شفاهنا فى قبلة تروى الفؤاد الذى فراه الظمأ .. ولكن .. »

(من قصة " ظمأ قلب " ، احدى محتويات هذا العدد)

شركة فن الطباعات ٥٨١٤٩